أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في القطر
سبعة عشر مجموا والعقار
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
للطلاب تخفيض خاص

الجزء التاسع — رمضان سنة ١٣٨١ هـ — فبراير ١٩٦٢ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

صوم رمضان اشتراكية روحية

بقلم : احمد حسن الزيات

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إن الاشتراكية المادية التي ندعو إليها ونعمل لها ونعيش فيها لا يمكن أن تقوم ولا أن تدوم إلا على ركن شديد من الاشتراكية الروحية . ذلك أن الروح هو سر الله في كل حي وفي كل نظام وفي كل مجتمع . به يحيا الهامد ويتسق النافر ويجتمع المتفرق . هو الذي نسميه حبا أو جاذبية أو وحدة . وهو الذي يجمع قلوب المواطنين على عبادة إله واحد ، وحب وطن مشترك ، وتقديس شعار متحد ، وطاعة زعيم قائد . فإذا ضعف في النفوس هذا الروح ، واحتجب عن الأذهان هذا السر ، تناكرت المعارف وتدابرت الإخوة ، فلا يتشاركون في خير ، ولا يتعاونون على بر ، ولا يتناصرون في شدة ، وإذن تصبح القوانين الاشتراكية والأنظمة التعاونية كلاما لا معنى له وعملا لا رجع منه .

إن المجتمع الإنساني إذا خلا من هذا الروح الإلهي أصبح مجتمعا حيوانيا لا يعطف الفرد فيه إلا على وليده مدفوعا بغريزة حفظ النوع . فإذا بلغ الوليد أشده واستوى تقطعت الرحم وتباعدت القرابة وانقلب الولد ندا لأبويه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يدافعهما عن نفسه ، ويصارعهما على قوته ، وصار الاشتراك أو الإيثار الذى انبثق من الأمومة والأبوة فردية باغية وأثرة شديدة

على أن هذه الغريزة تتهذب فى بعض أمم الحيوان كالنحل والنمل فتنمو وتسمو وتدوم حتى تصبح اشتراكية مثالية تنتظم فضائل المجتمع الإنسانى المرجو ، من فناء المفرد فى الجمع ، وجهاد الكل للكل ، وما يحقق ذلك من تضامن وتعاون وإخلاص وإيثار وتضحية حتى بلغ من سمو الاشتراكية فى هاتين الأمتين أن النحلة أو النملة تعمل لنوعها كله ، لا لنفس دون نفس ، ولا لطائفة دون طائفة .

وهذا السمو الاجتماعى فيهما لا تجد له نظيرا فى مجامع الذباب والقرود والناس . فلكل فرد من أفراد الإنسان وهو أرقاها شأنه الذى يغنيه . ورزقه الذى يكفيه . فإن فضل شىء منه عن حاجته فلزوجه وبنيه . .

أما علاقته بغيره وغير أهله فهى علاقة الصائد الخاتل أو اللص القاتل ، يحتال ويغتال ويغتصب ويستأثر ، ولا يبالى أن يهلك العالم وتخرب الدنيا ما دام بدنه معافى وداره عامرة .

هذا السمو فى الإشتراكية المادية لم يجعله الله أصلا فى جبلة الإنسان (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وإنما جعله فى الشرع الذى أوحاه وفى الكتاب الذى أنزله . فمن يرد إصلاح الفاسد من حال المجتمع دون أن يبث فى أعضائه هذا الروح ، وينشر فى جوانبه هذا النور ، أخطأ الطباب الناجع لهذه العلة ، وضل السبيل الجامع لهذه الغاية .

إن دين الله اشتراكى بحكم طبيعته ومقتضى رسالته . شرعه الله نظاما للدنيا وسلاما للناس على أساس من عدله وتقدير من فضله ومنهاج من هداه . فالملك ملكه . والمال ماله ، والفقراء عياله ، والأغنياء عباده ، والمصير كله إليه . على هذا الاتصال الروحى بين الخالق والمخلوق اجتمع الشمل فى الأسرة الإسلامية الكبرى فكان الناس فيها سواسية ، والحكم شورى ، والإيمان أخوة ، والرزق شركة ، والجماعة وحدة وإذا تدبرت الأركان التى بنى عليها الدين والأحكام التى جاء بها الشرع ، تجلت لك من مطاويها ومرامها تلك الاشتراكية التى تؤلف القلوب بألفة الروح ، وتجمع الشعوب بجمعة الحب ، وتفرض على الواجد معونة الفاقد ، وتوجب على الجميع نصرة الواحد ، وتجعل من المسلمين جميعاً جسما واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما قال الرسول الأعظم .

خذ مثالا واحداً من ألف : صوم رمضان . أليس هذا الشهر المبارك مظهر الاشتراك الروحى بين المسلمين فى جميع أقطار الأرض ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يصومون فى وقت واحد ، ويفطرون فى وقت واحد ، ويكادون يتفقون على طعام واحد . ثم ينصرفون عن اللذات الحسية والنفسية، ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع إلى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنكر ، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو ، ويغلوا أيديهم عن الأذى، ويصدوا أمواههم عن السوء ، ثم يسمتون جميعا صائمهم ومفطرهم سمت الصالحين ، فيمسكون السبحة، ويتقون الشبهة، ويصنعون المعروف ، ويتسلدون تقاليد رمضان ، فيهجر السكير الكأس، ويترك المقامر الورق ، ويؤجل الشرير الشر ، وينسى المجرم الجريمة ثم يشركون المساكين فى طعامهم تكافلا ورحمة، ويؤتون الفقراء من أموالهم تعاطفا وصدقة ، ويولمون الولائم لإخوانهم تواصلا ومودة ، ويشعرون أن أجسادهم المتفرقة المختلفة يسرى فيها روح واحد يصدر عنه هذا الوجود المتحد وهذا الشعور المشترك .

هذا الروح الإلهى إنما أبقاه وقواه فى نفوس الصائمين عقيدة ووراثة وسنة . ولو أنه وجد فى الوطنية ما وجد فى العقيدة من الإيمان ، وفى النشأة ما وجد فى الوراثة من العمق ، وفى القدوة ما وجد فى السنة من الصلاح ، لشاع فى نفوس المسلمين وجعل منهم مواطنين اشتراكيين يعمل كل امرىء منهم لوطنه كما يعمل لبيته ، ويحب لمواطنه ما يحب لنفسه ، ويكون لدولته كما يكون الانجليزى لامبراطوريته ، يخلص لها إخلاصه لعقيدته ، ويبر بها بره بأمه، ويفنى فيها فناءه فى أسرته . ويومئذ ترى المصرى أو العربى كما ترى الانجليزى ، يقذف بنفسه فى المطرح البعيد والمنزل النائى ، ليعمل لقومه ، أو ليكدح لنفسه . فلا يضع أمام عينه ولا على صدره إلا جمهوريته : يمثلها أحسن تمثيل ، ويخدمها أخلص خدمة ، ويدعو إليها أصدق دعوة . يدعو إليها بفعله قبل قوله ، وبقلبه قبل لسانه، وبخلقه قبل علمه . ويومئذ لا تعود ترى أو تسمع أن المصرى أو العربى يعيش فى الغربة مقطوع الأسباب عن بلده وقومه ، لا يعرض من وطنه على الناس إلا صورة الباطل ، ولا يتكلم عن أخيه فى الغيب إلا كلمة السوء . ذلك لأن الروح الوطنى الاشتراكى الذى يستمد سناءه وسناه من روح الله إذا سرى فى نفس ابن آدم جعل فرديته قومية ، وأنانيته غيرية ، وعصبيته إنسانية، وخاصته من الخير لله وفى الله مشركة .

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رمضان

من شعائر الوحدة الإسلامية

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر

أبنائى ، وإخوانى ، المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

فقد أهل علينا « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هـــدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » ، أهل علينا هـذا الشهر العظيم ، الذى فرض الله علينا صيامه ، شعيرة إسلامية عامة للوحدة بين المسلمين فى شتى النواحى ... وحدة لا تتقيد بالزمان أو المكان ، ولا تتقيد بالمسافات أو الابعاد أو الحـــدود الجغرافية ، سياسية كانت أو طبيعية ، ولا تتقيد بالجنس أو اللون أو اللسان ، فالإسلام لا يعترف ، فى بنائه لأمته ، وتكوينه لمجتمعه ، وتوثيق الروابط بين أبنائه ، بشىء من ذلك كله « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل ، لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، « ألا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وإنما هى وحدة تقوم على دعامة من العقيدة الواحدة ، التى يدين بها ، ولها ، كل من شهد الشهر فوجب عليه الصيام ... وحدة تبدو ظاهرة ، خلال شهر رمضان ، فى مواعيد الأكل والشرب للجميع ، من مغيب شمس النهار حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ... ووحدة فى العبادات كلها ، صلاة ، وصياما ، وإنفاقا فى سبيل الله ، وتهجداً ، وقياما ، وتسبيحاً ، وتقديسا ، وتلاوة قرآن ، وحدة فى كل شىء حتى فى اليقظة والمنام .

نعم ، أهل علينا شهر الوحدة التى هى هدف الإسلام من كل تشريعاته ... هى هدفه فى الصيام كما ذكرنا ، وهى هدفه فى الصلاة التى هى شعيرة يومية متكررة لوحدة الوجهة والقيادة والعبادة ، فكل المسلمين يتجهون فى الصلاة إلى قبلة واحدة ، وراء إمام واحد ويأتون فى الصلاة حركات واحدة . ويتلون جميعاً قرآنا واحداً ، ويرددون تسبيحات واحدة ، فى ركوعهم « سبحان ربى العظيم » ، وفى سجودهم « سبحان ربى الأعلى » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهى هدفه فى الزكاة التى هى رباط يوحد بين أفراد الأمة جميعا برباط المودة والمحبة والنجدة والتعاون والوفاء والولاء ، بين الأغنياء والفقراء ... بين ذوى اليسار وذوى الحاجات . فأداؤها فى مصارفها من شأنه أن يزيل الحواجز بين الطبقات ، فلا تكون هناك إحن ولا أحقاد . ومن ثم يسرى بين الجميع تيار المحبة والألفة والتعاون ، ويكون الكل على قلب رجل واحد « بعضهم أولياء بعض » يشعر الغنى بحاجة الفقير ، ويحس ذو اليسار بضرورة المحتاج . فترى الغنى وقد مد يد المعونة لإخوانه الفقراء ، وترى الفقير ، فى نجدة إخوانه الأغنياء ونصرتهم إذا نزلت بهم نازلة أو ألمت بهم ملمة الجميع « كالبنيان يشد بعضه بعضا » و « كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » ...

وهى هدفه فى الحج الذى يشمل — فوق ما ذكرنا من شعائر الوحدة فى الصيام والصلاة والزكاة — على مظهر رائع من مظاهر الوحدة لا تراه البشرية كلها إلا فى موسم الحج ، وذلك عند ما يخلع الجميع ، وقت الإحرام ، ملابس التمايز فيما بينهم ، إلى ملابس موحدة الخامات واللون والتفصيل والأجزاء ، لا تعرف بينهم الأمير من الحقير ، ولا الرفيع من الوضيع .

ولا شك أن كل ذلك من شأنه أن يغرس فى المسلمين معانى الوحدة والنظام ، والألفة والالتئام ، والمحبة والتضام ، ولا يبقى مجال للفرقة والانقسام « ومن ثم يكون المؤمنون إخوة » يسعى بذمتهم أدناهم » ، ويكونون يدا « على من سواهم » .

غير أن المسلمين ، للأسف المؤلم ، أتى عليهم حين من الدهر ، غفلوا فيه عن كل هذه المعانى فى دينهم ، وشغلوا عنها بعرض زائل من الدنيا ومتاعها الفانى ، وركن بعضهم ، فى ذلك ، إلى أعداء الله وأعدائهم ، واتخذوهم « أولياء من دون المؤمنين » ناسين ما نهاهم الله عنه فى هذا المجال بأقواله تعالى ، : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » ومالكم من دون الله من أولياء » « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق » « ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء » ، « لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » ، « ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نعم ، نسوا كل ذلك ، فحقت عليهم كلمة العذاب ، وكان ما نرى جميعا من شيوع العداوة والبغضاء والفرقة والانقسام بين أفراد الأمة وشعوبها وحكوماتها ، ومن تمزق وحدة بلاد المسلمين شر ممزق ، وتحكم المستعمر فى مقدراتها وخيراتها وتقرير مصيرها ، واستغلاله بعض الأخوة فى الكيد والتآمر ضد البعض الآخر ، مما يدمى له القلب وتتصدع له النفس .

فهل « لم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ؟ .

وهل آن لهم أن يتحرروا من الانخداع بالمستعمر وأعوانه . فلا يقعوا فيما يغريهم به من أسباب العداوة والبغضاء فيما بينهم ، استطالة لأمد تحكمه فى بلادهم ، وانتهابه خيراتها .

وهل آن لهم أن يتخذوا من شهرنا هذا وشعائره ، شهر الصيام والقيام ، وشهر القرآن الكريم ، نقطة الانطلاق نحو الوحدة والقوة والعزة فينقضوا عن أنفسهم غبار الشحناء ، ويزيحوا من طريقهم عوامل الفرقة والبغضاء . ويسدوا منافذ الاختلاف والمراء ، ويجتمعوا حول كتاب ربهم ، الذى يهدى للتى هى أقوم ، فيسيروا على هديه ، ويعملوا بإرشاده ، ويحكموه فى كل ما شجر بينهم

وهل آن لهم أن يستعيدوا ، بوعى ، قراءة الآيات الكريمة من قول الله تعالى : « أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ، وقوله جل شأنه : « أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » ، وقوله سبحانه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » .

وهل آن لهم أن يقرأوا بانتباه شديد ، قول الله الحكيم « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء » ، وقول الله العظيم « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » ؟

إنهم إن فعلوا ذلك فاستوعبوا هذه الآيات ، ونظروا فيما تأمر ، وتغرى به ، وفيما تنهى وتحذر عنه . عرفوا أنهم أتباع دين يأمر بالتعاون والاتفاق ، وينهى عن التنازع والشقاق ، دين يغرى بالوحدة ولا يني يدعو إليها ، ويحذر من الفرقة ولا يفرط فى التنفير منها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا شك أن من كانوا كذلك ، لا ينبغي منهم أو يرتضوا بديلا عن وحدتهم ، أو أن يعملوا ما يتنافى مع إخوتهم ولا يليق بهم أن يتنابذوا بالألقاب . أو يتراشقوا بالسباب ، فإن ذلك ليس من صفات المؤمنين الذين قال الله فيهم : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » فاتحاد الولاية من شأنه أن تكون بين المتوالين وحدة تجمع قلوبهم ، وتضم شتات صفوفهم ، وتنهج بهم طريق التعاون ، وتسلك بهم سبيل التناصر . . وهذا هو ما يدعو الله إليه المسلمين .

فجدير بنا ، وبخاصة في هذا الوقت الذي انحلت فيه عرى الوحدة الإسلامية ، عروة عروة . وتمكنت فيه عوامل الإفساد ، داخلية وخارجية ، من قلوب المسلمين ، فقطعت أواصرهم ، وولايتهم ، وحالت دون تساندهم ، فصاروا طعمة لأعدائهم ، ووقعوا عن بلوغ الغاية السامية التي رشحهم لها العناية الإلهية - بما أمدتهم من دين صالح ، وهداية قوية ، وأخلاق كريمة ، جعلتهم « خير أمة أخرجت للناس » - وهي قيادة العالم إلى سواء السبيل ، والوصول به إلى الحياة الطيبة السعيدة ... أقول جدير بنا ، والحالة هذه ، أن نرجع إلى دستورنا وكتاب ربنا ، فنعمل بهديه ، ونسير على إرشاده ، ومن ثم سنزول من بيننا ، حتما ، أسباب الخلاف والخصام ، ويحل محلها الاتفاق والوئام ، وتتمكن فينا صفات المودة والمحبة بدلا مما نعانيه من حالات الكراهية والبغضاء فيتأتى للصف أن ينتظم ، وللعناصر أن تتعاقد على التصبر في نصرة الحق ، واستعادة العزة لأمتنا ، وتمكينها من أداء رسالتها في الحياة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

أما بعد : فهذا حديثي إلى المسلمين ، في كل مكان ، بمناسبة شهر رمضان الكريم ، أوجه إليهم في ختامه قول الله تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب ، وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

هدانا الله وإياكم لما فيه خير الأمة والدين وأعاد هذا الشهر على أمتنا وقد سارت أشواطا طويلة نحو وحدة الكلمة ، وتوحيد الوسيلة ، وتحديد الهدف والغاية ، وما ذلك على الله بعزيز .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولتسمعوا ولتقرأوا معي قول الله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

محمود شلتوت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أقدم اللغات

للأستاذ عباس محمود العقاد

أى اللغات أقدم :

كان الباحثون فى تاريخ اللغات يقصدون بالبحث عن أقدمها أن يصلوا إلى اللغة الأولى التى تفرعت عليها جميع اللغات بعد تفرق الأمم فى جوانب العالم المعمور ، وكانوا يفترضون أن اللغة الأولى كانت لغة الجنس البشرى كله يوم كان له مقام واحد فى قارة واحدة ، ثم تفرعت هذه اللغة بعد انفصال الناس وانقطاع الصلة بينهم حتى امتنع التفاهم بين المتكلمين بكل شعبة من شعب اللهجات المتفرعة فى مواطنها المختلفة .

إلا أن هذا البحث الطويل لم ينته إلى وحدة بين لغات الأمم غير وحدة « العائلات » اللغوية الكبرى التى يتعذر التقريب بينها اليوم بغير الاتفاق فى كلمات معدودات ، توجد فى الكثير منها ولا توجد فيها بأجمعها .. فقنع الباحثون ، إلى حين ، بالرجوع إلى أمهات العائلات اللغوية كل عائلة منها على حدة ، وكادوا أن يتعثروا فى هذا الطريق بعقبات كالعقبات التى صادفتهم فى بحثهم عن لغة واحدة للجنس البشرى بمرحلته الأولى ، وإن تكن عقبات التحقيق فى مواضع الاتفاق بين فروع العائلات اللغوية أيسر تذليلا وأقرب أمداً فى مراحل التاريخ القديم .

والرأى الغالب بين علماء المقارنات اللغوية أن أصول العربية حديثة بالقياس إلى أصول العائلة الهندية الأوربية ولا سيما السنسكريتية والجرمانية .

ولكن هذا الرأى يقابله فى العهد الأخير اعتراض شديد من أبناء الهند أنفسهم ، من المسلمين خاصة ، فى معرض المقابلة بين السنسكريتية والجرمانية والعربية ، فإنهم يعتمدون على معرفتهم بلغات الهند ومعرفتهم بالعربية وبعض اللغات الأوربية لتصحيح أخطاء اللغويين الأوربيين عند المقابلة بين الكلمات ويصيبون كثيراً فى التنبيه إلى تلك الأخطاء وإثباتها بدلائل المعانى والألفاظ التى لا شك فيها ، ولكنهم ينسبون إلى مثل هذه الأخطاء عند المقابلة بين جذور الألفاظ العربية والأجنبية ، ويكاد بعضهم أن يرجع بمعظم هذه الجذور إلى أصل عربى يقاربه بحرفين أو ثلاثة حروف من الكلمة القديمة ، اعتماداً على القول الشائع عن نشأة الكلمات العربية جميعا من حرفين اثنين تلحق بها الحروف المزيدة تارة فى أوائل الكلمات وتارة فى أواخرها .

ومن أمثلة هذه المقارنات بحث مستفيض للشيخ (محمد أحمد مظهر) بمجلة الأديان التى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تصدر بالإنجليزية فى الباكستان ، ينشره تباعا تحت عنوان (العربية أم جميع اللغات) ويسرد فيه مئات من الكلمات الأجنبية يحسبها من مشتقات العربية على صورة من الصور اللفظية أو المعنوية ، وقد وفق كل التوفيق فى بعض هذه الكلمات ، ولكنه أوغل جداً فى التخريجات المتتابعة للوصول بالكلمة إلى جذرها العربى فيما يراه .

فهو يقول مثلا إن كلمة الذرة A-tom (أتوم) معناها لا يتجزأ أو لا ينقطع ، فهى على هذا مأخوذة من كلمة (طم) العربية بمعنى قطع ، لأن الهمزة الأولى زائدة بمعنى النق فى اليونانية ، و (توم) هى (طم) بعينها إذا لاحظنا أن الأوربيين يضعون التاء موضع الطاء .

ويقول إن كلمة Bit (بت) فى الإنجليزية بمعنى (قطع) وهى من مادة (بت) العربية .

ويقول إن كلمة Arrive (أرايف) فى الإنجليزية بمعنى وصل إلى المرفأ فهى مأخوذة من (ارفأ) العربية بهذا المعنى .

ويقول إن كلمة Aspire (اسبير) فى الإنجليزية بمعنى تنفس مأخوذة من الزفير باللغة العربية .

ويقول إن كلمة Captive (كبتيف) بمعنى الأسر والحبس مأخوذة من مادة الكف العربية .

وعلى هذا النحو تجرى المقابلة بين مئات من المفردات تتشابه بالحرف ، ولكن هذا التشابه لا يكفى لتحقيق اقتباسها من العربية إلا إذا كانت مادة الكلمة فى جذورها غريبة عن لغاتها الأجنبية ، وكان استخدامها عندنا سابقا لاستخدامها عندهم بمعناها أو ما يقرب من معناها . وهو ما يصعب تحقيقه او يظهر من التحقيق أحيانا أن للمادة أصالة واستخداما بتلك اللغات سابقا لاستخدامها بلغتنا .

ونحن نعتقد أن اللغة العربية أقدم من معظم اللغات الحديثة ، وأن شواهد سبقها فى القدم تزيد على الشواهد التى يستدل بها على سبق أقدم اللغات الأخرى ، ولكننا نحسب أن المقابلة بين الكلمات لا تؤدى إلى نتيجة يحسن السكوت عليها فى هذا الباب ، وإنما نفضل على وسيلة المقابلة بين الكلمات وسيلة سهلة نرجع فيها إلى كل لغة على حدة ، فلا يصعب علينا بعدها أن نحكم على حظها من القدم بالقياس إلى غيرها :

تلك الوسيلة هى اشتقاق أسماء الحيوان فيها ، فإن اللغة التى ترجع الأسماء فيها إلى مصدر مفهوم من مصادرها ، تسبق اللغات التى تتلقى هذه الأسماء جامدة أو منقولة بغير معنى يؤديه لفظها الدال عليها فى أحاديث المتخاطبين بها .

فأسماء الأسد والكلب والذر والصقر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والغراب والفرس والحمار والبغل والجمل والخروف وعشرات غيرها من أسماء الحيوان هى كلمات ذات معنى يفهمه المتكلمون بها ويطلقونه أحيانا إطلاق الصفات عند المشابهة بين هذه الحيوانات وبين غيرها فى إحدى صفاتها .

يقال أسد الكلب للصيد أغراه به ، وأسد عليه اجترأ ، وآسد بين القوم أفسد بينهم ، ومعنى هذا على كل احتمال فى سبق الكلمة اللغوية أو سبق الاسم أن العرب عرفوا هذا الحيوان وهم يتكلمون بلغتهم هذه ويستخدمونها للوصف أو للاشتقاق والمجاز .

وكذلك معنى الكلب من العض أو القبض وسائر معانى التكالب وألفاظه .

والنمر من الجرح والنقض والتمزيق لفظ أصيل فى اللغة على الحقيقة أو على المجاز .

والصقر من الحدة فى الحرارة أو فى الطعم أو فى اللمس أصل صالح لإطلاقه على الطائر المسمى باسم الصقر أو الموصوف بهذه الصفة .

والغراب من الغربة والإيذان بها حيث يعيش هذا الطائر ويتشاءم الناس بنعيقه فى الأماكن التى هجرها سكانها وتخلفت بها البقايا التى يحوم عليها .

والفرس من حدة النظر والاستعانة به على الافتراس .

والحمار من لونه الأحمر الذى يشبه رمال الصحراء حيث عرفه العرب قبل انتشاره فى سائر الأقطار .

والبغل من مادة فى اللغة العربية أصيلة فى معنى الخلط والنسب المدخول وكل ما هو مدخول غير خالص أو صريح ، ويشبهه الدغل والزغل والنغل والوغل ، والغين واللام بمعنى الغل الذى يخامر الصدور .

والجمل من مادة الجمل بمعنى الضخامة ، والخروف منسوب إلى موعده فى الخريف ، وهكذا عشرات الأسماء التى تدل على وجود هذه اللغة فى أقدم عهد عرفت فيه الأمة العربية هذه الحيوانات ، وهو عهد بعيد فى القدم لم يعرف قبله عهد لهذه اللغة نقلت عنه تلك الأسماء بغير هذا اللفظ وغير هذا الاشتقاق .

ويقابل هذا فى اللغة الإنجليزية أسماء كلها منقولة من غيرها أو مقصورة على مسمياتها التى لا يعرض لها التصريف فى لهجات الخطاب .

فالأسد Lion من (ليو) Les اللاتينية ، والحصان Horse من (ردس) Ross الجرمانية ، والحمار (آس) Ass من (اسينس) اللاتينية التى يرجح أنها محرفة عن كلمة (أتان) السامية وأكثرها جامدة فى أصولها التى نقلت عنها .

ومثلها بقية الكلمات التى ذكرناها وأشرنا إلى جذور اشتقاقها بالعربية ، فإنها منقولة من أسماء جامدة ليس لها اشتقاق متداول

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى لغة الخطاب . فلا حرج إذن من الحكم بسبق اللغة العربية لجميع اللغات التى تخلفت عن زمان التسمية الأولى لثلث الحيوانات بأسمائها المشتقة . على العلم بما تعنيه من وصف وتشبيه .

والعلم بالحيوان المستأنس أو الحيوان المتوحش أقدم شيء فى لغات بنى الإنسان ، فلا نستطيع أن نتخيل أمة بادية أو حاضرة عاشت زمنا طويلا قبل التاريخ بغير حيوانات مستأنسة أو حيوانات وحشية تسميها وتتحدث عنها . فليس فى تواريخ اللغات عهد أقدم من هذا التاريخ ، وفيه الكفاية للدلالة على انتشار اللغة وشيوع قواعد الاشتقاق والتسمية بين أبنائها فى ذلك العهد السحيق ، وربما تساوت اللغة العربية فى القِدَم وبعض اللغات التى نقل الأوربيون عنها أسماء حيواناتهم ، إذا تبين أن الاسم المنقول كان له لفظه المشتق فى الأصل القديم .... ولكنه إذا رجع إلى أصل جامد غير مفهوم باشتقاقه فى لغة الخطاب فهو لاحق الزمن بنشأة اللفظ المشتق والوصف المفهوم .

ولا خلاف فى دلالة أسماء الحيوان بألفاظها المشتقة على قدم اللغة العربية عند المقابلة بينها وبين اللغات الأوربية من أقدم عهودها التاريخية ، ويبقى بعد ذلك محل للنظر بين العائلات اللغوية التى سجلت فيها ألفاظ مشتقة لأسماء حيواناتها ، ولم تزل لها فى معجماتها المحفوظة معانى المشتقات والصفات ؟

عباس محمود العقاد

العطية قبل السؤال

نظر المنذر بن أبى سبرة إلى أبى الأسود الدؤلى وعليه قميص مرقوع ، فقال له : ما أصبرك على هذا القميص ؟ فقال له : رب مملوك لا يستطاع فراقه ، فبعث إليه بثوب فقال أبو الأسود :

كسانى ولم أستكسه فحمدته ... أخ لك يعطيك الجزيل ، ناصر

وإن أحق الناس إن كنت شاكرا ... بشكرك من أعطاك والعرض وافر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إمامة ابن خلدون فى المعرفة

للأستاذ الدكتور محمد البهى

إمامة العرب فى جوانب المعرفة :

رمى العقل العربى بأنه عقل تقليدى ينقل ويروى دون أن يبتكر ويخلق ودون أن تكون له إمامة وريادة فى المعرفة ، واصطنع الذين يتبنون هذه الدعوى الدليل من وقوف فلاسفة المسلمين فى الجانب الإلهى عند حد الفكرة الأغريقية أو الفكرة الشرقية التى نقلها العرب عن الأغريق مرة وعن الفرس والهنود مرة أخرى .

وربطوا بين وقوف العقل العربى لمناقشة قضايا الفكر الإغريقى والفكر الشرقى فى ملاءمته أو معارضته لمبادىء الإسلام - وبين الحكم بصفة عامة على أن العقلية العربية لاتزيد فى البناء وإنما تجمد فى الحركة عند حد الترديد والرواية . ولم يأخذوا بعين الاعتبار فى هذا المجال أن العقلية العربية التى ناقشت الفكر الأغريقى والفكر الشرقى هى عقلية إسلامية تؤمن بالإسلام أولا كمصدر للتوجيه وكمصدر لنظام حياة المسلم فى المجتمع الإسلامى وهذه العقلية من أجل ذلك عندما وقفت عند قضايا الفكر الأغريقى والشرقى متبنية إياها فى حدود الإسلام ومبادئه - كانت محاولاتها العقلية هى لتبرير هذا التبنى ودفع ما يوجه إلى هذا الفكر الدخيل من عيوب مصدرها الوثنية الأغريقية التى نقذت إلى الفكر الفلسفى عند الأغريق . وإن وقفت عند هذه القضايا من الفكر الدخيل معارضة إياها فقد كان وقوفها لإظهار وثنية الأصول التى انتزعت منه ، والكشف عن المبادىء التى أضفى عليها المنطق الإنسانى طابع الفلسفة وطابع العقل وهى فى صميم أمرها من العقائد التى كونها الوهم وحاكت روابطها الخرافة .

فوقفة العقلية العربية وعدم استمرارها فى البناء لأنها كانت تحاول أن تحدد موقفها من هذا الدخيل إما بالدفاع عنه وإما ببيان نقط الضعف فيه . ويستحيل عندئذ أن يكون التفكير الإنسانى فى مثل هذا الموقف المردد بين التبنى وبين المعارضة امتدادا أو استمرارا لبناء فكرى قام . لأن الامتداد والاستمرار فى بناء فكرى قام سابقا إنما يتحقق عندما تكون هناك موافقة عليه وعندما لا تدعو حاجة إلى توضيحه وإزالة اللبس فيه .

فالعقلية العربية فى مجال الفكر الأجنبى الإلهى الذى دخل الجماعة الإسلامية هى فى ذاتها بناءة وخالقة وإنما لم تقم بالبناء لأنه لم يكن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هناك أساس صالح يبنى عليه ولم تكن هناك أرض ممهدة لإقامة بناء سليم يصلح للبقاء.

ويتجلى بناء هذه العقلية فى مجالات أخرى من التفكير . عدا الجانب الإلهى كمجالات العلوم الطبيعية والرياضية . مما لا يصطدم العقل فيها برأى معين جاء به الدين وقامت على أساس منه عقيدته الصريحة . ومن أشهر الذين كانت لهم خالدية فى البناء فى هذه المجالات أبو عبد الله الخوارزمى فى علم الجبر والمقابلة من الرياضيات ، وابن الهيثم فى المناظر والبصريات من الطبيعيات . وفخر الدين الخطيب الذى لم يقف بالمنطق عند جعله آلة لاختبار الفكر وإنما جعله علما ذا موضوع وذا غاية تخرج به عن أن يكون آلة ووسيلة ، والرازى وابن سينا فى الطب ، وابن العوام فى الفلاحة والزراعة فقد كان من آثار جهوده العلمية الفصل بين السحر وبين أحوال النبات وتطوره وما يتصل بنموه مما جاء فى كتاب (الفلاحة النبطية) ، وبذلك جعل الزراعة فنا مستقلا غير متصل بالسحر وصوره .

وهذه النماذج تدل دلالة واضحة على أن العقلية العربية هى عقلية إنسانية لها خصائص الإنسان المبدع عند ما تتوفر له ظروف الإبداع ، وخصائص الإنسان البناء عند ما تتوفر له أسباب البناء . وخصائص الإنسان المدافع أو المعارض عند ما تدعو الحاجة إلى الدفاع أو المعارضة . ومن الغبن إذن ذلك الحكم العام الذى تصدره الدراسة الاستشراقية بعقم العقلية العربية ، وعدم استطاعتها البناء ، لأنها لم تبن على وثنية الإغريق التى جاءت مغلفة إلى العرب فى صورة فلسفية وفى طابع منطق له حججه وأدلته .

(ب) ابن خلدون فى كتابة التاريخ والاجتماع:

وإذا كان كتاب المسلمين من العرب وغيرهم قد جمدوا فى تفكيرهم وفى كتاباتهم فترات من الزمن ، وسلكوا فى الفكر والتأليف مسلك التقليد ، وابتعدوا فى هذه الفترات عن الإصالة والإمامة ـ فقد كان ذلك إلى وقت ابتدأ بعده عهد البعث وعهد النهضة من جديد فى الفكر وفى التأليف والكتابة . فكان من الذين يمثلون هذا البعث وهذه النهضة ابن تيمية فى مجال الفقه وفى الفكر الإلهى وفى السياسة الشرعية ، وكان ابن خلدون فى مجال التاريخ والاجتماع .

فابن خلدون يحكى عن عمله فى مقدمة كتابه : « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، أنه لم يكن تقليداً لمن سبقه من كتاب التاريخ من الذين حكوا ما كان دون أن يراعوا ظروف الواقع وتطور الأحوال ، ومن الذين اختصروا فيما نقلوا ورددوا ما صنعه السابقون ، فكان الاختصار مجحفا بالواقع وتصويره . فلم يكن ابن خلدون من بين هؤلاء ولا أولئكم ، وإنما اختط طريق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأوائل . وهو طريق الأصالة والإمامة في كتابة التاريخ وفيما يعرض للطبيعة البشرية في اجتماعها من عوارض :

« ... ثم لم يأت من بعدهؤلاء ـ أي من بعد أئمة التاريخ مثل ابن اسحق والطبري ومحمد بن عمر الواقدي والمسعودي ـ إلا مقلد وبليد الطبع والعقل أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ، ويحتذي منه بالمثال ، ويذهل عما أحالته الأيام من الأحوال ، واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال ، فيجلبون الأخبار عن الدول ، وحكايات الوقائع في العصور الأول ، صوراً قد تجردت عن موادها ، وصفاحا انتضيت من أغمادها ، ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها ، إنما هي حوادث لم تعلم أصولها ، وأنواع لم تعتبر أجناسها ، ولا تحققت فصولها ، يكررون في موضوعاتهم الأخبار المتداولة بأعيانها ، انباعا لمن عنى من المتقدمين بشأنها ، ويغفلون أمر الأجيال الناشئة في ديوانها بما أعوز عليهم من ترجمانها ، فتستعجم محفوظهم عن بيانها .

ثم إذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا ، محافظين على نقلها وهما أو صدقا ، لا يتعرضون لبدايتها ، ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها ، وأظهر من آيتها ، ولا علة الوقوف عند غايتها ، فيبقى الناظر متطلعا بعد إلى انتقاد أحوال مبادئ الدول ومراتبها ، مفتشا عن أسباب تناحمها أو تعاقبها ، باحثا عن المقنع في تباينها أو تناسبها ...

ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار ، وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقتصار مقطوعة عن الأنساب والأخبار ، موضوعة عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار ـ كما فعله ابن رشيق في ميزان العمل . وليس يعتبر لهؤلاء مقال ، ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال ، لما أذهبوا من الفوائد ، وأخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد .

« ولما طالعت كتب القوم ، وسبرت غور الأمس واليوم . أنشأت في التاريخ كتابا ، رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجابا ، وفصلته في الأخبار والاعتبار بابا بابا ، وأبديت فيه لأولية الدول والعمران علالا وأسبابا ، ... وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية ، ما يمتعك بعلل الكوائن وأسبابها ، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها حتى تتنزع من التقليد يدك ، وتقف على أحوال من قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك .. »

وبهذا الذي يذكره ابن خلدون في وصف عمله يعيد أسلوب الإمامة والأصالة في كتابة التاريخ . وفي أن كتابته ليست أحداثا تروى وإنما هي علل وأسباب ، ومبادئ وقوانين تحكم الطبيعة البشرية ، وتحكم المجتمع الإنساني ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لايختلف عنها فى بداوته وحضارته أو فى قوته وضعفه ، أو فى تماسكه وانحلاله .

وقد ربط ابن خلدون ـ تبعا لذلك ـ بين أحداث المجتمع وبين المظاهر والخصائص التى يكون عليها فيما عالجه من أحوال المجتمع العربى والمجتمع الإنسانى بصفة عامة . ولم يخضع فى نتائج بحثه إلا لمنطق الأحداث نفسها . وبذلك ارتفع فوق مستوى الأحوال والأوضاع والتقليد والعرف ، وحكم على المجتمع من أحداثه ، وتنبأ من الأحداث بأحوال المجتمع القادمة . وبذلك كانت بداية التاريخ توقفك على نهايته وكان تاريخ مرحلة سابقة يوحى بمرحلة لاحقة ، وكان كتاب التاريخ من أجل ذلك مبتدأ ينتظر الخبر .

والذى نضيفه هنا لابن خلدون ليس تعقبه للأحداث والظواهر واستنتاجه لخصائص المجتمع ، وترقبه لمستقبل الأمم والجماعات فقط . وإنما الذى يجب أن يكون فى الاعتبار الأول لحسابه عندما يقوم عمله هو أنه خرج عن التقليد فى وقت كان التقليد فيه مستحكما . واستعاد لنفسه أسلوب الأصالة والإمامة فى وقت كان يعد الخروج فيه عن التبعية نشازا . ولا نؤاخذ ابن خلدون بعد ذلك إذا لم تكن إصالته هذه فيما فكر وفيما كتب قد بلغت قمتها ونهايتها ، لا نؤاخذه إذا ما وجدنا بعض العثرات أو الهنات فى خط السير وفى المنهج الذى التزمه ، أو فى التصنيف والتبويب لكتابه الذى وضعه . لأن الذى يخرج عن التبعية والتقليد إلى الإصالة والإمامة كافيه أن يكون قد سلك طريق الإصالة والإمامة ، وكافيه أن يكون قد خرج من غور التبعية ، وارتفع بنفسه فوق العمل الإنسانى ليحكم عليه وفوق الأحداث ليراقبها ويشهد آثارها . وقد فعل ابن خلدون ذلك وأجاد فيما فعل وفيما سلك .

(ج) ظواهر المجتمع الإنسانى بين ابن خلدون وفوند :

وإذا أردنا أن نقف على خصائص المنهج ، وعلى الإصالة فى الفكر والكتابة فى مجال التاريخ والاجتماع التى تعرف لابن خلدون ـ فيجب علينا أن نوازن بينه وبين فوند المفكر الذى أرخ للظواهر الاجتماعية للشعوب فى القرن التاسع عشر فى أوربا ، موازنة عامة ندرك منها حتما أن ابن خلدون ـ كان باعث نهضة فى كتابة التاريخ وفى كتابة الاجتماع فى المحيط الإنسانى العام لأنه كان أصيلا فيما كتب .

ابن خلدون تناول الاجتماع الإنسانى وتناول فيه :

(ا) الدولة ، فى نظامها ودواوينها .

(ب) المجتمع ، فى حضارته وبداوته .

(ج) الحضارة ، فى عمرانها وعلومها ، والعلوم فى أنواعها وفى تاريخها .

(د) الاقتصاد فى صناعته وتجارته .

(هـ) الفن ، فى غنائه وفى موسيقاه ، والأدب فى نثره ونظمه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(و) التوجيه ، فى طرقه وفى مناهجه .

وابن خلدون فى تناوله للاجتماع الإنسانى أو للمجتمع وأحواله ، تناوله بالطريقة الرأسية مبتدئا بالبداوة ومظاهرها ثم بالحضارة ومظاهرها ، وعند ماتناول المجتمع بمنهجه الرأسى لم يكن عارضا ولا واصفا ولا حاكيا فقط ، وإنما كان منتزعا للعبرة ، وداعيا للوجهة السليمة فى توجيه الإنسان ، متأثرا بنزعة البحث التاريخى .

ونحن بعد ذلك إذا عدنا إلى كتاب فوند — الذى يعتبر أصلا من أصول فلسفة الاجتماع الحديث ، وكتابة التاريخ البشرى — كتابه « فلسفة الشعوب » — نجد أن فوند تناول فى هذا الكتاب :

(ا) الفن (ب) اللغة (ج) العقيدة (د) الفكر . (ه) الحكم .

وتناول مظاهر البداوة والحضارة فى كل قطاع من هذه القطاعات ، يبتدئ بمظاهر البداوة ثم يثنى بالتطورات التى تحدث فى ذلك القطاع وتصل به إلى أن يكون المظهر الحضارى للمجتمع . فهو فى منهجه يسلك الطريق الأفقى فى تحديد بداوة المجتمع وحضارته .

قد يكون لطريقة فوند هذه أثر تنظيمى فى الوقوف على مظاهر البداوة والحضارة فى جوانب المجتمع البشرى ، أكثر مما لطريقة ابن خلدون فى الوقوف على نفس المظاهر . ولكن ذلك لا يضعف إطلاقا من قيمة ابن خلدون ولا من قيمة طريقته التى اتبعها .

ابن خلدون كان يذكر الحوادث التاريخية ليستخلص منها مظاهر المجتمع ، بينما فوند يذكر مظاهر المجتمع ثم يدلل عليها بالحوادث وابن خلدون فعل ذلك لأنه قصد أولا إلى تدوين التاريخ والكتابة فيه ، بينما عمد فوند إلى الكتابة فى أحوال المجتمع وظواهره بعد أن استنار بمن كتب قبله عن المجتمع البشرى وخصائصه . وفى مقدمة هؤلاء الذين سبقوه بالكتابة ابن خلدون .

نحن لا ننتظر إطلاقا من ابن خلدون فى الوقت الذى قام فيه ليدون التاريخ أن يكون صاحب منهج علمى موضوعى كامل فى الاجتماع على نحو ما فعل ويفعل المحدثون ، وإنما كافيه — كما ذكرنا — أن كان الموقظ الأول والممهد لعلم الاجتماع الحديث بل كان أول الذين خططوا لبنائه ، وقد خرج عن التقليد فى كتابة التاريخ ، واستعاد لنفسه إمامة الأولين وسبق فى كتابة علم الاجتماع . وكافيه مجدا أن كان كذلك من المفكرين الذين حولوا مجرى التفكير الإنسانى فى كتابة التاريخ لدى المسلمين ثم لدى الأوربيين إذ جعله علما إنسانيا وعلما عقليا بجانب كونه أحداثا واقعية .

دكتور محمد البهى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصوم عبادة توجيهية

للأستاذ محمد محمد المدني

---

١ — العبادة لون من ألوان الشكر والاعتراف بالجميل ، ومظهر من مظاهر الحب القائم على تذوق الجمال ، والخضوع القائم على إدراك العظمة والجلال ، وقد يجرى فى عبارات الناس أن يقولوا لمن يبالغ فى شكر إنسان ، أو فى حبه ، أو فى الخضوع له : هو يعبده ، أو كأنه يعبده ، وهو مجاز مستحدث ، وربما كان من الأدب مع الله تعالى ألا يعبر به فى شأن المخلوقين .

والمستحق لأعلى درجات الشكر ، وأعلى درجات الحب ، وأعلى درجات الخضوع ، هو الله جل جلاله ، لأنه هو الذى خلق ، وهو الذى أنعم ، وهو الذى يوالى المخلوقين بالنعماء فى كل لحظة ، فلو أنه تركهم بدون نعمته لحظة واحدة لهلكوا ، فهم مستندون إليه فى أصل الخلق ، لولاه ما وجدوا ، وفى استمرار الحياة والتمكين من السعى والتحرك والعمل والتمتع : لولاه ما بقوا ولا تمكنوا ولا تمتعوا .

والله تعالى مع إنعامه متصف بصفات الجمال والجلال ، ومن شأن النفوس أن تحب من كانت هذه صفاته على سبيل الارتياح إليها ، أو الاعجاب بها ، والتقدير لها . وصفات الله فى ذلك هى أعلى الصفات ، ولله الأسماء الحسنى ، وما أسماؤه الحسنى إلا ينابيع كل حسن وكل جلال ، فهو أجدر من يحب ومن ترتبط به القلوب ، وتحيا على حبه النفوس .

والله — جل جلاله — مع ذلك — قادر غلاب قوى قهار ، وتلك الصفات فيه أعلى فى بابها من كل صفة أضيفت فى ذلك إلى سواه ، فليس لأحد قدرة مع قدرته ، فضلا عن أن يكون له قدرة كقدرته ، وليس لأحد قوة ولا قهر ولا جبروت تقابل ما لله تعالى من ذلك . ومن كان هذا شأنه فإنه بمقتضى العقل مستحق لأن يخضع له مهابة وإجلالا ، وخوفا وإشفاقا .

ومن هذا يتبين أن العبادة واجب على المخلوقين بمقتضى ما عليهم من واجب الشكر وواجب الحب ، وواجب الخضوع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لو أن إنسانا وغل فى صحراء مترامية الأطراف ، منقطعة عن العمران ، ليس فيها إلا الوحوش والهوام ، والظلمات والمخاوف ثم أدركه الجوع والعطش فلم يجد طعاما ولا شرابا ، فأحس بالموت يدنو منه رويدا رويدا ، وهو يسير ضالا على غير وجه ، ثم رأى نفسه فجأة أمام قصر شامخ البنيان تحيط به حديقة غناء ، فيها من الثمار ما لذ وطاب ، وفيها صنابير المياه ، فأكل ماشاء ، ثم دخل القصر فرأى من هندسته وفرشه وبسطه وخدمه ومتاعه ما بهره وأخذ بلبه وجعله يأنس للحياة بعد أن كان قد اعتراه اليأس منها ، ثم رأى صاحب هذا القصر ، فعلم أنه هو الذى وضع نظامه ، ورسم هندسته وقام بكل ما فيه إنشاء وترتيبا وصونا ، ثم قال له : قد أبحتك هذا القصر وما فيه فانزل منه حيث شئت ، وتمتع فيه بما شئت - ماذا يكون حينئذ شعوره بنعمة هـذا المنعم ، وبفضله ؟ وماذا يكون شعوره أمام هذه العقلية المرتبة المنظمة التى قامت على إبداعه وتنسيقه ؟ وماذا يكون شعوره إذا خطر بباله أنه ربما حرم هذا المتاع وأقصى عنه ، إذا تصرف تصرفا غير ملائم لمن أنعم به ؟

لا شك أن نفسه تمتلئ بعوامل يمتزج فيها الشكر بالتقدير والعرفان والحب والإجلال ولا شك أنه يحس بحاجته إلى التعبير عن ذلك كله والإفصاح عنه أمام صاحبه .

هذا هو حكم الفطرة ، وما تقرره العقول السليمة .

فهذه الأرض وما عليها وما يحيط بها ، وما سخر فيها وفيما حولها ، كلها هدية من الرحمن للإنسان .

فلو أنه تعالى كلفنا أن نقوم بأية عبادة لا تستهدف أى هدف لنا فى حياتنا ، ولا تحقق أية فائدة لنا . لكان ذلك بحكم الفطر السليمة ، والعقول المستقيمة ، بحق أنه خالق منعم ، متفضل ، محبوب ، مهيب !

٢ — ولكن الله تعالى عامل عباده بموجب حكمته ورحمته وسابغ نعمته ، فشرع لهم من العبادات - التى هى شكر له ، ومظهر لحبه والخضوع له - ما يلائم مصالحهم ، ويتمشى مع منافعهم ، ويعينهم على أداء رسالتهم فى الحياة ولا يتعارض معها .

فإذا نظرنا إلى أية عبادة شرعها الله تعالى فإننا نجدها تهدف إلى ناحية إصلاحية تصلح عليها حياة الناس ، وتعينهم من قريب أو من بعيد على استقامتهم لها واستقامتها لهم .

ومعنى كونه عبادة توجيهية ، أنه يدفع بالمرء إلى آفاق عملية فى واقع الحياة ، فهو ليس فقط صلة خاصة بين المرء وربه ، ذات طابع فردى محدود ، ولكنه مع ذلك قائد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وموجه إلى أنواع من السلوك ، أو من الفوائد التى من شأنها أن تعود على الآخرين ، ولذلك نستطيع أن نقول : إنه عبادة أراد الله بها أن تكون اتجاها فى طريق الإحسان إلى الناس ؟ شرعها المحسن الأعظم ، والمنعم الأكبر ، فكان محسنا بتوجيهه وبرسم الأسلوب الذى يشكر به ، كما هو محسن بخلقه وإنعامه .

٣ — قلت لنفسى وأنا أكتب هذا المقال : هل هناك عبادات توجيهية ، وعبادات غير توجيهية ؟ واردت أن يكون الجواب على طريقة الاستعراض ، أى أن أستعرض العبادات . واحدة بعد واحدة ، لأرى الفرق بين عبادة وعبادة ، فلم أجد إلا لونا واحدا ، هو العبادات التوجيهية ، حتى العبادات التى يصفونها بأنها أحكام تعبدية أى غير واضحة الحكمة ، ولا معروفة من حيث أسرار التشريع ، فإن لها على الأقل موجبها إلى الطاعة التامة الكاملة ، فإن المرء لا تكمل طاعته بمجرد الامتثال والتقبل فيما يدرك سره ، ويعرف حكمة مشروعيته وإنما تكمل وتصل إلى غايتها ، من حيث هى خضوع لله المنعم المتفضل إذا تقبل وامتثل ، فيما يعرف وفيما لا يعرف ، وفيما ينشط له وفيما يكره ، ومن آداب الجندية أن يطيع الجنود قائدهم فيما عرفوا سره وفيما لم يعرفوا سره على السواء ، « ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » .

وإذن فالعبادات كلها توجيهية ، بل العقائد أيضا توجيهية ، فشهادة ان لا إله إلا الله تجعل المؤمن بها قويا عزيزاً لا يطاطىء هامته إلا لله ، ولا يخشى أحداً إلا الله ، ولا يؤثر على رضا الله شيئا من الأشياء ، وهكذا .

ثم قلت لنفسى : إذن لماذا أعطيت هذا العنوان : « الصوم عبادة توجيهية » ، وربما فهم منه أن هناك نوعا من العبادات صامتا لا توجيه له ؟

والواقع أنه لا مفهوم لهذا ، وأن كل العبادات كذلك لها وظيفة توجيهية إلى الخير والصلاح والتهذيب والبر والاستقامة ، وليس الصوم وحده هو المنفرد بالتوجيه .

٤ — والصوم له صورتان : الصورة الظاهرة ، والصورة الباطنة .

فالصورة الأولى صورة الكف عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

والصورة الثانية كف الجوارح عن الآثام .

وإذا نظرنا إلى المفطرات فى الصورة الأولى ، وجدناها تتناول أى طعام وشراب أو ما إلى ذلك من المفطرات الحسية ، ووجدنا التشريع الفقهى يعنى بتفصيل ذلك وما يفطر وما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا يفطر ، وما تكون فيه الكفارة مع القضاء ، أو القضاء فقط ، أو ما لا قضاء فيه أصلا .

أما الإفطار والمفطرات فى الصورة الثانية فقد جاءت فى كثير من الأحاديث ، ولها نفس الدلالة على الإفطار مثل المفطرات الحسية .

وبذلك نعلم أنه ليس الإفطار فقط بالمفطرات الحسية ، وليس كل من كف عن المفطرات الحسية بصائم ، وليس كل من أفطر بالمفطرات الحسية مفطرا بالمفطرات المعنوية .

ولذلك يقول الإمام الغزالى : كم من صائم مفطر ، وكم من مفطر صائم ، فالمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه من الآثام ، ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ، وفى الحديث الشريف « كم من صائم ليس له من من صيامه إلا الجوع والعطش » وجاء فى الخبر أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا ، فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذناه فى الإفطار ، فأرسل إليها قدحا وقال صلى الله عليه وسلم « قل لهما : قيئا فيه ما أكلتما ، فقاءت إحداهما نصفا دما عبيطا ، ولحما غريضا ، وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه ، فعجب الناس من ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : هاتان صامتا عما أحل الله ، وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما : قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس ، فهذا ما أكلتاه من لحومهم .

وقد أفاض الغزالى فى بيان شروط الصوم الباطنة ، من غض البصر ، وكف السمع ، وحفظ اللسان من الهذيان ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والخنا ، والخصومة ، والمراء ، كما تحدث عن صوم القلوب عن الأفكار الدنيئة ، والأشياء الخسيسة ، وأن المؤمن صائم بهذا المعنى دائما ، مترفع عن التفكير فى الأمور السيئة ، وهو فصل ممتع يدل على ما للصيام من وظيفة توجيهية تهذيبية ، وأنه ليس مجرد تحمل للحرمان مدة من الزمان .

محمد محمد المدنى

استفت قلبك

روى أن زيد الخير سأل النبى عليه السلام فقال :

دلنى يا رسول الله على علامة أعرف بها رضى الله عنى ، فسأله كيف أنت يا زيد الخير ..؟ قال : أحب الخير ، وأحب من يفعله ، وأكره الشر وأكره من يفعله ، فقال رسول الله : هو ذاك .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

طاعة الله ورسوله شئ واحد ...
والمخالفون للرسول محاربون لله تعالى

للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكى

(١) ١ - « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ٢ - ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون . ٣ - ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ، وهم لا يسمعون »

١ - هنا دعوة من الله وتكليف للمؤمنين أن يطيعوا الله ورسوله على وجه الإطلاق : أى فى كل ما جاءهم به من عند الله فى شأن الدين والدنيا .

٢ - ويقترن بهذه الدعوة - أولا - نهى للمؤمنين عن التولى والإعراض عن دعوة الرسول وهم يسمعونه يوم كان فيهم ، ويسمعون القرآن دائما من بعده ، وفى القرآن ما فيه من توجيههم إلى الإيمان بمحمد ورسالته . والأخذ بما ألقى إليهم عن ربه مهما طال الزمن .

٣ - ويقترن بهذه الدعوة - ثانيا - وبالنهى معها - نهى ثان أن يتشبهوا بغيرهم ممن لم يخلصوا فى الإيمان ، وكانوا يتصنعونه ، ويتظاهرون بالإقبال على دعوة محمد والاستماع إلى نصحه وإرشاده ، ويزعمون للناس أنهم سامعون ، وحريصون ، وواقع الأمر فيهم أنهم غير متفقهين لكلامه ولا مصغين إليه ، ولا مفسحين له قلوبهم التى خيم عليها ظلام النفاق والكفر .

فاختار الله تعالى للمؤمنين أن يجنبهم الإعراض كمن أعرضوا ، وأن يجنبهم اصطناع الدين ، وتكلف قبوله ، والإقرار بالسماع ، وهم لا يسمعون كما كان شأن أولئك المرائين .

وليست الدعوة ، ولا النهى فى هذا المقام بالأمر النادر فى كتاب الله ، بل ذلك ديدن مألوف فى كثير من المواطن القرآنية .

لأن كتاب الله فى صدد العلاج للقلوب ، وتربية الأنفس ، وخلق الضمير الإنسانى المهذب ، وتركيز الدين والخلق الفاضل ، لتحقيق الهدف من هذا كله بتوثيق الصلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين العبد وربه ، وبين الإنسان ، وأخيه الإنسان .

فكان من حكمة الله فى مصلحة البشرية أن تتكرر الدعوة ، والنهى للإيقاظ من الغفلة ، ومقاومة النسيان فى الإنسان .

٤ — ونحن نعلم أن الدعوة الإسلامية عامة للناس جميعا ، دون تفرقة بين أحد وأحد « وما أرسلناك إلا كافة للناس ... قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » .

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم ـ قل أطيعوا الله والرسول .. » فالناس جميعا أمة دعوة إلى الإسلام .

ولكن الدعوة فى الآيات المذكورة فى مطلع الحديث موجهة إلى المؤمنين خاصة أن يطيعوا ، مع أن المفروض أنهم أطاعوا وآمنوا ؟ ؟ ! !

وجواب هذا فى توجيهين :

أحدهما ـ أن غير المؤمنين قد انحازوا عن الدعوة إلى ضلالهم ، وإفكهم على الله ، وتعاظموا على طاعة رسوله ، ومقابلته ، فقوبل هذا الإعراض منهم بالإعراض عنهم من جانب الله تحقيرا لهم ، وهوانا بهم ، إذ الإنسانية الواعية لا تتخبط فى باطل ، وتعرض عن الصراط المستقيم .

ثانى التوجيهين ـ أن المؤمنين هم المقبلون على دعوة الله ورسوله فى ثقة بها ، وارتياح إليها ، فاتجه الخطاب إليهم تكريما لهم ، وعناية بشأنهم ، وتكميلا لدينهم الذى ارتضوه حقا عن طمأنينة إليه .

ولعل فى تخصيصهم بالخطاب تلميحا قويا بالفرق بين الجانبين لكل ذى لب .

٥ — وليس يغيب عنا أن مثار هذه الدعوة وما معها من النهى مرتين هو ذلك الموقف الذى وقفه المؤمنون فى غزوة بدر : حين اختلفوا ـ أولا ـ فى دخول الحرب ضد قريش ، وإمعان بعضهم فى الجدل مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إلى رأيه وحاربوا ، وانتصروا ، وحين اختلفوا . ثانيا ـ فى تقسيم الغنيمة أخيرا ، ورغبة فريق منهم فى المفاضلة بين المجاهدين حسبه اختلافهم فى بلاء الجهاد ـ على ما حدثناك من قبل فى مقالين سابقين .

ومع أن الله تعالى تكفل بحسم خلافهم فى الموقفين ، وعاتبهم على ما وقع منهم : كان من تمام فضله أن يزيدهم هداية ، وأن يشد أركان الإيمان فيهم بتعليمه إياهم ما لم يكونوا يعلمون ـ هم لا شك ـ مؤمنون . . ولم يكن جدلهم عن ريبة فيهم ، أو مشاقة منهم . . بل هو الرأى كان يبدو لبعضهم مستحبا ، ولا يحسبونه مأخوذا عليهم ، وهم قوم حديثوا عهد بالإسلام ، ولم تزايلهم تقاليد العصبية جملة لما يرونه ويجنحون إليه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لذلك لم يعتبروا منسلخين من وصفهم بالإيمان ، وإنما هم بحاجة إلى التهذيب ، والصقل . . فبعد أن كان المقام مقام عتب عليهم للجدل والخلاف ، أصبح مقام توجيه إلى الطاعة التامة ، وإلى متابعة الرسول فيما يبلغهم ، والتنزه عما يشبه غمار المعاندين من غيرهم .

هم مؤمنون ، تخلوا عن الكفريات كلها ، والله ينهاهم عن التعثر فيها لتتم فيهم معالم الإيمان وكماله ، فيكون الإيمان والتربية على آدابه من قبيل التخلية عن القبيح ، ثم التحلية بالكمالات على نحو ما يقول العلماء : التخلية ثم التحلية ، وذلك أليق بالمؤمنين ، وهم أمة الإجابة .

فالله تعالى يعلم المؤمنين أن الطاعة لله ولرسوله شيء واحد لا ينفك بعضه عن بعض ...

فلا يقال : مؤمن ولا مسلم على وجه الكمال إلا لمن آمن بالله ورسوله ، بل برسله جميعا . ولئن جاز إطلاق المسلم على من يتظاهر بطاعة الرسول ، دون تصديق بقلبه كما كان شأن المنافقين فإن هذا من باب المجاراة لطاعتهم المصطنعة في الظاهر .

ولكن دين الله لا يتجزأ ، وطاعة العبد لا تتحقق إلا بتمام التصديق بما جاء على لسان محمد . . « من يطع الرسول فقد أطاع الله ـ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ـ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها ، وله عذاب مهين ـ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم . . » وهكذا .

وقد عودنا القرآن أن يقرن بين طاعة الله ورسوله في الذكر للدلالة على التلازم بينها في الواقع : لا للمغايرة بينهما بالعطف كما قد يتوهم من السياق اللفظي ، فهي مغايرة في المفهوم لا في المصداق .

بل جعل الله كلمة التوحيد وهي عنوان الإسلام والإيمان مؤلفة من الشهادة لله تعالى بالوحدانية في ألوهيته ، ولمحمد بالرسالة ، وبدون ذلك لا يتم العقد الديني بين العبد وربه . فمن ظن أن أحد الجانبين من الشهادة ، أو من الطاعة يكفي لدعواه الإيمان والتدين فقد انتقض على ربه فيما شرع ، وأعظم الفرية عليه فيما زعم .

وقد عاب القرآن هذا التشقيق في كثير من الآيات ، وجاءت به السنة ، وأجمع الأمر فيه من البديهيات المعلومة من الدين علما ضروريا ، حتى ليكفر منكره ، أو المتشكك فيه عن شائبة من الريبة .

ومع هذا : فقد أطاش الغرور بعض العقول الواهنة ممن ينتمون إلى الإسلام فخاضوا في بحوثهم بالباطل . . وكتبت مجلة في مصر عن لسان مسلم إيراني « إن ما يخبرنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

به الرسول من أمور الغيب لا يجب علينا التصديق به ، وعلى هذا الضلال لا يتحتم التصديق بكثير من أمور الآخرة - وحقا للرأى وصاحبه .

كذلك شذ فى مصر رجل فألف ونشر كثيراً إنكاره للسنة النبوية بتمامها ، وقصر عقله الكليل على القرآن فقط ، ثم تجاهل ما فى القرآن من توجيهات حتمية إلى الأخذ بالسنة عن الرسول وطاعته ، وليته عرف أن يفهم شيئاً من القرآن ، أو تواضع ، وتفاهم مع غيره ، ولكنه كان بوقا لمن يزجون به ، وينفقون اموالهم ، ويتسترون خلفه ، وما تريث الرجل إلا بانتهاء حياته .

وهذه نزعات يثير غبارها فى البيئة الإسلامية .

وما هى إلا اقتراب من مذهب الوجوديين ، ومحاولات فى التحلل من تعاليم الدين .

والحلال بين ، والحرام بين وستظل تلك النزعات والحمد لله هزيلة وخاسرة .

وقد كان الإعراض عن الرسول ، وإغفال دعوته من قوم يرون الحق ويتغاضون عنه إهمالا للعقول ، واختيارا للضلال ، فصاروا بهذا فاقدين للمواهب الإنسانية ، فكأنهم لا سمع عندهم ، ولا منطق لهم ، ولا جدوى فى عقولهم ، فصح أن يوصفوا مرة بالبهيمية ، أو هم أسوأ حالا من البهائم التى خلقت بلا تمييز فلها عذرها ، إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل» .

وصح كذلك أن يعتبروا شر الدواب التى تعيش على وجه الأرض ، لأنهم تخلفوا عن السمع والطاعة وأفسدوا ، واستهزؤا ، فوضح قول الله فيهم « إن شر الدواب عند الله الصم البكم . الذين لا يعقلون » نعم ! ! كرمهم ربهم بالآدمية ، ومنحهم مواهب الإنسانية ، ولكنهم طرحوها ، وحرفوها عن رسالتها ، دعا شرا بها فى سلبية ، والإنسان لم يخلق للسلبية فى دنياه . وهم بسوء اختيارهم لأنفسهم ليسوا أهلا للإرشاد ، بل لن يزيدهم الإرشاد إلا تماديا فى الضلالة كما علم الله من شأنهم « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » .

فليعش هؤلاء فى معزل عن التبصر ، والهداية . وليظلوا فى طغيانهم يعمهون ، وذلك بما كسبت أيديهم ، وبما كانوا يفرحون فى الارض بغير الحق ، وبما كانوا يمرحون ...

(ب) المرء فى طاعته لله ورسوله بحاجة إلى التثبات وتثبيت الله تعالى .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

٦ — وهذه دعوة تعزز دعوتنا إلى طاعة الله ورسوله . والقصد منها أن تكون الطاعة عن يقين راسخ . فإن الاستجابة لفظ يوحى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالإقبال عن رغبة ، وطواعية ، واطمئنان ، وهذه منزلة فوق منزلة الطاعة ابتداء ، فربما كانت الطاعة عن عوادة وملابنة لا عن تعمق فى الاقتناع والاستسلام ، ودعوة الدين تتعلق دائما باليقين ، وتنشد الإذعان ، والبراءة من الوهن والذبذبة ، فالاستجابة المنشودة هى الطاعة فى أصدق مفهومها ، وأقوم كيانها . وخاصة إذا تيقن المرء أن دعوة الرسول متعلقة بما يكفل الحياة لنا .

فالتخلف عنها موت ، والأخذ بها حياة والنفس لا تعتز بشىء ، ولا تحرص عليه مثل حرصها على الحياة ، ولا تزهد فى شىء ، وتتحاشاه مثل الموت .

فموقف المرء من دعوة الرسول موقف بين حياة يختارها إذا أجاب ، أو موت يتردى فيه إذا أعرض .

وسواء : أكانت الحياة المرادة فى الآية حياة دنيا لما فى الدين من علم ومن أدب ، واستقامة ، وكرامة ، وقيام على العدل ، وسيادة بالمجد ، أم كانت الحياة حياة النعيم فى الآخرة ، والهناءة فيها برضوان الله وجواره : فإنها حياة يقصدها الدين لأهله ، ويدعوهم إلى سبيلها من طريق العلم والعمل . وعندى أنها الحياة الطيبة بأوسع معانيها فى عاجلنا ، وآجلنا ، فتلك دعوة الله والله ذو فضل عظيم ومن لم يفطن إلى نفسه ، ولم يتخذ لها مراشدها ، ويتعهدها بالتزكية فهو ظالم لها بالغفلة عنها ، ويكون هذا فى غير رعاية الله وألعوبة الشيطان .

كما تكون الشاة القاصية عن عين حارسها خطيفة الذئاب .

وبقدر ما يكون للإنسان من رعاية لنفسه واستئناس بدينه يكون فى القلب هداية ، وسكينة . وإيمان ، وإلا حال الله بينه وبين قلبه فلم يجعل للهداية سبيلا إلى وجدانه ، ووكله إلى نفسه ، وهيهات أن تكون له حياة أو نصيب من الحياة التى يبتغيها الراشدون .

وقد كان النبى صلوات الله عليه يكثر فى دعائه من قوله - يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك - حتى سألته أم سلمة رضى الله عنها عن إكثاره من هذا الدعاء ، فقال لها : يا أم سلمة ، إنه ليس آدمى إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله تعالى . فمن شاء أقام . ومن شاء أزاغ ، يريد أن المرء فى قبضة الله ، وتحت سلطانه وهو عرضة للتحول من حال إلى حال حسب ميوله واختياره ، وقد ربط الله بين الأسباب والمسببات ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكره فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى . والله يتولانا برعايته .

عبد اللطيف محمد السبكى
عضو هيئة كبار العلماء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من وحى رمضان :

ربكم أعلم بما فى نفوسكم

للأستاذ محمود الشرقاوى

١ — جاء رمضان ، وبدأ المسلمون يتهيؤون لما يجب عليهم فيه من الصوم والعبادة والصدقة والتوجه إلى الله : امتثالا وطاعة وإيمانا وحبا ، وبعضهم رهبة وخوفا . وآخرون رغبة فى الجزاء والمثوبة .

والإيمان التزام حدده الغزالى فى قوله : « إن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد ، وشهادة بإفراد المعبود ، وشرط تمام الوفاء به ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد ، لأن المحبة لا تقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى » .

هذا الالتزام الذى يصل بالمؤمن إلى المحبة ، وهذه المحبة التى لا تقبل الشركة . هما أساس العبادة الصادقة المقبولة ، والصوم والصلاة والعبادة كلها درجات : أكملها وأقربها إلى قبول الله ما كان أساسه هذا الالتزام والإحساس بالقرب من الله ورقابته .

ولحكمة بالغة يقول الله تعالى — بعد ذكره شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان — لحكمة بالغة يقول الله تعالى بعد ذلك وبعد أمره بصوم رمضان : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » (١) والله القريب العالم بقلوب عباده المطلع على الضمائر المحيط بالسرائر ، لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له . وأن يكون المتعبد العامل صادقا فيه كل الصدق : « وهو الذى أمر الله تعالى به حين يقول « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٢) .

« فمن شرح ذلك : أن يكون العبد يريد الله ، عز وجل ، بجميع أعماله وأفعاله وحركاته كلها ظاهرها وباطنها ، لا يريد بها إلا الله وحده ، قائما بفعله وعمله على نفسه وقلبه ، راعيا لهمه ، قاصدا إلى الله تعالى بجميع أمره ، لا يحب مدحه ولا ثناءه ، ولا يفرح بعمله إذا اطلع عليه المخلوقون ، فإن عارضه من ذلك شىء انقاه بالسرعة والكراهية ولم يسكن إليه . لكن إذا أثنى عليه أحد .

(١) البقرة : ١٨٤ — ١٨٦ .
(٢) الكهف : ١١٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حمد الله على ستره عليه حين وفقه لخير رآه العباد عليه .

نعم . ثم يخاف عند ذلك من عمله الردىء وسريرته القبيحة التى خفيت على الناس ولم تخف على الله فأشفق من ذلك وخاف أن تكون سريرته أقبح من علانيته . فهكذا يروى فى الحديث : « السريرة إذا كانت أقبح من العلانية فذلك الجور ، وإذا استوت السريرة والعلانية فذلك العدل ، وإذا فضلت السريرة على العلانية فذلك الفضل » ثم يقول أبو سعيد الخراز : « فالواجب على العبد أن يخفى عمله جهده حتى لا يطلع عليه إلا الله تعالى ، فذلك أبلغ فى رضا الله عز وجل وأعظم فى تضعيف الثواب وأقرب إلى السلامة وأوهن لكيد العدو وأبعد من الآفات . وروى عن سفيان الثورى ، رحمه الله أنه قال : « ما أعبؤ بما يظهر من عملى » . ويروى فى الحديث : « إن عمل السر يفضل عمل العلانية سبعين ضعفا »[1] .

حتى الجهاد فى سبيل الله ، لا بد له من الإخلاص والتجرد من الرياء ومن كل شىء يقصد ويراد ، سوى « سبيل الله » هذه : عن أبى موسى قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، فأى ذلك فى سبيل الله ... ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله »[2] حتى من كان ، فى جهاده وعبادته ، يقصد الثواب وحسن السمعة ، لا شىء له : عن أبى إمامة قال : « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فقال له : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ... ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شىء له ، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شىء له . ثم قال : إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه »[3] .

والصوم والعبادة أثر من آثار الإيمان . والإيمان الحق — كالعبادة الحقة — لا بد لها من الإخلاص عن النفاق والغرض وسوء الخلق : الكذب والخلف والفجر فى الخصومة وغيرها .

يقول الغزالى : « وأما ارتباطه — أى الإيمان — بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم

---

(١) أبو سعيد الخراز « للتصوف » : « الطريق إلى الله » ص : ١٨ — ١٩ .

(١) رواه الجماعة .

(٢) رواه النسائى وأحمد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنه مؤمن : « من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا خاصم فجر » وفى بعض الروايات « وإذا عاهد غدر » . وفى حديث أبى سعيد الخدرى : « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد ، فأى المادتين غلب عليه حكم له بها » .

وقال بعض العلماء : « أقرب الناس إلى النفاق من يرى أنه برئ من النفاق » .

والمؤمنون الصالحون يخافون النفاق ويخشون أن يدخل نفوسهم ويتسرب إلى قلوبهم فيحبط ما قدموا من عبادة .

سمع الحسن أن قوما يقولون إنهم لا يخافون النفاق ، فقال : والله لأن أكون أعلم أنى برئ من النفاق أحب إلىّ من قلاع الأرض ذهبا . ثم قال : إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية .

٢ — ورمضان موسم من مواسم البر والصدقة . والصائمون يعرفون ويتلون الحديث الشريف الذى يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وأجود ما يكون فى رمضان » .

إذا جاء رمضان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجود بالخير من الريح المرسلة . والله تعالى يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

وقد يجد بعض المؤمنين أنه ليس عندهم فضل مال أو شىء يتصدقون به ويحسنوا ، وهؤلاء أيضا يستطيعون أن يحسنوا ويتصدقوا ولهم عند الله ثواب المحسن المتصدق : دلهم النبى الكريم على هذه الصدقة المحمودة المقبولة حيث قال : إفراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وتبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن طريق الناس لك صدقة ، وهدايتك الرجل فى أرض الضالة صدقة (١) .

وهذه كلها صدقات سهلة يسيرة هينة البذل . يستطيعها من عنده من المال فضل فتزيد من حسناته وأجره على ما يبذل من ماله . ويستطيعها من ليس عنده فينال عنها أجر المتصدق . ويزيد بها حياته وحياة الناس سعادة ورواء وبهجة .

ولهذا البر وهذه الصدقة آداب بل شروط أوجبها الله وأمر بها : « قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى » (٢) « يا أيها الذين

(١) أخرجه الترمذى ورواه البخارى فى باب الأدب المفرد .
(٢) ٢٦٣ — البقرة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا » (١).

فهذه آيات بينات حدد الله فيها آداب الصدقة المقبولة، فيها من القوة والبيان والإيحاء ما يغنى عن كل تفسير، بل إن كل تفسير لها هو أضعف منها وأقل أثرا وقوة وبيانا.

وإخفاء الصدقة من آداب البر التى أمر بها الله: « إن تخفوها وتعطوها الفقراء فهو خير لكم » (٢).

وفى الحديث الشريف: « أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير فى سر » (٣) وفيه أيضا: « ثلاث من كنوز البر، منها إخفاء الصدقة » (٤).

ومن آيات الإنجيل: طوبى لمن لا تعرف يمناه ما تقدم يسراه من الخير.

« إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا محضا » كما يقول الإمام الشوكانى. ولأمر جليل واضح جعل الإمام البخارى مفتتح أحاديثه فى: « الجامع الصحيح » هذا الحديث الشريف: « إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى »، وقد أدرك هذه الغاية

(١) ٢٦٤ ـ البقرة ـ
(٢) ٢٧١ : البقرة .
(٣) رواه أحمد وأبو داود .
(٤) رواه ابن عباس .

وصرح بها شارح الجامع الصغير حيث يقول إن البخارى « بدأ بهذا الحديث إنتباها على تصحيح النية والإخلاص من كل أحد، من العالم والمتعلم » .

٣ ـ والعجب والغرور والمخيلة مما يحبط صالح العمل: « وهكذا روى عن أبى الدرداء، رضى الله عنه، أنه قال: (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم .. ! كيف غنموا سهر الحمق وصيامهم. ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أوزن عند الله من أمثال الجبال من أعمال المغترين) (١).

إن الله تعالى لا يقبل صلاة رجل مسبل إزاره (٢) أى يرخى ثوبه إلى أسفل كعبيه اختيالا، وعجبا.

فالعبرة فى العبادة إذن ليست بالقدر والكمية. ولكنها بالكيفية والصفاء والإخلاص.

فى ذلك جاء الحديث الشريف: « عن أبى هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله: فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، قال: هى فى النار. قال: يا رسول الله: فإن فلانة، يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها،

(١) أبو سعيد الخراز: « الطريق إلى الله » ص: ٥٣ .
(٢) شرح العزيزى على الجامع الصغير .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأنها تصدق بالأتوار (١) ؟ ، الأقط (٢) ولا تؤذى جيرانها بلسانها ، قال : هى فى الجنة » (٣) .

فعبرة هـــذه العبادة وأثرها فى النفس وهيمنتها على الضمير والسلوك هى القياس الصحيح لهذه العبادة : صلاة أو صياما أو صدقة .

العبادة الكاملة هى التى تجعل صاحبها كاملا والتى يشعر مؤديها بأنه قد « أسلم » روحه ووجهه وحواسه لله حقا : « فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن » (٤) . « وأمرت أن أسلم لرب العالمين (٥) » . « ومن يُسلم وجهه إلى الله ، وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى (٦) » .

العبادة الكاملة المقبولة المبرورة ، صوما أو غيره ، هى التى يحس مؤديها ، بكل كيانه وفكره ، أنه قد وجّه وجهه لله حقا ، لا يشرك معه سواه ، ولا يخشى أو يرجو إلا إياه . هو الذى يقول - بقلبه ولسانه - : « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا المشركين (١) » .

والذى يحس أثر هذا « التوجه » وهذا « الإسلام » فى كل ساعة ولحظة من نهاره وليله . ثم يجد من ذلك كله حاكما ومهيمنا على سلوكه وضميره وعمـــله وخطرات نفسه وأحاسيس قلبه : عبادة وصفها الرسول الكريم إذ يقول : « إنما الصلاة تمكّن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم ، وتضع يديك فتقول : اللهم اللهم ، فمن يفعل فهو خداج (٢) » .

وهى التى يصفها الرسول الكريم فى قوله : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » ، ويصفها القرآن الكريم فى قوله : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر » .

هى صلاة رسول الله التى وصفتها عائشة فقالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » إنصرافا بوجهه وقلبه وإحساسه كله لمن وجه له وجهه .

و « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب » كما يقول الحديث الشريف .

و « إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » .

---

(١) فى النهاية من غريب الحديث والأثر : التور إناء من صفر أو حجارة قد يتوضىء منه وقد يشرب فيه . يشير الحديث إلى أنها كانت تتصدق بالشىء القليل .

(٢) الأقط ، أو الإقط شىء يتخذ من اللبن المخيض : الإبل خاصة أو للمز .

(٣) مسند أحمد : ص ٤٤٠ الجزء ـ ٢ .

(٤) : ٢٠ آل عمران .

(٥) : ٦٦ غافر .

(٦) : ٢ لقمان .

(١) : ٧٩ الأنعام .

(٢) تفصان من خدجت الناقة أى ألقت ولدها قبل تمام أيامه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه ، فبيناهم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود، فقالوا : يا رسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه ، فقال صلى الله عليه وسلم : أرى على وجهه سفعة من الشيطان ، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم ، فقال النبى صلى وسلم : نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك ؟ فقال : اللهم نعم (١) .

وكان النبى عليه السلام : صفوة الخلق وأطهرهم ، يثوب إلى الله مستغفرا فيقول : « اللهم إنى أستغفرك لما علمت ، ومالم أعلم، فقيل له : أتخاف يا رسول الله ؟ فقال : وما يؤمننى والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » .

٤ ـ أما أهل التصوف ، وهم الصفوة . فهم يخشون الفتنة من العبادة والمكانة ويخافون غرور النفس بذلك حتى يقول واحد من كبارهم هو سرى السقطى : « لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها فقال : السلام عليك يا ولى الله ، فسكنت نفسه إلى ذلك ، كان أسيراً فى يديها » .

والعبادة التى يقبلها الله هى التى يتحرك بها القلب ، وتخشع لها النفس ، ويصفو منها الضمير ، وينسى فيها المتعبد كل ما فى الدنيا من مال ومتاع وشىء . يقول الرسول الكريم : « من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشىء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وهى عبادة الخشوع والخضوع والاستسلام والتبتل التى يعرفها ويتعبدها ويتأدب بأدبها : « عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

٥ ـ والصوم والصلاة والعبادة كلها درجات ، كما قلنا من قبل : « صوم العموم ، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص » . أما صوم العموم : فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة . وأما صوم الخصوص : فهو كف السمع والبصر واللسان ، واليد والرجل ، وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص: فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية » (١) .

هذه درجات ثلاث العبادة والصوم . فاختر لنفسك ما ترضى . وضع صومك وعبادتك حيث تريد أن تضعهما من قبول الله .

محمود الشرقاوى

(١) رواه أحمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس

(١) الغزالى فى الإحياء : ص ٣٨ الجزء ٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تركستان
ومكانتها فى تاريخ الاسلام

للأستاذ م. روحى أويفور

— ٢ —

أحرز الغزنويون مقاما مرموقا حيث أسسوا الدولة الغزنوية التى قامت فى سنة ٣٥١ هـ إلى سنة ٥٨٢ هـ ومن أشهر رجال هذه الدولة بل من أشهر أعلام الإسلام فيها محمود سبكتكين الذى وطد ملكه ووسع فتوحاته فى الهند إلى ما وراء كشمير والبنجاب ومنها إلى نهر الكنج حتى وصل إلى إقليم كجرات ، ومن الجانب الآخر استولى على بخارا وما وراء النهر ومنها تقدم إلى جورجيا غربا ـ وهو الذى حطم الصنم الشهير سومنات فى كجرات وقد عاش خلفاؤه فى لاهور فحكموا فيها زهاء ١٥٠ سنة ويكفى أن نقتبس ما قاله بارتولد فى شأنهم ـ كان لعهد محمود الغزنوى أهمية كبرى فى تاريخ الشرق كله حيث وصل نظام الحكومة الإسلامية فى عهده إلى أرقى درجاته ـ وبالإضافة إلى ما اشتهر به محمود الغزنوى من فتوحاته فقد اشتهر بالعدل والنصفة وحب العلماء والمشائخ وتقريبهم إليه وحثهم على نشر العلوم والمعارف وقد أسس فى غزنى ـ التى كبرت واتسعت وازدهرت فى عهده ـ أكبر جامعة للعلوم والفنون جمع فيها صفوة من نوابغ العلماء والفضلاء ومن بينهم الشاعر الفارسى الشهير صاحب الشاهنامة الفردوسى ـ وأبو القاسم أحمد بن حسن الميمندى ، وأبو الفتح البستى الذى كان كاتب سره ومستشاره ، وأبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي مؤرخ الدولة الغزنوية الكبير ، والفيلسوف الإسلامى الكبير أبو على بن سينا ، وأبو الريحان البيرونى صاحب كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ، وأبو سهل المسيحى وابن الخمار ، وأبو نصر العراق وغيرهم من مشاهير العلماء والفضلاء .

(عهد السلجوقيين) ـ وقد كان لظهور السلجوقيين أثر بارز فى تاريخ التركستان فقد أسسوا فيها دولة مرموقة استمر سلطانها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من سنة ٦٢٩ إلى سنة ٧٠٠ هـ وقد اتصف عهدهم بالازدهار العلمي والثقافي وبرز من بينهم علماء ومفكرون منهم نظام الملك وزير ألب وابنه ملكشاه ، والمفكر الإسلامي الكبير الإمام الغزالي وعمر الخيام والحريري صاحب المقامات . كما ظهر السعدي وحافظ الشيرازي في عهد أتابكية فارس التي كانت من بقايا السلجوقيين الحكام فيها منذ سنة ١١٦٧ م وكذلك جلال الدين الرومي الذي عاش في قونيه والذي كان يحظى برعاية علاء الدين كيقباد الأمير السلجوقي في آسيا الصغرى .

(عهد الخوارزميين) وقد استطاع الخوارزميون أن يؤسسوا أمبراطوريتهم على أنقاض الأمبراطورية السلوقية ـ ولولا ما أشغلهم من غزو المغول ـ ولو أن الحوادث أمهلتهم لاستطاعوا أن يسيطروا على عاصمة الخلافة وأن يتخذوا لأنفسهم ذلك المركز الذي اتخذه البويهيون والسلاجقة من قبل ـ غير أن الحوادث عاجلتهم وأفزعهم المغول في حرب لم يعرفها المسلمون قبلهم .

ومع ذلك وفي غمار هذه الحرب الدامية التي سادت الشطر الأكبر من حكمهم رأينا كثيرين من الأدباء والشعراء والكتاب يبرزون في عهود سلاطينهم المختلفة وبفضل تشجيعهم للعلم والأدب نبغ كثيرون ممن كتبوا باللغة الفارسية في شتى النواحي من بينهم زين الدين أبو إبراهيم إسماعيل بن حسن الجرجاني الذي قصد خوارزم سنة ٥٠٦ هـ والذي عاش هناك في كنف الخوارزميين ردحا طويلا من الزمن إلى أن توفي سنة ٥٣١ هـ وله كتاب باسم ذخيرة خوارزمشاه وهو من كتب الطب الشهيرة . ومن الكتاب البارزين أيضا رشيد الدين محمد عبد الجليل البلخي الذي كان يلقب بالوطواط بسبب قصر قامته وقبح منظره وكان شاعر البلاط الخوارزمي وقد ألف كتابا اسمه حدائق السحر في دقائق الشعر وهو من أقدم المؤلفات الفارسية المعروفة التي تعالج صناعة الشعر وله كتب في اللغة العربية أيضا ، وقد استمر الوطواط في خدمة الخوارزميين في عهد كل من السلطانين إيل أرسلان وابنه علاء الدين تكش ـ وكان علاء الدين خوارزمشاه وابنه جلال الدين منكبرتي يهتمان بالعلم والأدب ويقلدان من يبرز من العلماء والأدباء والشعراء بعض مناصب الدولة العامة ـ ومن هؤلاء حمزة بن محمد الذي تقلد بعض المناصب المختلفة في الدولة وقد ولي حاكما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على مدينة مساء وكان يجيد نظم الشعر العربي والفارسي ومنهم أفراد أسرة الجويني الذين عظم نفوذهم ووصل بعضهم إلى أرقى مناصب الدولة في عهد علاء الدين خوارزمشاه وجلا الدين منكبرتي وقد حفل برعايته محمد النسوي الذي ألف كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي عن الدولة الخوارزمية .

ولم يقتصر تشجيع الخوارزم على رجال العلم والأدب فحسب بل أسسوا المدارس في مختلف المدن وعلى الخصوص الكبرى منها ، وعينوا فيها كبار العلماء والفقهاء والأدباء في الدولة للتدريس فيها ، ومنهم شهاب أبو محمد ابن عمران ، وكان من المتضلعين في أصول المذهب الشافعي وفي الطب واللغة أيضا وكان لعلو منزلته في الدولة أن عهد إليه بالتدريس في خمس مدارس بمدينة خوارزم وإليه يرجع الفضل في تأسيس دار الكتب فيها .

(عهد المغول وأثره في التاريخ الإسلامي)

ولقد كانت فترة غزو المغول على يد جنكيز خان في بلاد غربي آسيا فترة عانى فيها المسلمون الشيء الكثير من الخراب والتدمير وسفك الدماء - ثم جاءت بعد ذلك فترة أخذ المسلمون فيها يصلحون ما أفسده جنكيز خان وأعوانه كما بدأ المغول يكفرون عما ارتكبوه فحاولوا إصلاح ما أفسدوه ، واستغل المسلمون هذه الروح الطيبة منهم - على أن المسلمين لم يعدموا وسط موجات الاضطهاد أناسا يعطفون عليهم ويؤمنون بالإسلام . فاعتنق كورجوز حاكم فارس من قبل أوجتاى خان الإسلام في أواخر أيامه ، وقد تم النصر الحقيقي للمسلمين باعتناق بوركه خان رئيس القبيلة الذهبية للإسلام سنة ٦٥٤ ، ٦٦٦ هـ . وخاصة بعد أن تبعه السواد الأعظم من أتباعه بل يمكن القول بأن كل رجاله وجيشه كانوا من المسلمين ، وكان من أثر ذلك أن توطدت العلاقات بين بوركه خان والظاهر بيبرس في مصر بل تحالف الفريقان ضد عدوهما المشترك الذي يتمثل في أسرة هلاكو .

وبمرور الزمن قوى نفوذ المسلمين حتى أن تكودار أحمد سنة ٦٨٠ - ٦٨٣ هـ اعتنق الإسلام وكان مسيحيا من قبل واسمه نقولا وكان يقوم بالدعوة إلى الإسلام الدين الجديد ويجزل العطايا والمنح وألقاب الشرف على رجال دولته لمن يعتنقه منهم وقد لجأ في دعوته للإسلام إلى طريق الترغيب دون إكراه أحد على الدخول فيه .

وعندما تولى غازان محمود سابع إيلخانات المغول في فارس الحكم ٦٠٤ هـ — ٧٠٣ هـ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اعتنق الاسلام وجعله دين الدولة الرسمي — ومنذ ذلك الحين أخذ الإسلام ينتشر بسرعة فائقة فى دولة إيلخانات المغول فى فارس واختلاط المغول بالمسلمين فى الشرق قد أدى بطبيعة الحال إلى خلق جيل جديدمن المغول والعرب نتج عنه تجديد فى الحياة العقلية والفكرية والثقافية وبرز علماء تسنموا الذروة ومن أشهرهم فى عهد هولاكو نصير الدين الطوسى الذى امتاز بأبحاثه فى علم الفلك وقد شجعه المغول فأسسوا له مرصداً كبيرا فى مدينة فراغة وسمى ذلك المرصد باسم مرصد الإيلخانية ، ومنهم أسرة الجوينى الذين أسبغوا عليهم عطفهم وعطاياهم الجزيلة وكان لهذه الأسرة قصب السبق فى نشر العلوم والمعارف ، ومن نبغ منهم علاء الدين عطا ملك الجوينى مؤلف تاريخ جهان كشاى كوينى الذى تعمق فيه بالبحث عن تاريخ المغول منذ نشأتهم حتى سنة ٦٦٦ هـ أى إلى عهد منجو خان . ومن المؤلفين الذين ظهروا فى عهد مغول فارس أيضا رشيد الدين فضل الله الهمذانى وكان من المقربين إلى كل من أباقا خان وغازان وأولجايتوا ويرجع نشر اللغة الفارسية فى بلاد الهند وآسيا وجعلها لغة البلاط المغولى فى الهند إلى العلماء والأدباء والشعراء الذين هاجروا إلى هذه البلاد — وقد كان منهم متصوفون طبعوا الشعر الذى خلفوه وراءهم بروح التصوف العالية .

وما دمنا قد تطرقنا فى الحديث عن المغول بإيجاز لا بد لنا من الاشارة إلى الأعمال العظيمة التى قام بها تيمور وأولو بك وشاهبرج ومحمد حسين بابقرا وغيرهم خصوصا الاشارة إلى ذلك الرجل العظيم ظهير الدين بابر مؤسس الأمبراطورية المغولية التى ازدهرت فى الهند .

وقد تحدث مؤرخون كثيرون عن تيمور فوصفوه بأنه يشبه نابليون إلى حد كبير وقال عنه هارولد لامب إننا نجد قليلا فى التاريخ مثل تيمور ما عدا اسكندر المقدونى الذى استطاع أن يتوج غزواته بالفتح والنصر كما يرجو — بل كان تيمور نابليون آسيا وكان رجلا صلبا حديدى العزم قوى الإرادة لا نظير له وكان سر نجاحه فى قوة إرادته وصلابته فهو لم يتزعزع ولم يتراجع وكانت له جاذبية خاصة فى السيطرة على رجاله وكانت له قدرة فائقة فى حل معضلات المسائل مهما تشعبت وكانت له قوة ذاكرة خارقة للحفظ حتى كانت أقل المسائل لا تغيب عن ذهنه وكان ينتهز كل فرصة لاستغلالها وقد استطاع أن يحشد جيوشا جرارة وأن يدربها ويمرنها أحسن تدريب وتمرين — ويختلف وجه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشبه بينه وبين نابليون فى شىء واحد هو أن نابليون انتهت به عظمته فى سانت هيلانه منهوك القوى محطم الأعصاب بينما مات تيمور وهو زاحف بجيشه الجرار على الصين ولم يعرف الهزيمة قط ، وتحدث عنه سير برسى سايكس - فقال إننا لا نجد فى أدوار التاريخ فاتحا أنجز أعمالا عظيمة بالسيف ونال مقاما ممتازا كتيمور .

وقد ازدهرت سمرقند فى عهد تيمور كما ازدهرت هرات فى عهد شاهبرج وحسين بايقرا وغيرهما من آل تيمور — وكانت بخارى مركزا من مراكز النشاط العلمى والثقافى والأدبى والفنى واتصل هذا النشاط عن طريق العلماء والأدباء والشعراء والفنانين ببلاط بابر وأكبر وشاهجهان فى دهلى وبلاط الأرغونيين والقرغانيين والترغانيين والتالبوريين فى تاتته بالسند وغيرها من مراكز النشاط العلمى والثقافى ، وكان ممن برز فى ذلك العهد كمال بهزاد الرسام المعروف وخاتم الشعراء مولانا جامى والشاعر التركى المعروف أمير على شير نوائى وزير حسين بايقرا وغيرهم . فقد كانوا أشهر من رجال العلم والأدب فى ذلك العصر الذهبى وكان حسين بايقرا نفسه شاعرا يحب العلم والعلماء ويشجعهم وديوانه يقرأ ويعتز به فى بلاط الملك حسين أرغون فى السند وغيرها من بلاد شبه القارة الهندية الباكستانية .

أما بابر الأمبراطور العظيم فإن أعماله لا تحتاج إلى الإشادة والتبجيل — ونكتفى بالقول بأنه بدأ حياته مهاجرا من وطنه تركستان فقيرا لا يلوى على شىء ولا يحمل معه سوى همته العالية وإرادته الصلبة القوية فجاء إلى الهند فاتحا ظافرا فأسس إمبراطورية المغول الإسلامية العظيمة ووضع أسسها وأحكم دعائم بنيانها قبيل سنة ٧٦٨ هـ والتى ظلت قائمة إلى القرن الثامن عشر الميلادى والتى انتهت بمأساة نفى آخر أباطرة المغول بهادر شاه ظفر . غير أن الإسلام الذى وطدت أركانه فى هذه البلاد العريقه أبى إلا أن يستعيد مجده بظهور دولة باكستان العظيمة التى ترنم بها شاعر الإسلام إقبال والتى تم تأسيسها على يد القائد الأعظم محمد على جناح والتى يقود زمامها ويدير دفة سفينتها بحكمة ومهارة الآن إلى شاطىء الأمن والسلامة الرئيس الملهم محمد أيوب خان .

منقول عن مجلة « العرب الهندية »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من معاني القرآن

« قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ، أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ».

الأودية جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة

والزبد بفتح الباء هو الرغوة التى تطفو فوق سطح الماء .

وضرب الأمثال صنعها لتشبيه حال بحال.

البقاء للأصلح :

الله الذى خلق كل شيء ، الواحد الذى لا شريك له فى الملك والخلق والحكم . القهار الذى يخضع له كل شيء طوعا أو كرها ، أنزل من السحاب ماء ، وخلق فى الأرض معادن ، وجعل من الماء حياة الإنسان والحيوان والنبات ، ومن المعادن أدوات انتفاع ودفاع ومتاع ، وقد تكفل سبحانه بنصرة الحق وأهله وجعل مثله الماء الذى ينزله من السماء بمقدار ما ينفع الناس وتسعه الأودية فتجرى به الأنهار وتتفجر به العيون والآبار ، والمعادن التى تصهر بالنار لتخلص من خبثها ومن المواد الغريبة عنها ، وجعل مثل الباطل الزبد الذى يطفو فوق سطح الماء وعلى وجه السوائل المنصهرة من المعادن ، فكما أن الماء يبقى فى الأنهار والآبار ويبقى أثره أو يمتد وجوده فيما نرى من أشجار وثمار وسائر مظاهر الحياة فى الإنسان والحيوان ، وكما أن المعادن تبقى وينتفع بها الناس أدوات للزينة أو أدوات أخرى كالأوانى للمتاع ، أو أدوات الدفاع كالسيوف والدرع والمدافع ، كذلك الحق وأهله ، يبقى ويبقى أهله مصدرا للخير والنفع العام ، أما الباطل فإنه كالزبد يجفوه السيل ويرمى به فلا يبقى ولا ينفع . بل يذهب كالهباء فى الهواء ، وهذا المثل الذى ضربه الله للحق والباطل تفسير لحقيقة الحق والباطل ، فإن معنى الحق كما ذكرنا أو أشرنا لا يكاد يخرج عن معنى الثبوت والخير والاستمرار ، أما الباطل فمعناه مالا فائدة منه ولا خير فيه . ولا دوام له ، وصدق الله إذ يقول ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، نسأل الله أن يرينا الحق حقا فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه .

عبد الرحيم فودة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الباحثون عن الجوهر فى رأى الغزالى :

الغزالى والمتكلمون

للدكتور عبد الحليم محمود

يحتل البحث فى نظرية المعرفة مكانا كبيراً فى العصر الحاضر ، حتى لقد رأى بعض المفكرين أن نظرية المعرفة إنما هى نظف الفلسفة

وإنه لمن الطبيعى أن يبحث الإنسان فى فى الوسائل التى تؤدى به إلى الهدف الذى يريده . ومن هنا كانت أهمية نظرية المعرفة فى الفلسفة الحديثة .

بيد أن البحث فى هذا الجانب أصبح فى العصر الحاضر كأنه هدف لا وسيلة ، فأصبحت نظرية المعرفة تدرس لنفسها ، كأنها جزء من الفلسفة .

ومن الواضح أنه من الانحراف عن الطريق الفلسفى المستقيم أن يوجد إنسان يستمر طيلة حياته يبحث فى نظرية المعرفة من جميع أطرافها وتقتصر على ذلك فلا يتخطاه إلى المعرفة نفسها ، ومع ذلك يطلق عليه الباحثون لقب « فيلسوف » .

ومن أجل ذلك أخذ بعض المفكرين يتهكمون على بعض دارسى الفلسفة فى العصر الحديث ؛ لأنهم يشغلون أنفسهم بالوسيلة عن الغاية . أى يشغلون أنفسهم بنظرية المعرفة ولا يلقون بأنفسهم فى خضم المعرفة نفسها يرتشفون منه وينهلون ...

— ٢ —

وشغلت نظرية المعرفة الإمام الغزالى ، لقد فكر فى وسائل المعرفة ودرسها ، وانتقدها ، وسواء كانت الوسيلة : هى الحس ؟ أو هى العقل ، فإنه قدر كلا حق تقديره ووضعه فى مكانه المناسب له . وسنتحدث عن ذلك حينما نتحدث عن موقفه من الفلسفة .

وشغل نفسه بنظرية المعرفة من حيث الاتجاهات والطرق والسبل التى سارت فيها طوائف مختلفة من الباحثين فوصلوا إلى نتائج مختلفة تتفق أحياناً وتختلف وتتعارض فى كثير من الأحايين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبدأ بحثه فى هذا الجانب بحصر الطالبين للحق السالكين سبيله سواء كانوا سائرين على الطريق الصحيح أو متنكبين سواء الصراط .

فوجدهم لا يعدون أربع فرق :

١ ـ المتكلمون : وهم يدّعون أنهم أهل الرأى والنظر .

٢ ـ الباطنية : وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم ، والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم .

٣ ـ الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .

٤ ـ الصوفية : ويدعون هم أنهم خواص الحضرة ، وأهل المشاهدة والمكاشفة (١) .

وهذا الحصر « السالكين سبل طلب الحق » أوسع مما تبحث فيه الفلسفة الحديثة . إذ الفلسفة الحديثة تهمل إهمالا يكاد يكون تاما طريقة المتكلمين ، وتهمل أيضا إهمالا يكاد يكون تاماً هؤلاء الذين يزعمون أنهم « أصحاب التعليم ومن المخصوصين بالاقتباس من الإمام المعصوم » .

ويبدأ الإمام الغزالى ، بعد هذا الحصر ، بالبحث فى عمق فى هذه الطرق واستقصاء ما عندها مبتدأ بعلم الكلام .

وعلم الكلام ، الذى كان على عهد الإمام الغزالى ، هو علم الكلام الذى ندرسه الآن ، فإذا تحدث الإمام الغزالى عنه فليس ذلك الحديث مختصا بالفترة التى عاش فيها الإمام الغزالى ، وإنما هو عام يصل إلى العصر الحاضر ، وإلى هذا النهج من الدراسة الموجودة فى كتب علم الكلام المتداولة الآن .

وإذا تحدث عنه الإمام الغزالى فإنما يتحدث حديث الواثق الخبير ؛ فقد حصّل وطالع كتب المحققين فيه وصنف فيه ما أراد الله أن يصنف ، ثم كان له فى النهاية رأيه الشخصى .

وهذا الرأى الشخصى رأى جرىء حاسم يتفق حقيقة مع الوضع الإسلامى الصحيح ، ولكن الظروف أوجدت الإمام الغزالى فى بيئة كان لعلم الكلام فيها ـ على ما هو عليه ـ قداسته واحترامه ؛ فحاول الإمام الغزالى أن يعلن رأيه على أساليب مختلفة وعلى أنماط متعددة منها المجامل الرفيق الذى لا يرضى كل الرضا ولكنه يتسامح فى أسلوبه ويجامل فى تعبيراته ويعطف ويشفق ومع ذلك يتبين فى وضوح أن الوضع خطأ ، وفى أحيان أخرى تضيق نفسه بالوضع الخاطئ فيغضب ويثور ويحسم الأمر فى أسلوب قوى ، وفى حدة ، ما كان الإنسان يتوقعها من صاحب « الاقتصاد فى الاعتقاد » .

(١) المنقذ من الضلال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن أجل أن يكون رأى الغزالى مقنعا ، ومن أجل أن يأخذ رأيه المكانة التى يريدها والذيوع والانتشار الذى يطمح إليه أخذ يستشهد بآراء أئمة السلف فى علم الكلام كالإمام مالك والإمام الشافعى والإمام أحمد ابن حنبل وغيرهم من السلف الصالح الذين نؤمن بسعة علمهم وبإخلاصهم وباتباعهم النهج الدينى الصحيح .

والآن نذكر رأيه فى صورته الحاسمة : إنه يتحدث عن الكلام فى كتابه النفيس « إحياء علوم الدين » فيقول : « وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه ، وهيهات ، فليس فى الكلام وفاء لهذا المطلب الشريف . ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف هذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا ، فاسمع هذا من خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك إلى التعمق فى علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود [1] » .

ويرى الإمام أن المتكلم لا يزيد على العامى إلا فى صنعة الكلام ، ولأجله سميت صناعته كلاما .

أما إذا تساءلت عن إيمان المتكلمين فإن إيمانهم « ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام [1] » .

ويروى الإمام الغزالى أن « جميع أهل الحديث من السلف ذهبوا إلى تحريم الكلام ، وإلى التحريم أيضا ، ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان » .

وسنكتفى هنا بذكر رأى الإمام الشافعى ورأى الإمام أحمد بن حنبل بحسب رواية حجة الإسلام :

« قال ابن عبد الأعلى رحمه الله : سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول : لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشىء من علم الكلام . ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه ، وقال أيضاً : قد اطلعت من أهل الكلام على شىء ما ظننته قط ، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام .

وحكى الكرابيسى أن الشافعى رضى الله عنه سئل عن شىء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله .

ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد ، فقال له من أنا فقال :

(١) الأحياء ج ١

(١) الأحياء ج ١

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حفص الفرد : لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه .

وقال أيضاً : لو علم الناس ما فى الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد .

وقال أيضا : إذا سمعت الرجل يقول : الإسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له .

قال الزعفرانى قال الشافعى : حكمى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام .

وقال أحمد بن حنبل : لا يفلح صاحب الكلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل . وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة ، وقال له ويحك ! ! ألست تحكى بدعتهم أولا ثم تردعليهم ! ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث(١)

وقال أحمد رحمه الله : علماء الكلام زنادقة(٢)

هذا الاتجاه الذى سار فيه الإمام الغزالى إنما هو اتجاه الصوفية على وجه العموم وهو فيما نرى الرأى الصحيح الذى انتهى إليه الإمام الغزالى بعد تجربة ممحصة وخبرة واعية .

وسنتحدث عن رأيه فى الفلسفة فى مقال تال إن شاء الله وبالله التوفيق .

الدكتور عبد الحليم محمود
رئيس قسم التوحيد والفلسفة بجامعة الأزهر

(١) كان كتاب الحارث المحاسبى الذى يتحدث عنه الإمام أحمد بن حنبل : فى الرد على المعتزلة .
(٢) إحياء علوم الدين ، الجزء الأول .

اللغة العربية

رمونى بعقم فى الشباب وليتنى عقمت فلم أجزع لقول عداتى
وسعت كتابى الله لفظا وغاية وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

من قصيدة لحافظ إبراهيم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاشتراكية فضيلة إنسانية

للأستاذ محمد سعاد جلال

فى كل عصور التاريخ تقريبا كانت الفكرة الاشتراكية هداية التجربة الإنسانية إلى أصلح النظم وأكثرها سدادا ، وأقربها إلى طبائع الأشياء فى علاقات الناس بعضهم مع بعض ، كما كانت هذه الفكرة الأصيلة ذاتها . رسالة جميع الأنبياء الذين يتنزل عليهم الوحى من لدن رب العالمين ، وأيضا رسالة أصحاب المذاهب الدينية والروحية الذين يعتبرون فى عداد الربانيين والمالهين [illegible] أثناء دراسة تاريخ المجتمع الإنسانى على صورة واسعة وأسلوب فاحص ، خلو عصر من العصور ، عن إنسان عظيم كان يدعو الناس لتحقيق الفكرة الاشتراكية فى أسلوب حياتهم ، وأمور معاشهم سواء أسميت هذه الفكرة باسمها الذى تتداول استعماله اليوم أو باسم آخر أو كانت سلوكا واقعيا لم يتخذ له اسما معينا ، ماذا كان سلوك بوذا وكنفشيوس ... ثم ماذا كان سلوك ودعوة جميع الانبياء الذين تحدث عنهم القرآن الكريم — ألم تكن كل هذه الأنماط من السلوك ، وكل تلك الدعوات تنطوى فى مضمونها على معنى الاشتراكية وفكرتها ، والأغراض التى تهدف اليها ثم ماهى الأغراض التى تهدف اليها الفكرة الاشتراكية ... أليست هى خدمة البشرية وتخليص البشر من ويلاتهم وآلامهم ، والترويح على نفوسهم الظمأى المتلظية بوهج الحرمان والتعاسة والسخط ... نعم . فلم تكن الاشتراكية إذن فى جوهرها وصميمها إلا خدمة إنسانية وما كانت تلك الأفواج من المرسلين والأنبياء والربانيين من سائر الأمم لا لتخدم غرضا إنسانيا أصيلا .

نستطيع ان نقول أن الفكرة الاشتراكية منطق إنسانى ، أى وضع من أوضاع التعايش . تقتضيه فى مرتبة من مراتب الكمال طبيعة الوجود الإنسانى وأن هذا الوجود الإنسانى لا يبدو فى صورة ارتقائه وكماله ، وقدرته على تحقيق ذاته العليا — إلا فى وضع اشتراكى — لماذا ؟ لأن هذا الوضع الاشتراكى سيعطى الفرصة لجميع عناصر القوة والعمل فى هذا المجتمع أن تجود بكل طاقاتها ، وأن تستثير كل ملكاتها للخدمة الكلية والتساند المطلق على إنهاض للمجموع فى كل أركانه وفى كل ثغاعلاته وفى كل صوره . لماذا ؟ مرة ثانية .

لأن انعدام الاشتراكية فى صورتها التطبيقية المنفذة ، يفضى دائما — إلى طغيان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رأس المال ، وإلى احتكار الفرص الاقتصادية والعلمية ، بل الصحية ، ومجالات النفوذ والحركة الأقلية القليلة من أبناء كل أمة ، فيترتب على ذلك طوفان ممتد من قتل المواهب الإنسانية وتعطيل ملكات الإثمار والإنتاج في مجالات العمل التقدمي ، والسعي الناقد لحركات الدفع الإنساني - لدى الأكثريات الكاثرة من أبناء الشعوب ، وجماهير الأمم .

هناك فضائل تنسب إلى الأفراد مثل فضيلة الشجاعة ، والسخاء ، ويقولون إن الفضيلة حينئذ ما كانت وسطا بين رذيلتين . فالشجاعة وسط بين الجبن ، والتهور ، والسخاء وسط بين البخل والإسراف ، فإذا صحت هذه الفلسفة فإني أرى أن هنالك فضائل لا تنسب للأفراد ، بل تنسب للإنسانية عامة . للكيان الإنساني نفسه ، وأظهر هذه الفضائل فيما أعتقد ، الاشتراكية ، فالاشتراكية هي فضيلة الإنسانية ، وهي حد وسط بين الغنى المفرط والفقر المدقع .

ذلك أن الغنى المفرط يجر أصحابه إلى الطغيان ويغريهم بفعل الفضائح وارتكاب المظالم ، قال تعالى « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ثم وصف الفقراء بمثل قوله : « مسكينا ذا متربة » ، أي إنسانا معدما قد لصق من شدة فقره بالتراب عجزا وهوانا ، فإنه قيمة إنسانية من حيث الوجود والعمل ، أو أداء الرسالة لمثل هذا العاجز الملتصق بتراب الأرض مذلة وهوانا .

كلا ، ليس الإنسان هو ذلك الطاغي بماله ولا هو ذلك الملتصق بتراب الأرض عجزا وذلا . ولكنه الانسان المتوسط بينهما - هو الانسان الاشتراكي . قال تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » . والمراد بالوسط هنا الوسط في الاعتقاد والاقتصاد .

وقد ينظر بعض الناس إلى موضوع الاشتراكيات فيتوهم أن الأمر في تقريرها يرجع إلى أهمية المال في حد ذاته — وهو نظر قاصر فإن حقيقة الأمر في موضوع الاشتراكية — إنما هو القصد إلى تحقيق الكرامة الإنسانية .

لأن المال — وهو من أكبر عوامل الحركة والتأثير في شئون الحياة — ترتبط به قيم كثيرة في نظر الناس : قد يكون سببا لسلب الفقراء الحقوق الإنسانية المتعلقة بالكرامة والشرف وحرية الاعتقاد ، والعمل .

وفي المجال الاشتراكي والنظام الاشتراكي الذي لا ينحاز فيه المال لجانب واحد تتساوى قوى الأفراد ، أو تتقارب ، فلا يملو أحد على أحد ، أو يعدو على كرامته ، أو يظلمه في حق من حقوقه ، أو يمنعه حرية الرأي والتصرف . وهكذا نبدو الاشتراكية كرامة إنسانية أكثر منها حظا ماليا ، وخلقا ماديا .

محمد سعاد جبول

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١٠٧٨

من بلاغة النبوة

عناصر التأثير في خطابة الرسول

للأستاذ محمد رجب البيومي

نقرأ قول الله عز وجل عن محمد صلى الله عليه وسلم « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » .

ثم نقرأ قوله تعالى في سورة أخرى « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فنعرف من الآية الثانية تعليل الآية الأولى ، إذ أن الرسول لا يقول الشعر لأن أكثر قائليه لا يلتزمون الصدق المخلص بل يهيمون في أودية الكلام كما تهيجهم طبائعهم الناشزة . وأحرى بهم أن تكون أشعارهم صادقة الرأى ، صافية المنبع ، عادلة الميزان .

والخطابة ملكة كالشعر ، وصاحبها إنسان موهوب يجتمع له القوم ، فيفيض على عقولهم وقلوبهم بما ينقع الظمأ ، ويبرد الصدر ، ولن يبلغ مبلغ الخطيب المؤثر غير إنسان بعيد النظر ، رصين العبارة ، كثير التجربة ، صادق الإحساس ، وقد كان رسول الله خطيبا موهوبا دون نزاع ، ولو أردنا أن نرجع بتوفيقه الخطابي إلى علة واضحة ، فإننا نجدها فيما صرفه الله عنه من قول الشعر ، فهو في بيانه الفكري صادق مخلص ، يقدس الحقائق اليقينية ، ويحترم هاتف العقل فلا يميل إلى خلابة زائفة ، أو قعقعة مدوية ، بل يصل إلى الحق من طريق المنطق السديد ، ثم يقتصر عليه . فلا يهيم في كل واد مع الخيال المضلل ، والتناصح المغرور ، وإذ ذاك يصيب الهدف من نفس سامعه ، ويصرفه إلى التفكير الجدي فيما قال ، وأنت ترى في بعض الآثار المتواترة ، أن الرسول كان يرحب بالشعر الجيد ، ويعجب به ، فيهتف بحسان « قل وروح القدس معك » ويتحدث عن القريض فيقول « إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة » وقد يظن بعض الناس شيئا من التعارض الموهوم بين الترحيب المدافع ، وما تقرر من أنه لم يتعلم الشعر وما ينبغي له ، والحق أن جميع ما استحسنه الرسول من أقوال الشعراء كحسان ولبيد وعنترة مما يتفق مع طريقته في إيثار الصدق المخلص والتركيب السهل ، والإيجاز المحدد ، وهذه الثلاثة أوضح عناصر خطابته . وأدنى لنفع السامع وتسديده وأدعى لتأمله الباحث من كل قصيد مطيل .

وإذا كانت الخطابة ملكة فطرية في نفس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الخطيب ، فإن دواعيها الحتمية قد اكتملت لرسول الله مع إحساسه النافذ واستشفافه البعيد ، وإلهامه الصائب قد نشأ بين قوم لا يتباهون بغير الكلام ، وقد جعل الله أبوته فى بنى هاشم وخؤولته فى بنى زهرة ، ونشأته فى قريش مما يضيء بيانه ، ويشحذ عبقريته ، فتطرعلى الفصاحة المؤثرة ، والمنطق الجميل ، فهو صلى الله عليه وسلم لم يتعمد الخطابة تعمدا ، ولم يسع إليها سعيا التمس إليه قيادها بعد اعتمال ، وإنما جرت فى عروقه النابضة كما يجرى الماء فى فروع الدوحة المزهرة ، فإذا نطق فمن طبع أصيل ، وإذا خطب فمن رغبة واقتدار .

تقرأ فى تاريخ بعض الخطباء كديموستين مثلا ، أنه لم يكن فى مطلع حياته ذا بيان وإفصاح ، وإن رزق الرغبة الحارة فى التفوق الخطابى والإبداع البيانى ، فكان يسعى فى صباه وصدر من شبابه إلى البحار الواسعة الممتدة ثم يرسل لسانه بما يسعفه من القول منفردا بنفسه ، مخاطبا صدى حديثه بدمدمة الريح وهدير الموج ، ثم يواظب على هذا المران الجاهد حتى تستجيب له الخطابة بعد تلكؤ ، وينطلق لسانه بعد حبسة ، ويصبح خطيبا مصقعا ، !! ائن صح ما رواه النـــاس عن ديموستين فإن بلاغته المكتسبة لا يمكن أن تقاس ببلاغة بنى موهوب فطر على الجودة والفصاحة ، فهو يرسل القول البليغ طبيعيا سمحا ، كما ترسل الزهرة العطر ، والقمر الضوء ، وهو بعد ذو أصالة تميزه فلا يختلط قوله بقول ، أو يشتبه اتجاهه باتجاه .

ونسلم هنا ببعض الإلمام بعناصر التأثير فى بيانه الخطابى الشريف ، وقد تحدث عنها مؤلفو الأدب والنقد حديث العارف البصير ، ولن يكون حديث اليوم تكرارا لما سبق من القول . ولكننا نأمل أن نضيف بعض الجديد فى تفسير رأى ، أو تأييد حجة أو مناقشة افتراض .

قال الجاحظ عن بيان رسول الله (١) « لم تسقط له حجة ، ولا زلت له قدم ، ولم يقم له خصم ، بل بز الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم . ولا يخنع إلا بالصدق ، ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ، وهذه الصفات الموهوبة لا تتيسر لكل خطيب يحدث الناس ، ولكنها ممكنة معقولة ممن يتحدث عن القضايا العادلة . ومن يلزم جانب الحق فيما يقول ، فالشرط الجوهرى لنجاحها الكاسح . أن يكون صاحبها صادقا بينه وبين نفسه ، قد فكر فى موضوعه تفكير المتعقل المتأمل ، ثم اعتقده عن يقين لا يقبل الشك ، حتى إذا سرى منه

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مسرى الدم فى الجسم ، هتف به على الناس فأتى الخصم بما يعرف الخصم ونال بالإيجاز ما لا ينال المسهب المكثار ، واحتمى بالصدق فطلب الفلج بالحق . فإذا رزق وراء ذلك فصاحة اللسان ، وثبات القلب ، فقد أصبح مثاليا تتطلبه المنابر العالية فلا تكاد تعثر عليه فى غير النادر من القرون المتلاحقة ، ثم هى إذا رأته حرصت على تخليده وتمجيده وفرضت شخصيته على الأجيال . لقد تحدث المتحدثون عن شيشرون الخطيب الرومانى فذكروا أن سر نجاحه العبقرى تمسكه بالصدق فى مجالدة خصومه ، واعتقاده الصائب فيما يقول ، مع جراءة فى القلب ، وثقة بالنجاح ، فإذا كان شيشرون يبلغ الذروة الخطابية لأنه يعتقد الحق فى نصرة فريق على فريق بمجلس الشيوخ الرومانى : فما ظنك — وللرسول المثل الأعلى — بخطيب أرسله الله بالحق الصريح ليخرج الناس إلى النور من الظلمات ، وكان من الثبات والرسوخ بحيث قال لعمه : لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ؛ إن اعتقادا صادقا كهذا الاعتقاد يلزم صاحبه إلزاما أن يحتج بالصدق ، ولا يطلب الفلج إلا بالحق كما قال الجاحظ عن قريب .

ولنا وقفة عند إيجاز الرسول حين يبز الخطب الطوال بالكلام القصير ، إذ أن الإيجاز العربى فى بلاغته المعجز وليد ذهن ثاقب يستعرض حشودا من المعانى ، ليخلصهما فى عبارة محدودة ، تكون من جوامع الكلم ، وشوارد المثل ، فهى عصارة مركزة لمادة دسمة تضم من أسباب القوة ما يتيح لها التغلب والنفاذ ، وهنا كان الأديب الموجز أعرق فى البلاغة من غيره ، لأن الثانى يبون خواطره كما تجىء ، أما الأول فيقف بداء هذه المعانى المثالة يطالع وجوهها ، ويتأمل منازعها ، ثم يأتى بفحوى الشامل فى جملة تصيب المحز ، ونطبة الفصل ، . . وأذكر أن بعض البلغاء من المحدثين الأدب أرسل خطابا مسهبا فى بعض أمور ، ولم يفته أن يعتذر فى نهايته عن الإطناب كأثر ملحوظ إذ لا وقت لديه يتسع للإيجاز ، ولن يقدر هذا الاعتذار الصادق غير من تمرس بأساليب البيان فعرف مضايق الإيجاز ومزالق الإيجاز ، وقد فطن أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات إلى روعة الإيجاز فى البلاغة العربية فقال متحدثا عن بيان محمد : والإيجاز وهو تأدية المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة غالب على أسلوب الرسول . لأن الإيجاز قوة فى التعبير ، وامتلاء فى اللفظ وشدة فى التماسك ، وهذه صفات تلازم قوة العقل وقوة الروح ، وقوة الشعور ، وهذه القوى كلها على أكمل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما تكون فى الرسول ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم فى خطبه [١] .

ونحن نعلم أن أصحاب الدعوات الجديدة فى حاجة ماسة إلى تكرار القول وترديده ، والخروج به من نطاق الدقة والإيجاز إلى مجال الإسهاب والتطويل ، لترسخ مبادئهم فى الأذهان ، وتصل تعاليمهم إلى القلوب ، فالإيجاز لديهم فى ظاهر الأمر لا يصل بهم إلى هدف منشود ! ! نعلم ذلك ولا نستغربه من قادة الرأى ، ورواد الإصلاح فى عصورنا الحديثة ، ولكنه بالنسبة إلى عصر النبوة ، فى قوم بلاغتهم الإيجاز أمر غير مستغرب ، أضف إلى ذلك أن الأطناب مدعاة قربة لاختلاف الفهم ، وافتراق الرأى ، فكلما تشقق الحديث وتشعب كثرت حوله الآراء ، وانفرجت زوايا النقاش ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حريص على أن تجتمع أمته على أمر واحد ، فهو يطالعها بالحكم الموجز ، ثم يعلن على الملأ أنه يكره الثرثرة والتنطع ويقول فى بعض أحاديثه « إن أبغضكم إلىّ ، وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » .

وقد يقتضى الأمر لمناسبة عارضة أن يفيض فى القول فلا يتأخر ، ولذلك روى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله قد خطب ذات يوم بعد العصر فما زال يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا صفرة فوق أطراف السعف : ولسنا نجد من يخبرنا عن موضوع خطبته تلك ، لنعرف الدافع الذى حدا بمحمد إلى تجنب الإيجاز ؛ ومن يدرى لعل الله قد شاء له أن يُطيل - لا شعوريا - فى موقف كهذا ليعلم الحسدة من أعدائه أنه يملك أزمة البيان ، وأن إيثاره الإيجاز ترجيح شديد للجادة المثلى من طرق الحديث ، وإذا كان لكل مقام مقال فإن مقال الإيجاز يستدعى من الخبرة النفسية ، والثقافية الملهمة ذخيرة وافية ، فقد تحين المناسبة المرتقبة ، وتتفتح نوافذ القول من كل ناحية ، ويظن المستمعون أن مجال القول ذو سعة ، ثم يقف الخطيب فيوجز إيجازاً لا مجال بعده لإطناب وتهويل ، ويترك النفوس ذاهلة لا تدرى كيف استطاعت الكلمة الواحدة أن تفعل ما لا يفعله حديث لليوم الطويل ، فتخلق جواً من التأمل والعبرة والحسيرة ، يمتد أياما طويلة دون أن ينقطع فيضه أو يغيب صداه . ! هذا رسول الله يرجع إلى مكة يوم الفتح الأعظم ، فيقتحم عرينا يجمع أعداءه ، وذوى الحفيظة من مناوئيه ، وتخفق راية النصر على جيشه الظافر السباق وتتطلع العيون الكافرة دامعة مغيظة ، ترتقب أن يداهمها الجزاء الرادع دون إبطاء ،

[١] وحى الرسالة ج ٣ ص ١٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويقف الخطيب القائد فلا يشك أحد فى أنه سيتعرض إلى تاريخه مع أعدائه متشفيا ثائراً وسيعد دما من الله عليه به من فوز سباق ، ثم يحيل بالتهديد والوعيد إلى قوم أخرجوه من وطنه ، وآذوه فى دعوته ، وناصبوه الحرب فى مغتربه ! يالله : كم ينظر السامع من محمد فى مثل هذا اليوم الأغر ! إنه ليقف والأبصار خاشعة والرقاب منحنية فيسأل فى هدوء الحليم : يا معشر قريش ، ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فيجيبون بألسنة المشفقين : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم ، فيفوه بخطبته الموجزة التى لا تخرج عن جملة قصيرة : إذهبوا فأنتم الطلقاء . !! ما هذا السحر الرائع تنبعث به حروف معدودة فتترك النفوس ذاهلة مأخوذة ! كم يستشعر الطليق فى ذات نفسه ندم الخجل ، وفى وجهه عرق الخزى ، وفى حلقه مرارة الأسف ، وكم من الساعات والأيام سيظل مردداً صدى هذه الكلمة فى أعماقه ، واصفا عمق تأثيرها فى كيانه ، مستحييا أن تعود به الذكرى إلى عهد سلف ، وباطل أدبر . !! أرأيت الإيجاز يبلغ مبلغه من النفوس ، فيكون مثلا شروداً قصير الكلمات مجلجل الأصداء ، ولولا هذه الخبرة البصيرة بالأهواء ، وهذه المكاشفة النافذة لخلجات الحس ، وهمسات الضمير ما استطاع الإيجاز أن يفعل فعله على لسان الرسول .

ولم تأت هذه الخبرة النافذة ارتجالا فى موقف عابر ، ولكنها وليدة نفس فسيحة الجوانب مقسمة الآماد ، قطعت أشواطا متناهية فى التحليل والتعليل ، والترجيح والتفسير حتى استقرت فى حياتها الهادية على فلسفة صادقة تؤمن بمكارم الأخلاق وترى الحلم سيد الفضائل فهى تأمر بالعفو ، وتعرض عن الجاهلين ، وفى اعتقادى أن فترات العزلة الساكنة التى تخللت حياة محمد كانت ذات أثر فى دراسته الصامتة ، وإحاطته الشاملة بالمطاوى الخافية والمهاوى السحيقة فى أعمق أغوار الوجود ، فجاءت خطابته تطبيقا واعيا لما اهتدى إليه من كشف نفسى دقيق ! هذا الكشف الباهر الذى تجلى ساطعا فى خطابه الأول حين أراد أن يجهر بدعوة الله ! إنه لم يعد خطبة منمقة الأسجاع كأرباب الكهانات ، ولكنه يجعل الإيجاز الدقيق مطية الإقناع العاقل ، فيقف على الصفا . ويجمع الملأ من قريش . ثم يفاجئهم بهذا السؤال فى هدوء : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ فتتصايح الشفاه : نعم ما جربنا عليك كذبا ! ؟ فيطمئن السائل إلى هذا الاعتراف الصريح والشهادة المنصفة ، ويلجأ إلى المنطق المستقيم بعيداً عن الثرثرة والتشدق فيقول : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جميعا ما كذبتكم ، ولو غششت الناس جميعا ما غششتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة . وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون . ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا ، دعوة جديدة تزلزل عقيدة ثابته ، يفاجأ بها القوم فيتلبدون فى أماكنهم ذاهلين ، لقد اعترفوا بجمعين أنهم ما جربوا على الرجل كذبا ، وهم يعلمون أن الرائد لا يكذب أهله ، ثم لا يملكون فى سطوة هذا البيان الحاسم أن يدفعوه ، فيكون قصارى قائلهم أن يقول : أهذا جمعتنا !! ويتفرقون ثائهين ليجتمع رأى إلى رأى ، وليقوى خصيم بخصم ، وقد حفظوا كل ما قاله محمد ، وجعلوه محور نقاش وحوار ، ليت شعرى ماذا صنع الإيجاز الدقيق فى مثل هذا الموقف الخطير ؟ إنه الإعجاز ، وكفى .

وقد تعود الكتاب أن يستشهدوا لتربية الرسول الأدبية ، بقوله : أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، وهذا حق لا مرية فيه ، فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولكننا لا ننكر مع ذلك أثر المعاصرة الراهنة ، فى خلق الخطيب وتكوين شخصيته الفكرية . وقد كان الرسول فى صباه الأول وشبابه الباكر يتردد على سوق عكاظ ، ويستمع إلى مصاقع القول ، ومقاول الجدل ، فيرى فنونا من الخطابة الأدبية تجلى فى معارض زاهية من الأسلوب وترن فى مرتفع سامق من المكان ، غير أنه ذكر من هؤلاء قس بن ساعدة فروى خطبته ووصف موقفه فوق ناقته ، وأثنى عليه حين قال . أنه يبعث أمة وحده ! ولا أريد بذلك أن أشير إلى تلمذة أو أستاذية فكثيرا ما يفوق التلميذ جميع أساتيذه ، ولا يمنع هذا أن يقول قائل إنه تأثر بهم فى مطلع حياته البيانية ، وإنما أشير إشارة طائرة إلى أن الخطبة التى رواها محمد صلى الله عليه وسلم عن قس تحمل بعض الخصائص الفنية لخطابة الرسول ، وإن قول قس فيها « ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا هناك فناموا ؟ يذكرنا بقول محمد ، كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى نشيعه من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ، ونأكل من تراثهم ، كأننا مخلدون بعدهم ! ومع التسليم الصريح بأن الحديث عن الموت من المعانى المشتركة لدى جميع الناس فى الشرق والغرب ، إلا أن المنهج الخطابى فى الإيجاز والصدق والإخلاص للفكرة ومشافهة العواطف يتضح فى كلا الموقفين ، ولن نذهب مذهب من ينكر خطبة قس مع تواترها المتتابع ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وذيوعها لطائر ، وإلا لاستطعنا أن نتكر في سهولة مضحكة جميع الجاهليين ! ! إن قسا بشهادة محمد قد استرعى انتباهه ولو حفظت لنا بعض خطبه الكثيرة لاستطعنا أن نحدد مكانه الخطابي على وجه صريح ، وكأن القدر قد كافأه بوسام لامع حين سجل الرسول كلامه ويالك من مجد ! ! .

وهناك عنصر هام من عناصر الخطابة النبوية يكاد يبلغ وحده من التأثير ما تبلغه كل الخصائص مجتمعه ، لأنه ينبيء عن معدن قائله ، وأعني به عنصر الشجاعة الأدبية لدى المتكلم ، فالخطيب إذا كان شجاع الرأي يزأر في وجه العاصفة ، بعزيمة لا تعرف النكوص فإن المعجبين به يتزايدون حتى ليكون من بينهم بعض خصومه ، وإذا كان هؤلاء يستشعرون الغيظ لجرأته فإنهم في قرارات نفوسهم يسمعون أصوات الضمائر صارخة بالإعجاب والدهشة ، هؤلاء هم المعارضون ؛ فما ظنك بالمؤيدين الذين يجدون في حديث الخطيب ترجمة عن مشاعر مكظومة ، وتعبيرا عن أحاسيس مكبوتة ، ومهما كانت عبارة الخطيب الشجاع سهلة قريبة فإن هدفها الأسمى يغني عن كل صورة خالبة ، ولم يعرف تاريخ النبوات رسولا حمل أمانة اللسان كما حملها محمد بن عبد الله ، لأن بيئته العربية قد جعلت قوماً لدّا يرمون بالخطب الطوال ويقذفون بالحج السوائر ، فإذا صيح في وجوههم بما يسفه أحلامهم ، فتلك هي الشجاعة دون مراء ، ولدينا ضرب من الشجاعة الأدبية يفوق مجابهة الباطل ومدافعة الطغيان ، ذلك هو الاعتراف الصريح بحقوق المعارضين ومواجهة مطالبهم ، بما يحفظ الحيدة والإنصاف والخطيب في مثل هذا الموقف يحتاج إلى رصيد ضخم من كرم النجيزة وعراقة الضمير ، ومتانة الخلق ، إني لأعرف لمحمد مواقف رائعة أنصف فيها معارضيه من نفسه في شجاعة مخلصة ، فزاده الإقرار بالحق رفعة وإجلالا ، لقد غضب بعض الأنصار عقب غزوة حنين إذ نال المهاجرون من سبي المعركة أكثر مما ناله ، وهم ذادة الدعوة وحماة الإسلام ، ومضى حديثهم إلى محمد فبادر بالنهوض إليهم ، وواجه الموقف في نزاهة العادل وإنصاف الأمين ، فعرف لهم حقهم كما عرف لنفسه حقها ، وكان في مكنته - لو تخلى عن شجاعته المنصفة - أن يتحدث عن نفسه وحدها ، فيفيض فيما نشره الإسلام على المدينة من أمن وسيادة ، ولكنه نظر إلى نفوسهم فعرف خوالجها المقنعة ولمس نبضات الأفئدة وهمسات النوازع فعرف صدقها الصريح ، وصور ذلك حين قال : يا معشر الأنصار ، ما قالة قد بلغتني عنكم ، وموجدة وجدتموها

(البقية على صفحة ١٠٩٢)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مادية ، ولهذا لم ير الشاعر برؤيته المادية غير ما يشترك فيه الماء والفضة من اللون والقوام ، فقرن بينهما فى شعره ، ولو أنه رأى كلا منهما رؤية نفسية ذات حساسية وتعمق ، لأدرك أن الماء فى جوهره ووظيفته أغلى من أن يقوم بكنوز الأرض جمعاء . .

ثم ما هذه الصورة التقليدية التى يقترن فيها الماء المتموج بالجواشن المصقولة ؟ إن الماء المتموج يمثل الحركة والحياة ، فهل تمثل الجواشن تلك الحركة ، وهذه الحياة ؟

والذى أراه بعد ذلك أن الأستاذ الجندى فى حاجة إلى أن يراجع بحثه ، وأنه إذا شاء أن يأتى فيه بجديد ، فعليه أن يكتبه من جديد .

وفى مقال آخر سوف نتناول بقية الأبحاث بالتعقيب لنصحح ما يحتاج إلى التصحيح فى نقد البحترى خاصة ، ولنصلح ما يحتاج إلى الإصلاح فى موازين النقد عامة .

ابراهيم محمد نجا

(بقية المنشور على صفحة ١٠٨٤)

فى أنفسكم ، ألم آتكم ضُلّالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ، قالوا بلى ، لله ولرسوله المن والفضل فقال ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟ قالوا ، وبماذا نجيبك يا رسول الله . قال ، أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وتصدقتم . أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك ، وجدتم فى أنفسكم يامعشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يرجع الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فوالذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا ، وسلك الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار . .

هذه الكلمات المنصفة قد نزلت على القلوب نزول الغيث الدافق على المحل الظامى . فأخصبت الجديب وأنعشت الذاوى بل إن تيارها الحنون قد دفع بالدمع إلى العيون ففاضت المحاجر ندما واستسلاما ! ! ولا أجد أروع ولا أبدع من براعة المقابلة المذهلة بين رجوع المهاجرين بالشاة والبعير ، ورجوع الأنصار برسول الله ! ! وهى إحدى وثبات العبقرية ، وكم لها فى أدب النبوة من أمثال .

محمد رجب البيومى

المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع البحتري في ذكراه

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

كان جميلا من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب أن يدعو الأدباء والشعراء إلى الاحتفال بذكرى البحتري ، وقد مر على مولده أكثر من ألف عام ، على سنته الكريمة وسنته القويم في الاحتفال بالعباقرة الخالدين من الأدباء والفنانين . وشاعرنا البحتري بين هؤلاء العباقرة من أجدرهم بالاحتفال ، ومن أحقهم بالتكريم ، فقد كان خلد الله ذكراه . وطيب ثراه — وتراً من أرق الأوتار في قيثارة الشعر ، أخرج لنا أعذب الأنغام ، وأسمعنا أروع الإنشاد .

وكان أول المتحدثين في هذا الاحتفال أمير البيان أستاذنا الزيات ، فكان ذلك حسن ابتداء ، وبراعة مطلع . وكنت أود أن يتحدث الزيات ، وهو الناثر الذي رنم بالكلمة أجمل ترنيم ، عن شعر البحتري ، وهو الشاعر الذي غنى بها أعذب غناء ، وأنا أجزم بأن الزيات لو لم يكن ناثراً من طراز ... الزيات ، لكان شاعراً على مثال البحتري ، لولا أن كاتبنا لا يضحي أبداً بالمعنى في سبيل اللفظ ، ولا يغير الصورة من أجل العبارة ، ولكنه بحسن تأنيه ، ولطف تأنيه ، يعرف كيف يهيئ للمعنى الجميل أجمل الأزياء ، فيبدو فيه كما تبدو الحسناء في ثوب الزفاف الذي يجمل الشكل ولا يغير الذات .

ولكن المجلس الأعلى أراد أن يكون حديث الزيات عن شخصية البحتري فكان له ما أراد . وفي هذا المجال استطاع أديبنا أن يرينا شخصية البحتري من الداخل ، بعد أن سلط عليها الأضواء ، فبدت أمامنا صورة مجسمة واضحة الألوان . موحية الظلال ...

وقد استعان على هذا الغرض بكشافين كبيرين أحدهما حب المال ، والآخر حب الجمال ، وبالكشاف الأول أوضح لنا سر ما استفاض عن البحتري من أخبار التدني والشح ، ووسائل التقلب والاحتيال .

كما أبان لنا بالكشاف الآخر سر هيامه بالطبيعة الضاحكة ، والقصور الرائعة ، وسر اهتمامه بالكلمة المفردة ، والعبارة الراقصة ، والموسيقا الجميلة . والذين يعرفون النفوس بالملاحظة والتجربة ، يدركون أن للنفس البشرية قد يمتزج فيها الماء بالنار ، وتختلط

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيها الظلمة بالنور ، ولهذا فقد كان الزيات موفقا كل التوفيق ، دقيقا غاية الدقة حين لاحظ أن العناصر المادية لحب المال والعناصر المعنوية لحب الجمال تتقارب وتتضارب وتتفاعل فى نفوس البشر ، فلا يكون هناك حس محض ، ولا معنى خالص . وهذا يفسر الأناقة التى طبع عليها البحترى فى اختيار ألفاظه وتنسيق كلماته ، والفوضى التى عرفت عنه فيما يمس الهندام والأثاث ، ونزوع البحترى إلى إهمال ملبسه وأثاث بيته ، دليل قوى على أن حب المال كان أقوى فى نفسه من حب الجمال ، وفى رأينا أن ذلك الحب هو الذى دعاه - إلى جانب غيره من الدواعى - إلى ما اشتهر عنه من العناية الفائقة بشعره ليستزيد من الضياع ، ويستكثر من الأموال ، دون مبالاة بكرم الوسيلة وشرف الأداة حتى أجاز لنفسه أن يمدح بالقصيدة الواحدة أكثر من واحد ، وأن يتوسل بشعره إلى إعفاء ضياعه من الخراج ! وقد قال الصولى إنه نقل نحوا من عشرين قصيدة من مدائحه ، عن قيلت فيهم إلى غيرهم بعد أن غير الأسماء وبدل المعالم . ولو كان فى رأى البحترى أن حسن الهندام يجلب المال ، لرأيناه رائد المتأنقين فى هذا المجال .

وقد كان هيام البحترى بالطبيعة أثراً من آثار حبه للجمال ، ونحن نرى أن شعر الطبيعة عند البحترى لا ينقصه جمال الوصف ، ولا تعوزه روعة الأداء ، ولكن الذى ينقصه هو الامتزاج بها ، والفناء فيها ... ولنقرأ ابياته المشهورة فى وصف الربيع :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يترنما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى ، فكأنه
يبث حديثا كان قبل مكتما
فمن شجر رد الربيع رداءه
عليه كما نشرت وشيا منمنما
أحل فأبدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين إذ كان محرما

فنجد فى هذه الأبيات أن البحترى « يحس » الربيع ، ولكنه لا « يشعر » به ، لماذا ؟ لأنه رآه من الخارج ، دون أن يتغلغل فى أعماقه ، ولأنه حين رآه لم يره بأعين نفسه ، وإنما رآه بعينى رأسه ... فالرؤية النفسية هى ما كان ينقص البحترى حين يقف أمام الطبيعة ، وهذه الرؤية لم تتحقق لشاعر من شعراء العرب على مثالها الذى يقرب من الكمال إلا للمتنبى وابن الرومى ، على اختلاف موضوع الرؤية عند الشاعرين العظيمين .

ونحن نجد فى البيت الأخير أن حرص البحترى على المقابلة بين الألفاظ قد أفسد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عليه معناه ؛ لأن الشجر حين يتجرد مما يزينه من الأوراق والأزهار والثمار قد يؤذى بمنظره ، ولكن المحرم الذى تجرد من بهرج الحياة ، وتحلى بطاعة الله ، لن يؤذى بمنظره إلا الذين لا يهتمون برؤية النفوس واستجلاء الأرواح ، ولو أن البحترى استعان هنا بالرؤية النفسية لرأى الفارق الواضح بين تجرد الشجر من طبيعته ومعناه ، وتجرد المحرم من بهرج المال ، وحلية الجاه .

وكما كان هيام البحترى بالطبيعة أثرا من آثار حبه للجمال ، فقد كان كلفه بالمرأة أثرا من آثار هذا الحب أيضا ، وقد أوضح أستاذنا أن البحترى قد أحب المرأة بحسه لا بنفسه ، وتغزل فيها بلسانه لا بقلبه ، كما سجلت ذلك أيضا الأديبة الباحثة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فى بحثها القيم عن المرأة والغزل فى شعر البحترى .

وهكذا بهذا الكشافين : حب المال ، وحب الجمال استطعنا أن نرى شخصية البحترى فى وضوح وجلاء ، وأن نرد كل ما صدر عن هذه الشخصية إلى مصدره الأصيل ، ومبعثه الحق .

ثم يأبى تواضع أستاذنا إلا أن يجعله يقول فى ختام بحثه البليغ القيم إن الصورة التى رسمها البحترى ليست صورة تقريبية لشخصية هذا الشاعر العظيم !

ولكنى لا أحب أن أترك هذا البحث دون أن أذكر أن الأستاذ الزيات قد ترفق بالشاعر أكثر مما ينبغى حين التمس له العذر فى انحراف شخصيته عن سواء السبيل ، وشرف الغاية ، فوجده كامنا فى أحوال المجتمع ، وأخلاق العصر . والذى أراه أن سوء المجتمع قد يبرر أعمال العامة ، أما العباقرة والأفذاذ فرسالتهم أن يغيروا المجتمع وواجبهم أن يحولوا التاريخ ؛ لأنهم يدركون رسالة الكلمة ، ويعرفون واجب القلم .

ثم ننتقل إلى بحث آخر من الأبحاث التى كتبت عن البحترى فى ذكراه ، فنتحدث عن البحث الذى كتبه الدكتور جودت الركابى ، وجعل عنوانه : « ديباجة البحترى » .

فى هذا البحث يذكر الدكتور أن أهم ما يميز أسلوب البحترى العناية بإشراق اللفظ ووضوح المعنى ، وتجنب الأسلوب المنطق . والابتعاد عن الغريب والتعقيد ، وإطلاق العنان للخيال ، والاعتماد على روعة النغم ، وسحر الموسيقى ، ثم يذكر أن هذا الأسلوب هو السمة الغالبة على شعراء الشام ؛ لأن بادية الشام كانت ترفدهم بالفصاحة من جانب ولأن الطبيعة كانت تغذى عواطفهم ، وتثير خيالهم من جانب آخر . ثم يتحدث عن أستاذية أبى تمام للبحترى ، ويبين أنه على الرغم من هذه الأستاذية ، فقد اختلف أسلوب البحترى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن أسلوب أستاذه أبي تمام اختلافا ليس باليسير على أي حال .

ولكن ما الذى جعل ديباجة البحترى تخالف ديباجة أستاذه أبي تمام ؟

ذلك ما لم يتحدث عنه الدكتور جودت الركابى ... وفى رأينا أن هذا الاختلاف بين الشاعرين العظيمين ، يعود إلى جملة أسباب من بينها الفطرة والوراثة ، فقد ذكر معاصرو البحترى أن وجهه كان مسنونا ذنوبا ، وهذا هو السمت الغالب على رجال الفن ممن يعكسون على فنهم جمال الطبيعة ، ورقة العاطفة ورهافة الحس ، وروعة الخيال ، وفى يقيننا أن البحترى لو لم يكن شاعرا لكان رساما يصور مشاهد الطبيعة بالألوان والظلال ، أو موسيقيا يعبر عن مشاعره الطليقة بالأنغام والألحان .

والذى يقرأ البحترى يرى أن الموسيقا هى الميزة الأساسية فى شعره ، وهى مصدر ما نراه فى هذا الشعر من التأنق المفرط فى اختيار الألفاظ ، وتنسيق الكلمات ، بحيث يجلب جمال الجرس ، وروعة النغم ، ومن الكلف الشديد بألوان من البديع يتحقق بها ذلك الجمال وتلك الروعة . كالتقسيم والمقابلة وذلك يبدو جليا فى هذه الأبيات :

لى حبيب قد لج فى الهجر جدا
وأعاد الصدود منه وأبدا
يتأبى منعا ، ويمنع إسعا
فا ، ويدنو وصلا ، ويبعد صدا
اغتدى راضيا ، وقد بت غضبا
ن ، وأمسى مولى ، وأصبح عبدا
وبنفسى أفدى على كل حال
شادنا لو يمس بالحسن أعدى
مربى خاليا فأطمع فى الوص
ل ، وعرضت بالسلام فردا
وثنى خده إلى على خو
ف ، فقبلت جلنارا ووردا
سيدى أنت ، ما تعرضت ظلما
فأجازى به ، ولا خنت عهدا
رق لى من مدامع ليس ترقا
وارث لى من جوانح ليس تهدا

وليس من شك فى أن هذا الغزل يخلو من صدق الشعور ، وحرارة العاطفة ، وليس من شك أيضا فى أن هذا الشعر قد بلغ الغاية فى جمال الصياغة ، وروعة النغم .

والبيئة من الأسباب التى جعلت البحترى يخالف أستاذه فى أسلوب الشعر ، فقد عاش حياته الأولى فى منبج وهى بلدة وصفت بأنها عذبة الماء ، طيبة الهواء ، قليلة الأدواء والذى ينشأ فى هذه البيئة حرى بأن يكون رقيق الحس ، معتدل المزاج ، وخاصة إذا كان من ناحية الفطرة والوراثة صاحب مزاج فنى كصاحبنا البحترى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وسبب آخر يضاف إلى ما قدمناه من أسباب ، وهو أن البحترى بفطرته ووراثته وطبيعة مزاجه صدف عن تعمق ما شاع فى عصره من المعارف والثقافات ، وخاصة العلوم والفلسفات ، فاتسع المجال أمامه للعناية بصقل اللفظ ، وتنسيق العبارة ، على حين شغل أبو تمام ومن جرى مجراه من ذوى الثقافة المنوعة بما يبين سعة اطلاعهم وعمق ثقافتهم وإذا كان أبو تمام قد عنى فى شعره بالبديع كما عنى البحترى ، فلم تكن هذه العناية صادرة عن إحساس فنى بجدواه ، وإنما كانت وسيلة من وسائل الافتنان فى التعبير ، ومنافسة منه لغيره من الشعراء فى عصر كان للبديع فيه شأن ملحوظ ، ومقام معلوم . أما البحترى فالبديع فى شعره قد صدر صدورا تلقائياً عن نفسه التى كانت تحب النغم ، وتعشق الكلمة .

وفى رأى الكاتب الباحث أن البحترى يفوق المتنبي فى عصر الصياغة حين يقارن به وهذا رأى يحتاج إلى مناقشة طويلة وسوف نناقشه فى مقال خاص نتحدث فيه عن الصياغة فى شعر البحترى والمتنبي .

و « الوصف عند البحترى » كان موضوع بحث الأستاذ أحمد الجندى .

وقد بدأ الأستاذ بحثه بتحديد معنى الوصف فقال إنه نظرة واعية فاهمة تنقل المرائى صورة ما يراه ، أو توحى إليه بفكرة عما رأى ، ثم بين ان النظرة واحدة عند الناس من الناحية المادية ، ولكن نظرة الفنان فيها شئ يضاف إلى النظرة العادية ، وهذا الشئ هو الذى يميز الفنان من غيره ، فتصبح نظرته ذات معنى خاص لا يشاركه فيه الرجل العادى ولو أردنا نحن أن نفرق بين نظرة الفنان ونظرة غيره من سائر الناس لقلنا إن الإنسان العادى لا يلبس بنظرته جوهر ما يراه فى كثير من الأحيان ، على حين ينفذ الفنان ببصيرته إلى طبيعة ما يراه على اختلاف فى درجة النفاذ بين فنان وفنان .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يمكننا أن نقول إن الإنسان العادى لا يحس ما يراه أو يشعر به كما يفعل الفنان ، ومن ثم لا يستطيع أن يعبر عنه تعبيرا يوقظ النفس ، ويثير الحس ، ويلهم البصيرة ، بينما الفنان لا يجد بدا من هذا التعبير حين تمتلىء نفسه بما يراه كالكأس لا تستطيع إلا أن تفيض حين تمتلىء بالسائل الذى تحتويه .

ثم يتحدث الكاتب بعد ذلك عن موقف الشعراء مما يرون من الأشياء ، فيذكر أنهم فريقان : فريق ينظر إلى ما يراه فتحفظ عينه صورته حفظا لا سهو فيه ولا خطأ ، فإذا انتقلت هذه الصورة إلى النفس الشاعرة جرى قلم الشاعر برسمها لتخرج كالأصل وقد تحركت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيها الروح ، ودبت فيها الحياة ، وهؤلاء هم الشعراء المصورون ، وعلى رأسهم ابن الرومى وفريق آخر لا يهتم بنقل المرئيات كما هى فى الخارج ، وإنما يعنى بنقل انطباعها فى حسه وتأثيرها فى نفسه ، ومن هؤلاء الشعراء ، بل من أعظمهم شاعرنا البحترى !

وهذا كلام يحتاج إلى تصحيح ؛ فإن البحترى ينطبق عليه فى مجال الوصف ما ينطبق على أكثر شعراء الوصف فى الأدب العربى وهو أن هؤلاء الشعراء لم يعنوا بوصف تأثير الأشياء فى أنفسهم كما عنوا بوصف ظواهر هذه الأشياء ، وأنهم حين نظروا إلى ما يرونه لم تكن نظرتهم نظرة كلية تستوعب المنظور وتحيط به ، وإنما كانت نظرة جزئية تتبع أجزاء الشىء فى غير ترتيب حينا ، ودون استقصاء حينا آخر ولهذا جاء المنظور فى شعرهم « أجزاء » مرتبة أو غير مرتبة ، ولم يكن « كلا » متصلا ، ووحدة متناسقة . ومن البدهى أنه فى مجال الوصف والتصوير لا يكفى أن تلم بكل الأجزاء والتفاصيل ، بل لا بد أن تصور العلاقة الكامنة بين الأجزاء بحيث يدرك القارىء أن جزءاً منها لا ينفصل عما عداه ، دون أن ينقص تأثيره ، وتقل جدواه . وأبيات البحترى فى وصف الربيع وفى وصف بركة المتوكل تعد مثالا يمكن أن يوضح ما قلناه .

وقد أراد الكاتب أن يؤيد ما قاله عن منهج البحترى فى وصف الأشياء ، فجاء بأبيات من شعر الغزل ، وزعم أنها من الشعر الوصفى الذى يدل على أن البحترى لا يصف الأشياء وإنما يصف ما تثيره فى حسه ، وما توحيه إلى نفسه ! . . يقول البحترى :

ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا
مقصرا من صبابة أو مطيلا
قف مشوقا ، أو مسعدا ، أو حزينا
أو معينا ، أو عاذرا ، أو عذولا
وخلاف الجميل قولك للذا
كر عهد الأحباب : صبرا جميلا

فيقول الكاتب تعقيبا على هذه الأبيات : إنه لا يقف عند وادى الأراك ليصف لك ما فيه من معالم وخطوط بل يقف ليذكر نفسه وما فيها من لواعج وآثار تركها هذا المنظر الأخاذ ! !

وأظن أنه من اليسير جداً أن نلحظ أن البحترى لا يصف هنا ، وإنما يبدأ قصيدته بالغزل على طريقة شعراء العرب ، وكما فعل هو فى قصائد كثيرة من شعره . وهل يحسب الكاتب أن البحترى قد وقف حقا عند وادى الأراك ؟ وماذا فى وادى الأراك مما يثير حاسة الوصف عند البحترى لو وقف عنده ؟ أتراه يصف بعر الآرام فى عرصاته وقيعانه ، ذاك الذى « كأنه حب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلفل ، كما فعل صاحبه امرؤ القيس حين وقف على « سقط اللوى بين الدخول فحومل » ؟

وبينما نرى الكاتب يذكر أن البحترى لا يصور المنظور ، وإنما يعبر عن أثره فى نفسه ، إذ بنا نراه يقول إنه لا يعجبه من سينيته غير هذين البيتين :

يختـلى فيهم ارتيابىَ حتى
تتقـــراهمُ يـداى بلس

والمنايا موائل ، وأنو شر
وان يزجى الجيوش تحت الدرفس

فهل كان البحترى فى هذه القصيدة من شعراء الوصف المصورين ، أم كان من شعرائه التأثيريين ؟ وهل يعد من باب « النقل الحرفى » لما فى الصورة قول البحترى فى قصيدته هذه .

وكأن الإيوان من عجب الصنـ
ـعة جوب فى جنب أرعن جلس

يتظنى من الكآبة أن يبـ
ـدو لعينى مصبح أو ممسّ

مزعجا بالفراق عن أنس إلف
عن ، أو مرهقا بتطليق عرس

عكست حظه الليالى ، فبات المشـ
ـترى فيـه وهو كوكب نحس

الحق أن هـذا هو التصوير الفنى الذى نعتقده فى كثير من شعر الوصف عند البحترى وعند غيره من الشعراء الأقدمين ، وهـذه هى الرؤية النفسية التى تضيف إلى المنظور من شعور النفس ، وتأثر القلب ، ما يمنحه حركة وحياة .

ثم يورد الكاتب بعض أبيات البحترى فى وصف بركة المتوكل ، ويذكر أن الوصف فى هذه الأبيات كان وصفا لشعور الشاعر ، وخلجات نفسه ، وإحساس قلبه ... وهـذه هى الأبيات :

تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها

كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى فى مجاريها

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا
مثل الجواشن مصقولا حواشيها

فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها
وريق الغيث أحيانا يباكيها

إذا النجوم ترامت فى جوانبها
ليلا حسبت سماء ركبت فيها

فهل فى هذه الأبيات من وصف الشعور ، بقدر ما فيها من تسجيل ظواهر المنظور ؟ إن الذى ينقصها إنما هو النظرة الكلية إلى الموصوف ، والشعور الذى يشمل جوانبه ، وينفذ إلى أعماقه .

ولو أردنا أن نتوسع فى نقد هذه الأبيات لقلنا إن تشبيه الماء بالفضة تشبيه لم يصدر عن رؤية نفسية ، وإنما صدر عن رؤية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مادية ، ولهذا لم ير الشاعر برؤيته المادية غير ما يشترك فيه الماء والفضة من اللون والقوام ، فقرن بينهما فى شعره ، ولو أنه رأى كلا منهما رؤية نفسية ذات حساسية وتعمق ، لأدرك أن الماء فى جوهره ووظيفته أغلى من أن يقوم بكنوز الأرض جمعاء . .

ثم ما هذه الصورة التقليدية التى يقترن فيها الماء المتموج بالجواشن المصقولة ؟ إن الماء المتموج يمثل الحركة والحياة ، فهل تمثل الجواشن تلك الحركة ، وهذه الحياة ؟

والذى أراه بعد ذلك أن الأستاذ الجندى فى حاجة إلى أن يراجع بحثه ، وأنه إذا شاء أن يأتى فيه بجديد ، فعليه أن يكتبه من جديد .

وفى مقال آخر سوف نتناول بقية الأبحاث بالتعقيب لنصحح ما يحتاج إلى التصحيح فى نقد البحترى خاصة ، ولنصلح ما يحتاج إلى الإصلاح فى موازين النقد عامة .

ابراهيم محمد نجا

(بقية المنشور على صفحة ١٠٨٤)

فى أنفسكم ، ألم آتكم ضُلّالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ، قالوا بلى ، لله ولرسوله المن والفضل فقال ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟ قالوا ، وبماذا نجيبك يا رسول الله . قال ، أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وتصدقتم . أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك ، وجدتم فى أنفسكم يامعشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يرجع الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فوالذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا ، وسلك الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار . .

هذه الكلمات المنصفة قد نزلت على القلوب نزول الغيث الدافق على المحل الظامى . فأخصبت الجديب وأنعشت الذاوى بل إن تيارها الحنون قد دفع بالدمع إلى العيون ففاضت المحاجر ندما واستسلاما ! ! ولا أجد أروع ولا أبدع من براعة المقابلة المذهلة بين رجوع المهاجرين بالشاة والبعير ، ورجوع الأنصار برسول الله ! ! وهى إحدى وثبات العبقرية ، وكم لها فى أدب النبوة من أمثال .

محمد رجب البيومى

المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رمضان بين الأمس واليوم

للدكتور محمد غلاب

كان رمضان فى ربيع الدعوة الإسلامية الباهرة — بما فيه من صوم حقيق وعبادة مخلصة ، وصفاء تام — عملاقا نورانيا هائلا يتحدى أرواح الشر وشياطين الإثم ، ولا يزال يدعوهم إلى المنازلة حتى يشتبك معهم فى حرب طاحنة يقضى عليهم فيها قضاءه الأخير ، فلا يحل بالأمة الإسلامية شهر شوال حتى يكون جيش الآثام والسيئات قد انهزم هزيمة منكرة لا يسترد منها قوته إلا بعد لأى وعناء شديدين ولا يكاد يستخدم هذه القوة الشريرة التى استردها حتى يباغته رمضان من جديد فيعيده إلى هزيمته الأولى أو إلى ما هو أشد منها نكرا ونكالا .

ولم يكن رمضان يقتصر على ذلك الموقف السلبى بما اشتمل عليه من ألوان الكفاح المعنوى وعدده الروحية ، وإعداد المؤمنين للانتصار على جيوش الإثم والفساد وتمزيق كتائبها شر ممزق ، وإنما يقوم بدور إيجابى فعال ، وهو أنه يقدم — بصفائه ونقائه — أعظم مأدبة للقلوب الطاهرة ، وأقوى ملجأ للعقول المتأملة فى ملكوت السماوات والأرض وما بينهما من آيات بينات ، وعبر نيرات . ولا ريب أن هذه التأملات دائما تنتهى بأولئك المؤمنين إلى نتيجة واحدة لا تختلف ولا تتخلف وهى اليقين بأن وجدان العالم الإسلامى يعتمد على الدين وبأن الإيمان المستنير النقى الخالص هو الذى يكيف هذا الوجدان ويكون له بمثابة المنبع الذى تنبجس منه درجات سموه وسيره نحو الكمال .

هذا هو هدف الدعوة العظمى التى أشرقت على حنادس العالم فأحالته نورا وبهاء ، وفاضت على كل ما كان يكتنفه من ضلال وشك فصيرته هدى ويقينا وانبثقت فى وسط الهمجية المطبقة فجعلتها نظاما وانسجاما .

هذا هو الذى كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأماجد رضوان الله عليهم أيام أن كان عشرة من المؤمنين يغلبون مائة من الأعداء الأقوياء ، وعشرون يغلبون مائتين ، لا لشئ سوى أن عقيدتهم كانت أرسخ من الطود ، وإيمانهم أنقى من الثلج ، وأنهم انصرفوا تماما عن الاعتماد على أهل الأرض واتجهوا بكل كيونتهم نحو الواحد الأحد الذى يملك وحده دون غيره أن يعز من يشاء ويذل من يشاء .

كان هذا أيام أن فهم المسلمون دينهم حق الفهم وترفعوا بالتشريع الإلهى الحكيم عن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يفترض الصيام ليمنع الناس من تناول الطعام والشراب ردحا من الزمن ينتهى كل يوم بغروب الشمس . فيعود بهم إلى إباحة ما حرمه عليهم منذ ساعات . أو أن يفرض الصلاة ليكره الناس على إتيان حركات رياضية معينة لا روح فيها ولا حياة ، وليس وراءها هدف سام ولا غاية نبيلة . ولقد ترفع المسلمون الأولون عن هذا السخف فى الفهم وسموا بدينهم عن هذه الدركة التى لا يقرها العقل المستقيم ، ولا يستسيغها الذوق السليم ، فاستوحوا كتابهم ، واستلهموا سنة نبيهم فألفوا لديهما حكمة هذين الركنين من أركان الإسلام واضحة جلية وهى أن الصلاة إنما شرعت لتخرج الآثم وتجلله بالخجل كلما وقف بين يدى ربه ملوثا بالرذائل والسيئات ، فلا يسعه إلا العدول عنها ذهابا بنفسه عن مواطن العار الذى يلحقه خمس مرات فى اليوم والليلة . والإلهوى فى حضيض السخط الإلهى لصفاقته وفقدانه معنى الحياء الإنسانى ، واستخفافه بتكرار مواجهة ذى القوة والجبروت متلبساً بالإثم ، متشبثا به ، مصرا عليه ، فينطبق عليه قول النبى الجليل : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » . وإنما أيقنوا أن الله قد شرع الصوم لحكم خلقية واجتماعية شتى . منها أن يشعر الصائم بأن هناك سلطانا قويا يمنعه من لذائذه فيمتنع عنها حتى فى الخفاء فيحول ذلك الشعور بينه وبين الطغيان النفسى البغيض الذى هو أولى دركات الغرور المهلك .

فحدثنى بربك أيها القارىء أمتحققة الآن من صيام المسلمين تلك الأهداف العالية التى قصد إليها الشارع والتى كانت متحققة فى صدر الإسلام بقضها وقضيضها ؟ .

فهل يعتبر الآن صائما ذلك الذى يمتنع عن الطعام والشراب ثم يوغل فى الكذب والخيانة والغدر والدس والملق والرياء والغيبة والنميمة والغمز واللمز ، وتتضاعف عنده شدة الغضب فى رمضان ، وتتعدد لديه أحداث التهور إلى حد لا عهد للناس به فى غيره من الشهور كأن رمضان شهر شر وغضب وحمق وجهل ، لا شهر حلم وتسامح وسماحة وصفح وصفاء للنفس ، وتهذيب للخلق كما قصد منه المشرع الحكيم .

وهل يعتبر من الصائمين هؤلاء الرؤساء الذين يحابون ويجورون ، وأولئك الأثرياء وأصحاب الأعمال الذين يأكلون حقوق العمال بعد أن يستوفوا أعمالهم ويستنفدوا قواهم ؟ وهؤلاء العمال الذين يتقاضون أجورهم ويلحفون فى الزيد منها دون أن يؤدوا الأعمال بإتقان وإخلاص .

على أن الذى زاد الخطب فداحة والجو ظلاما أن أذناب الاستعمار وسماسرته الذين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كان سادتهم من المحتلين فى ذلك العهد المشئوم يعدون لهم ميزانية خاصة ينفقونها فى إفساد عقائد الشباب وتربيتهم وعقولهم قد نجحوا فى النصف الأول من القرن العشرين فى أن ينقشوا فى أذهان أنصاف المثقفين من المواطنين أن أداء الفروض الدينية من صوم وصلاة وما إلى ذلك من التكاليف من شأنه أن يجلب إلى أصحابه الاستهانة والاستهزاء، ولقد خلقت هذه المحاولة الاستعمارية الخطيرة فى نفوس الكثيرين من المسلمين عقدة نفسية كان من نتائجها أن دعتهم إلى التهاون فى الشعائر الدينية التى هى مناط التماسك والترابط، وتلك هى الغاية الجهنمية التى رمى إليها المحتلون لأنهم يعلمون تمام العلم أنه متى عم الاستهتار بالعقيدة، ساد الانحلال، ومتى ساد الانحلال انهار الكيان من أساسه، ومتى انهار الكيان تثبتت أقدام الاحتلال.

ولقد تنبه إلى هذه الحقيقة فريق من المستشرقين الذين درسوا الإسلام دراسة عميقة وتبينوا مبادئه الأساسية وعناصره الأولية فأسروا إلى مواطنيهم أن الإسلام دين خطير، لأنه اشتمل على مبادىء يمكن أن تقيم الدنيا وتقعدها، وإذا تحقق تطبيقها ساد أهل هذا الدين الكرة الأرضية كلها، فمن هذه المبادىء مثلا: الترابط والتماسك والاتحاد: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا». «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم».

ومنها الاستقامة والقناعة وحسن معاملة الجار وحب الخير للناس «قل آمنت بالله ثم استقم لا تزد على ذلك شيئا». «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مسلما، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا».

ومنها التعاون على الخير والتحذير من التعاون على الشر «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان». ومنها ذم الغيبة والنميمة والحسد والاعتداء والغمز واللمز والتنابز بالألقاب: «ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه». «ويل لكل همزة لمزة». «ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم». «إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

ومنها الصدق والأمانة والعدل والوفاء بالعهد، واستيفاء الأجير أجره: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين». «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل». «ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى». «وأوفوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالعهد إن العهد كان مسئولا » . « قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ... ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » . « آية المنافق ثلاث : إذا تحدث كذب ، وإذا ائتمن خان ، وإذا وعد أخلف » .

وأيًّا ما كان فإن هذا الفريق الأخير من المستشرقين يعلق على هذه المبادئ القرآنية بعبارات مختلفة ، مؤداها كلها أن المسلمين إذا عرفوا كتابهم حق المعرفة وطبقوه أكمل تطبيق . فالويل كل الويل للاستعمار ، إذ أنه لن تقوم له قائمة بعد الساعة التى تتم فيها هذه المعرفة ، ويتحقق فيها ذلك التطبيق .

ومن ثم يتبين ذلك المجهود الذى يبذل المستعمرون فى أن يبقى الإسلام مجهولا ، وأن تظل مبادئه مهجورة بعيدة عن التنفيذ.

غير أننا نأمل أن نفوت على المستعمرين وناصحيهم من بنى جلدتهم هذه الفرصة الخطيرة حتى لا يظفروا بهذه البغية التى طالما عملوا لها فى عصور الخمول والظلام . ونرجو أن تستيقظ الأمة الإسلامية من نومها الذى طال مداه ، وأن تنفض عن كواهلها غبار الركود ، وأن تتخلص من مركب النقص الذى طالما أرهق نفوس الكثيرين من بنيها ، وهصر قلوبهم وسوّل لهم أن مناصرة الدين نوع من التأخر ، وتأييده لون من الرجعية ، وأن يتحرر منذ الآن أولئك الضعفاء الذين يضطربون فرقا أمام المتحللين من دينهم وأخلاقهم فيجارونهم فى التحلل ، بل يسبقونهم إليه ، وما أساس هذا كله سوى الجهل وضعف النفسية والجبن والانمياع .

وأخيراً ـ وإلى أن يتحقق هذا الاستيقاظ المرموق ـ هل ينبغى الصمت بإزاء هذا كله حتى نهوى أكثر مما هوينا ، ونتقهقر إلى الوراء أكثر مما تقهقرنا ؟ وأن نبقى كما نحن معتمدين على أن الله غفور رحيم ، ناسين أو متناسين أن عذابه هو العذاب الأليم ؟ وأن نظل مكتفين بالقشور دون اللباب كأننا لسنا من ذوى الألباب ؟ قانعين من الشعائر بالأعراض والأشباح دون الجواهر والأرواح ؟ كلا ، لا ينبغى أن نغضى عن هذه الحالة ولا أن نمد فى عمر هذا النوم الذى طال مداه ، ولا أن نتابع ذلك الخمول الذى اشتد ظلامه ، وران على قلوب المسلمين قتامه ، بل يجب أن ينهض الإسلام بالعالم من جديد كما نهض به منذ أربعة عشر قرنا ، فالنفوس معدة ، والقلوب مستعدة ، إذ أننا الآن نحيا فى عالم قد أصبح ـ بسبب هذه المدنية المادية التى تسوده وتقوده ـ يسخر من المبادئ ، ويهزأ بالفضائل ، ولا يمجد إلا حكم القوة ، وأمست مقاييسه محصورة فى النجاح ولو على حساب الفضائل والأخلاق . وأوشكت القيم الخلقية فيه أن تنهار ، وأضحت مقدسات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإنسانية معرضة للإهانة والدوس بالأقدام. ولما كان خروج كل شيء عن حده يؤذن بالانقلاب إلى ضده ، فإنه لا بد أن تبدأ هذه المادية البغيضة فى الانهيار ، وتصير الكلمة الأخيرة الحاسمة للروحية المشرقة .

نعم إن كثيراً من المعاصرين الذين بهرتهم هذه المدنية المادية يبسمون سخرية من هذا الرأى ، ذلك لأنهم اعتادوا على أن يرجعوا كل عمل إنسانى إلى بواعث نفعية وغايات شخصية ومع ذلك فإنه — رغم مبادئهم المادية — لا يبقى لهم سوى قليل من الشجاعة وحسن النية ، لكى يعترفوا معنا بأن الفضائل ليست منسجمة مع التعاليم الدينية ، والفطرة الإنسانية المستقيمة فحسب بل هى متفقة مع الضرورات الأولية لجميع المشروعات الاجتماعية الأساسية فى الحياة . وذلك لأنه إذا كان تعريف الفضيلة هو « كل ما لو عم لأصلح الحياة » وتعريف الرذيلة هو « كل ما لو عم لأفسد الحياة » ، فقد وجب الجزم بأن من المستحيل إقامة بناء أى مشروع متين ثابت مفيد للإنسانية دون أن يؤسس على دعائم الفضيلة والأخلاق ، كما أن من أسباب الفشل الجوهرية أن ينسى وضاع المشروعات الاجتماعية أن البشرية إذا لم تكن كلها متمتعة بحياة عقلية ، فإنها جميعها مفتقرة إلى حياة روحية ترشدها أثناء اجتيازها دياجير الوجود ، ومحتاجة — فى تنظيم معاشها وعلائقها — إلى قواعد ثابتة ، ومناهج مقررة تسد حاجاتها وتحقق سعادتها ولا يتيسر هذا إلا فى قوانين الأخلاق الخالدة ، وتعاليم الدين الحكيم الذى هبط من لدن المستغنى الذى لا يناله شيء ، لأنه فوق كل شيء ، وإنما شرع ما شرع لنفع الإنسانية ، وإسعادها وتطهيرها ومنحها النصيب الميسور لها من درجات الكمال .

وإذا كان كل ذلك ثابتا مقرراً ، فإن الإسلام يجب أن يتزعم الآن ثورة التجديدين الخلقى والاجتماعى كما تزعم من قبل ثورة التوحيد النقى الذى قلب كيان الوثنية رأسا على عقب ، وأن ينهض بهذه الأمة من كبوتها ويقيلها من عثرتها ، وهذا أهون عليه . فقد خلق الإسلام قبل ذلك من الفوضى والهمجية والجهل أمة عز سلطانها ، وعلا صولجانها ورفرفت أعلامها ، وتغلغلت تعاليمها وسادت قوانينها رقعة من الكرة الأرضية بعيدة المدى ، مترامية الأطراف : والسبب الأول والأخير لهذه العزة العظمى هو فهم المسلمين دينهم على حقيقته ، وتطبيقهم روحه دون الاكتفاء بحرفيته ، والعمل على تحقيق هدفه وغايته ، وهذا هو ما نريد أن يكون عليه المسلمون حتى لا تفوتهم القافلة التى نرجو لهم أن يكونوا قادتها الأولين .

الدكتور محمد غلاب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حقيقة الاشتراكية في الإسلام

للأستاذ احمد حمد

اشتراكية الاسلام شاملة :

يتحدث الكثيرون عن الاشتراكية ويكتبون فيها ولكن قل منهم من يكتب عنها بمفهومها الصحيح ويحدد معناها تحديداً شاملا جامعا ، فلكل كاتب وجهته ولكل زاويته الخاصة التي ينظر منها إلى مدلول الاشتراكية ويحدد في إطارها معالمه وحدوده ولعل النظرة الغالبة هي المعاني الاقتصادية وحدها عند تحديد الاشتراكية والمطالبة بالأخذ بها .

ومما ترتب على هذا الاتجاه ـ المعيب ـ أن الذين يتحدثون عن الاشتراكية الإسلامية يقصرون مفهومها على المجالات الاقتصادية وحدها ، بل منهم ـ وهم كثير ـ من يزيد فيستند إلى بعض الأحاديث منحرفا بمعانيها لتأييد ما ينادون به من اشتراكية متطرفة تذهب بخير الاشتراكية الإسلامية كما رسم حدودها الإسلام وبين معالمها وأركانها ، وهم في هذا يبيحون لأنفسهم القضاء على الملكية الفردية وامتلاك الدولة لموارد الثروة وعناصر الانتاج كافة وهم في دعواهم ينقضون الاشتراكية في أصولها . إذ يفترض أي نظام اشتراكي وجود مجموعات من البشر يتعاونون فيما بينهم لخدمة المجموع وتكون علاقاتهم منتظمة في إطار يكفل للجميع الخير ولا يساعد البعض على السيطرة على الآخرين.

والاشتراكية الإسلامية لا تقف عند مجالات الحياة المادية وحدها بل تشمل كافة المجالات الحيوية للمجتمع كله ، فالإسلام ـ دين الاشتراكية الحقة ـ دين اشتراكي في العبادة حيث يقف الناس جميعا بين يدي الله تعالى لا فرق بين إمام ومأموم ، وهم كذلك في صيامهم وحجهم . وأبلغ دليل على اشتراكية الإسلام في الحكم هو أمر الله عز وجل إلى نبيه ورسوله عليه صلاته وسلامه بمشاورة المسلمين بالرغم مما اختص من نبوة وتشريف بالرسالة وأنه لا ينطق عن الهوى فيقول تعالى « وشاورهم في الأمر » . كذلك فإن كل فرد مشترك في المسئولية في هذا المجتمع الإسلامي لا فرق بين حقير وعظيم (فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) . وتذهب الاشتراكية الإسلامية في ذلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى أقصى مداها حين تحمل كل فرد مسئولية المشاركة فى الحياة العامة للقضاء على المفاسد الاجتماعية والأمراض الجماعية فلا ينعزل الفرد عن الناس (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه) ولا ينفرد بنيته وحسن طويته فيما يعمله ويأتيه من أعمال ، بل يرعى شعور الآخرين وأفكارهم فيحرم على النساء الظهور بما يفسد الشباب والرجال ويطمع فيهن الذين فى قلوبهم مرض ولو كانت النساء لا يردن بذلك أن يتحقق أى من هذه الأضرار . وفى أموال الأغنياء حق معلوم للسائل والمحروم فتزول بذلك فوارق الطبقات بآثارها من عوامل الحقد من جانب الفقراء والطغيان من جانب الأغنياء.

أما هؤلاء الذين يقصرون معانى الاشتراكية الإسلامية على النواحى الاقتصادية وحدها ، فهم على جهلهم بحقيقة أوضاع الإسلام وقواعده وأحكامه يجهلون أيضا حقائق تطور البحث الاقتصادى الحديث ، فقد بدأت تدخله النواحى النفسية للأفراد وتأثيراتها فى النشاط الاقتصادى ، وهذه النواحى النفسية إنما تستمد وجودها وتقلباتها من الأوضاع الاجتماعية والدينية وما يتصل بها من ثقافة وخلق ، وها هو الإسلام سابق بحكمته وعظمته وإن كان هؤلاء الباحثون فيما عداه يتعثرون للوصول إلى بعض حكمته ويستضيئون بقبس من نوره .

اشتراكية انسانية :

فالإسلام فى اشتراكيته يهدف إلى تكوين مجتمع متكافل ترد فيه الحرية إلى أسير مغلوب على أمره أو يصان فيه عقل ماجن مغلوب على إرادته كما يهدف إلى إطعام الجائع وإسعاف المكروب .

الحقوق الاشتراكية الأساسية فى الإسلام

إن هناك مجالات عديدة تتطلب الاشتراكية كنظام يكفل لها البقاء والاستمرار ، فبدونها لا وجود لها ولا جدوى فيها . وهناك حقوق أساسية لا ينتفع بها إلا إذا اتسم تطبيقها بروح الاشتراكية ، وهى : حق الحياة ، وحق الحرية وحق العلم ، وحق الكرامة ، فالأفراد تعتمد حياتهم على هذه الحقوق وتدور معها وجودا وعدما ، فلا وجود لإنسان لا حياة له ، ولا معنى لحياة الإنسان ما لم يستمتع بنصيب موفور معلوم من الحرية فى حدود ما شرع منها ، ولا يفهم الحرية ولا يقف عند حدها الصحيح إلا من تلقى نصيبا معقولا من التعليم ، ولا علم لمن لا كرامة له .

فالناس جميعا شركاء فى هذه الحقوق الأساسية ووجودهم مرتبط بها ، وما معنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوجود لإنسان لا يستطيع أن يحيا حرا متعلما كريما ؟ إن حق الحياة شركة بين الجميع وليس حكرا لفرد أو وقفا على طائفة أو منحة لشعب ثم يحكم على الآخرين بالدمار والهلاك والإبادة ، كما أن حق الحرية شركة بين الجميع لأن الحياة تفقد ما فيها من سر ويظلم ما فيها من نور ويكبو ما فيها من أمل ويخبو ما فيها من رجاء ويكتئب ما فيها من سعادة إذا فقدت حريتها ورزحت تحت أثقال القيود ورسفت فى أصفاد العبودية والهوان . وحق الحرية دون علم منير وعقل مستنير : انطلاق محموم وانحلال مذموم وشهوات جامحة ونكبات جائحة ، وحق الكرامة يحفظ للمرء حرمته ويصون له سمعته دون إهدار للقيم أو عبث بالمثل أو إفساد للناس .

ولما لهذه الحقوق من أهمية بالغة فى انتظام المجتمع الإسلامى واستقراره ، فقد عنى بها الإسلام عناية فائقة . فاعتبر العدوان على حياة فرد عدوانا على المجتمع كله وأوجب على المجتمع القصاص من الجانى (ولكم فى القصاص حياة) باعتبار أن من قتل فردا فقد قتل الناس جميعا لأن حياة الفرد من حياة الجماعة وعليها أن تحافظ عليها وتحميها (فمن قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) بل إنه لا يقف عند هذا الحد ، فإذا لم يعرف القاتل على وجه التحديد أوجب على أهل البلدة التى قتل فيها أن يدفعوا الدية لأهل القتيل إذ المفروض أن يحافظوا على أرواح كل فرد بينهم .

أما عن حق الحرية فإن بيان أوجه التقرير والتأكيد التى جاء بها الإسلام خاصا به لما لا يتسع له المقام فيكفى أن نذكر أن الإسلام يكفل للمرء حريته فى عقيدته (لا إكراه فى الدين) ولكل فرد أن يختار الدين الذى يروق له (لكم دينكم ولى دين) . وأما عن الحرية السياسية فإن لكل فرد مهما كانت مكانته أن يقف أمام أمير المؤمنين ليقول رأيه . يقول الحق تبارك وتعالى فى ذلك (وتواصوا بالحق) فلا خير فى حاكم لم يسمعها ولا خير فى محكوم لم يقلها .

ولم يكن حق العلم أقل نصيبا فى عناية الإسلام به بل ما زال القرآن يأمر بالعلم ويوضح للناس أسس العلم الصحيح ومناهج البحث والتعليم ، فمن آياته ما يهيب بها على التقليد والجمود ويدعو إلى التحرر فى البحث عن حقائق الوجود بلا تعصب لنسب أو جاه أو شهوة أو تقليد أعمى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ويكرم العلم فى شخص العلماء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيرفعهم يوم القيامة إلى أعلى الدرجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وذلك لأن العلم يقودهم إلى حسن معرفة الدنيا والآخرة فيخشون الله ويتقونه حق تقاته (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

وأما حق الكرامة ، وهو أساس هذه الحقوق جميعا ، فهو أهم ما يعنى به الإسلام فيحرص على إبعاد الشبهات عن الإنسان حتى يكون موضع احترام المجتمع ومحل ثقته فيترابط الأفراد ويتماسك المجتمع (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) ويحرم استهزاء الناس بعضهم من بعض (ولا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) ولقد سجل القرآن حق احترام كرامة الإنسان فى قوله عز وجل (ولقد كرمنا بنى آدم) .

حق التملك :

ولعل حق الفرد فى التملك هو المجال الخصب الذى تجول فيه أقلام الكاتبين فى الاشتراكية وخاصة الذين يقصرون معانى الاشتراكية على الحقوق الاقتصادية وحدها . وقد يكون لبعضهم العذر فى ذلك إذ تستند كثير من الحقوق الأربعة السابقة إليه وتعتمد على تنظيمه . إلا أن ذلك لا يعنى أن تذوب حقوق الإنسان الأربعة الرئيسية فى تنظيم حقه فى التملك .

ولقد أقر الإسلام هـذا الحق وتناوله بالتنظيم ، فأحكم تقرير أركانه ومقوماته والمجالات التى يمكن إعماله فيها ، وحدد معالم الطريق الذى يسلكه النظام الاقتصادى بصفة عامة ، ولا نغالى إذا ذكرنا هنا أن الإسلام قد وضع أحكامه فى التنظيم الاقتصادى بطريقة لم تستطع النظم الحديثة أن تصل إليها ، وإلى عمق علاجها للمشكلات الاقتصادية المختلفة ، فقد حقق الإسلام اشتراكية اقتصادية فى وقت لم تكن اقتصاديات الدول الأوربية قد حظيت فيه بشىء من العناية والتنظيم ، بل نزيد على ذلك فنقول إن البحوث الاقتصادية لم تصل إلى تقرير نظام محكم حتى الوقت الذى نعيش فيه ، فإن النظام الاقتصادى الإسلامى على بساطته دقيق فى علاجه كل نواحى الهيكل الاقتصادى للمجتمع بحيث لا يترك كبيرة ولا صغيرة بدون علاج ، ولا يدع مجالا لظهور مشكلات جديدة تخل بانتظامه واستقراره .

الاشتراكية الاقتصادية وسيلة لا غاية

ومن الواضح أن الاشتراكية الاقتصادية فى الإسلام إن هى إلا وسيلة لتحقيق غاية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كريمة وهى الحياة الحرة الكريمة المستنيرة للإنسان ، فهى وسيلة إلى حضارة تقوم على الفضيلة وتنطوى على الإيمان بالله ووحدانيته وليست وسيلة إلى حضارة تقوم على الرذيلة والفوضى والتناحر بين الأفراد والكفر والإلحاد ، فالإسلام عند ما يقرر (إنما المؤمنون أخوة) لا يقصد بهذا مجرد الأخوة المادية فى الطعام والشراب والكساء فحسب ولكنها أخوة رحيمة متكافلة إذ يحب الأخ لأخيه ما يحب لنفسه ويتألم لمصابه كما يتألم لمصاب نفسه : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » فالمسلم يحرص على حقوق أخيه وحياته وحريته كما يحرص على كرامته ، فيضطرب لاضطرابه ويألم لآلامه . ولا يستقر خوفا على مستقبل أخيه المسلم ولو كان مستقرا ثاويا . فالأخوة الإسلامية أخوة فى المشاعر والأحاسيس كما هى أخوة فى المطالب والحاجيات على حد سواء .

الاشتراكية المادية فى الإسلام فى الذروة

وقد بلغت الاشتراكية المادية فى الإسلام ذروتها إذ سبقت عقول الباحثين بأجيال وأجيال ، فما زال هؤلاء يخبطون خبط عشواء ، وتتحمل الإنسانية مرارة تجاربهم للوصول إلى الكمال فى تنظيم اقتصاديات المجتمع الإنسانى على أساس من الاشتراكية .

إن الاشتراكية الإسلامية تنبثق من روح الإيمان لدى الإنسان ثم هى بعد ذلك تهدف إلى إنماء روح الإخاء بين الناس ودعم معانى الوحدانية وتثبيت الحرية الفردية واحترام كرامة الإنسان وتزكية روح العلم لديه .

ولقد توسل الإسلام لتقرير هذه الاشتراكية بوسائل غفلت عنها جميع المدنيات وأقفرت منها جميع النظم ، فقد ربط إطعام الفقير والمسكين بكثير من المخالفات الدينية والأعياد السنوية ، والعواطف الإنسانية ، فمن المخالفات كفارات الظهار والفطر فى رمضان بغير عذر مشروع وكفارة اليمين ، وفى الأعياد مناسبة كريمة لإعطاء المحروم وإشاعة روح التآخى والمساواة فيلزم الفرد بزكاة الفطر عن نفسه ومن يعولهم فى آخر يوم من رمضان ، وشرعت الأضاحى فى عيد الأضحى (يأيها الناس على كل أهل بيت فى كل عام أضحية) فهى واجبة على كل قادر . وفى الأوقاف والنذور والوصايا فتح الإسلام أبوابا رحبة تلج منها العواطف الإنسانية إلى آفاق البر والإحسان إلى فئات كثيرة من المعوزين والمحرومين .

ويتساوى الناس فى هذه الأحكام جميعاً

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما داموا قادرين ولا يقتصر حكمها على الأغنياء ومن آتاهم الله من فضله بغير حساب .

ثم يقضى الإسلام بأحكام أعمق فى آثارها وأعظم فى نفعها فيفرض الزكاة على ذوى المال فيأخذ من الأغنياء ليعطى الفقراء والمعوزين ، وهى أيضا تقضى على تكتل الأموال فى أيدى أفراد فتنتقص من أموال الكسالى والعاطلين الذين لا يفيدون المجتمع بأموالهم والذين يكتنزونها ولا ينفقونها فى خيرهم وخير العباد ، وتنقل الأموال إلى أيد أكثر نشاطا وأقدر على التنمية والاستغلال فيزداد الإنتاج والرخاء على حد قول كتاب الاقتصاد .

ويحارب الإسلام تكتل الأموال فى أيد قليلة ويحارب سيطرة المال على جهود الأفراد واستغلال حاجة المحتاج وكربة المكروب فيحرم الربا فى كل صوره ، فمن كان له رأس المال فهو شريك أو لا يكون على الإطلاق ، فإن أحجم واكتنز فالزكاة تكفل للمجتمع نصيبا من ماله وتحرمه منه بعد قليل من الزمان وتنقله إلى العاملين الذين يشاركون فى البيع والشراء والأخذ والعطاء يتعرضون للغنم ويتعرضون للغرم على السواء .

وكم بحث الباحثون واقترحوا من حلول للقضاء على مشكلات الرأسمالية المنبثقة من عيوبها الكامنة فى أصولها والتى تسير عليها الدول الغربية حتى هذا الزمان من إطلاق حرية أصحاب الأموال فى استغلال أموالهم بلا حساب لحياة الناس وكرامة بنى الإنسان . وكان آخر ما وصلوا إليه الضرائب التصاعدية إلا أنها عجزت عن أن تكفل معاملة الجميع على السواء فما زالت مشاكل الأعباء المختلفة وفروق المراكز الاقتصادية المتفاوتة أقوى من أن تحلها الضرائب التصاعدية . وهنا ظهرت بين أقلام الكتاب أقلام تشير إلى قوة الزكاة وإلغاء الربا فى علاج مشكلات المجتمع الاقتصادى الحديث .

ولا تقف أحكام الإسلام فى تنظيم الاشتراكية الاقتصادية بين الناس عند هذا الحد بل إنها تقرر حقوقا كثيرة على الأموال ؛ منها حق الحصاد « وآتوا حقه يوم حصاده » وحق الجوار فالإسلام يوصى بالجار ويقرر له الحقوق تلو الحقوق فينفى صفة الإيمان عن مسلم نام شبعان وجاره جائع « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع » . وحق الماعون حين يتوعد المصلين الذين يمنعون الماعون وتبادل المنافع والخيرات « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » .

ونظرة واحدة إلى نظام الإرث فى الإسلام تكشف عما فيه من قضاء على تكتل الأموال لدى بعض الأفراد وتوزيعها على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأقارب وتفرقته بين الرجال والنساء فيزيد في نصيبه لأنه يتجه إلى الاستغلال والإنماء والمرأة غالباً تتجه إلى الاستهلاك .

ويبلغ الإسلام ذروته فيقرر حقوقاً لمن ليست لهم حقوق إرث أو وصية ، وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ، فلا تقف نصوص المواريث جامدة تقضي على الأخوة الروحية بين الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، وتحول بين مشاعرهم بل تنميها وتزكيها بروح من الاشتراكية في أسمى معانيها ، فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ، .

التأميم والاشتراكية :

ورغم أن الاشتراكية الاقتصادية تعني الاشتراك في ضروريات الحياة وحاجياتها ، إلا أن المعنى السائد هو التأميم أي استيلاء الدولة على الملكيات والإشراف عليها إداريا وفنياً . والحقيقة أن الاشتراكية أشمل وأعم من التأميم ، فالتأميم إنما هو أسلوب من أساليبها ومنهج من مناهجها وليس هو مظهر الاشتراكية الوحيد .

والواقع أن التأميم سبيل سليم من سبل تحقيق الاشتراكية الاقتصادية فهناك من الأعمال والمشروعات مايجب أن تنفرد الدولة بإدارتها وتستقر ملكيتها في يدها لتحقق بها المصلحة العامة وتتوافر الضرورات الاجتماعية .

والحديث اليوم إنما يكثر عن التأميم باعتباره المظهر المعاصر الشائع من مظاهر الاشتراكية ، وما زالت المذاهب تتصارع للأخذ بالتأميم أو عدم الأخذ به ، وفي مدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي لتحقيق المبادئ الاشتراكية الاقتصادية .

التأميم ضرورة عند الضرورة :

إن هناك كثيرا من أوجه النشاط الاقتصادي التي يعجز الفرد أو المشروعات الفردية عن القيام بأعبائها ، إما لأنها لا تحقق الأرباح التي تشجع الأفراد على القيام بها مهما بلغت من المشروعية ، أو لأن قيام الأفراد بها يمهد لهم سبيل السيطرة والتحكم في أرزاق الناس وأقواتهم وحاجاتهم ، ومن هذه المشروعات إنشاء السكك الحديدية ومحطات القوى الكهربائية وإنشاء البنوك مع ما لها من قوى في توجيه النشاط الاقتصادي ، فهذه المشروعات تحتم طبيعة الأمور قيام الدولة وحدها بتنفيذها دون الأفراد تحقيقا لصالح المجتمع ولو لم تحقق منها الربح .

إلا أنه من اليقين أن الأخذ بسبيل التأميم تحقيقا للاشتراكية إنما هو ضرورة عند

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الضرورة ، فهو سبيل يؤخذ به عند الضرورة أى فى الحالات التى تستلزم قيام الدولة بتملك المشروع وإدارته وحدها وليس فى كل أوجه النشاط الفردية والا انقلبت الدولة إلى تاجر يبيع ويشترى وينافس الأفراد فى أعمالهم ، وهى - نظرا لضخامة إمكانياتها وقدرتها على تحمل خسائر لايتحملها الفرد - تستطيع أن تقف فى الميدان الاقتصادى وحدها وتنقلب إلى محتكر لأوجه النشاط الاقتصادى المختلفة مع ما فى ذلك من مضار لا تخفى لكل من يعلم حقيقة الحرية الاقتصادية ومساوىء الاحتكارات . وهو ضرورة أى حالة خاصة لعلاج الضرورة التى تبررها فيجب أولا ألا يكون هناك سبيل آخر لعلاج هذه الضرورة التى تستلزم التأميم . فإن وجدت طريقة تعالج المشكلة القائمة أخذ بها ولا داعى للتأميم لأنه نظام مخالف لطبائع الأمور وهى قيام الأفراد بمباشرة الأعمال الاقتصادية .

وفضلا عن ذلك فإن مباشرة الدولة لهذه المشروعات الاقتصادية يتسم بالطابع الإدارى وحده دون وجود الدافع الشخصى لإدارة مثل هذه المشروعات ، وانعدام هذا الدافع يقضى على روح التجديد والسعى لإرضاء المنتفعين بهذه المشروعات وإدخال التحسينات ومعالجة أوجه التقصير فى أقرب وقت وأحدث الوسائل حتى تحافظ على جمهور المتعاملين معها ولذلك تبقى فى حالة تجديد مستمر وبحث عن مصالح الجمهور وهو ما لا تقوم به المشروعات التى تباشرها الدولة .

وقيام الدولة بهذه المشروعات لا يراعى فيه إمكانيات المشروع المالية لأن الدولة تمتد المعونة ، وبالحساب لهذه المشروعات فتشوه بها الخزانة العامة وتحمل الأفراد فى النهاية عبء التمويل فى صورة ضرائب أو رسوم وهو ما يناقض نتائج الاشتراكية المقصودة بالتأميم وهى القضاء على سيطرة رأس المال وخفض تكاليف المعيشة للأفراد وتيسير الحاجيات.

ولقد انتهج الإسلام سبيلا رشيدا يكفل للأفراد ضروريات الحياة بعيدا عن الاستغلال والتحكم فأباح للدولة القيام بمثل هذه المشروعات ولكنه إلى جانب ذلك احترم الملكية الفردية وأحاطها بسياج من الحماية وشجع أوجه النشاط الفردى فى مجاله . فيروى أبو عبيد فى كتاب الأموال أن الرسول عليه الصلاة والسلام أقطع بلال بن الحارث النقيع كله وهو من أراضى المدينة التى لا تصل إليها المياه ، وكذلك أقطع كلا من الزبير بن العوام ووائل بن حجر وعبد الرحمن بن عوف ، وكان يشجع إلى التملك للاستثمار وزيادة نماء البلاد فيقول (من أحيا أرضا ميتة فهى له) و

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(من أقام حائطا على أرض فهى له) وذلك كله لتشجيع الأفراد على الحيازة والاستثمار، ولذلك من احتجز أرضا ولم يعمرها نزعت منه (ليس لمحتجز بعد ثلاث سنين حق).

اشتراكية الإسلام هى اشتراكية الفطرة

وليس من شك أن اشتراكية الإسلام إنما تستوحى فى أحكامها الفطرة الإنسانية وتعتمد على المواهب البشرية، فاحترمت الملكية الفردية واعتبرتها وظيفة اجتماعية يقوم بها الفرد لمصلحته ولخير الناس جميعا ولا يحرم منها إلا من أساء استغلالها وأضر بالناس وهى اشتراكية قوامها التعاون والتكافل بين طبقات المجتمع كافة وليست حربا من طائفة ضد أخرى فهى تدعو الغنى إلى البذل إلى الفقراء وتدعو الفقراء القادرين إلى العمل والكدح فى سبيل القوت والرزق، فتضمن للمحروم حاجته، وللجائع قوته، وللمريض دواءه، وللعارى كساءه، وللشيخ التوقير والعناية، وللطفل التربية والرعاية، فلا يبقى فى المجتمع إلا إنسان راض مطمئن على مستقبله.

وهذا كله لا يتفق مع الاشتراكية المتطرفة المعروفة بالشيوعية التى تنكر حق الملكية الفردية، وتقضى على الدافع الشخصى للفرد فتقتل فى نفسه الموهبة والكفاية الشخصية، وتحيله إلى عامل ينفذ ما يوجه إليه من عمل فلا هى تحترم العقل ولا الكفاية لأن التنافس بين الأفراد يخلق طبقات من الناس والطبقات فى الاشتراكية الشيوعية معناها وجود حرب بين الناس لأنه لا يفهم هناك أن بين الطبقات تعاونا وتضافرا لتحقيق الخير للجميع. وأن القوى يعطف على الضعيف ويبذل له من الجهد والمال ليرفع عنه الكربة والظلم، ولكن الطبقات فى الشيوعية قوى متحاربة قوام العلاقة بينها الكفر بالله ونكران العواطف الإنسانية وإعدار القيم الأخلاقية فالعلاقات هناك تقوم على أساس من الشهوات والرغبات المادية وحدها ولذلك كانت حرب على الرحمة لأنها لا تعترف بالضعفاء بل يجب أن يعمل الجميع ليحصلوا على أقواتهم دون رأفة بالضعفاء والعاجزين. ولعل الشيوعية استوحت مبادئها من إبليس الذى رفض أن يحترم الإنسان لأنه لا يثق فيه إن الشيوعية لا تثق فى الإنسان وحرى بالإنسان ألا يثق فى الشيوعية.

* * *

ونظرا للمساوئ التى يتعرض لها الإنسان فى النظام الرسمالى المطلق فى العصر الحديث فقد أخذت الدول الأوربية الحديثة بمبادئ الاشتراكية للحد من هذه المساوئ والقضاء على ظلم الانسان لأخيه الانسان، وإن كان الأخذ بالاشتراكية فيها يختلف فيما بينها وذلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لاختلاف ظروف كل دولة والأوضاع السائدة فيها .

ونحن والحمد لله نأخذ بالاشتراكية على هدى من الإسلام ، فقد صدرت عدة تشريعات تهدف إلى تخفيف الفوارق بين الطبقات والتقريب بينها . وأخرى تهدف إلى القضاء على تكتل الملكيات فى أيدى فئة قليلة من الإقطاعيين والمالطين ، وهى إلى جانب ذلك تحترم الملكية الفردية وتدعمها فقامت بتوزيع الأراضى الزراعية على صغار الفلاحين ، وأشركت العمال فى أرباح أصحاب الأعمال .

وصفوة القول أن الاشتراكية ضرورة أصيلة والعمل على إخفاء معالمها معارض لسنن الطبيعة ومخالف لما شرع الله ، وكذلك الفردية فى مجالها المشروع ضرورة أصيلة والعمل على إخفاء معالمها معارض لسنن الطبيعة وفطرة الإنسان ومخالف لما شرع الله وفق الله على الخير خطانا وهدانا صراطا مستقيما .

أحمد محمد
الواعظ العام بالقاهرة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

خطر الكلمة يستهونها القائل

فى إحياء علوم الدين للغزالى :

وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها ، فلذلك لا يخلص إلا بالاقتصار على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا . وفى هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها ، وهو يستحقرها ، فقد قال بلال بن الحارث ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مفردات قرآنية: مادة الأمن في القرآن

للأستاذ أحمد الشرباصي

وردت مادة « أمن » في القرآن الكريم عشرات المرات ، ونجد هذه المادة تستعمل أحيانا بمعنى الأمن وهو ضد الخوف وتستعمل أحيانا بمعنى الأمانة وهي ضد الخيانة. وتستعمل أحيانا بمعنى الإيمان وهو ضد التكذيب.

ويحسن قبل استعراضنا لمواطن الاستعمال القرآني لهذه المادة بمشتقاتها ، أن نتعرف إلى معناها اللغوي ، وقد قال ابن زكريا : « الهمزة والميم والنون : أصلان متقاربان ، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة. ومعناها سكون القلب ، والآخر التصديق الذي هو ضد التكذيب ، كما قلنا متدانيان » . ويقول أيضا : « الأمان إعطاء الأمنة ... والأمين المؤتمن ... وبيت آمن : ذو أمن ، قال الله تعالى (رب اجعل هذا البلد آمنا) ... وأما قولهم : أعطيت فلانا من أمن مالي ، فقالوا معناه من أعزه عليّ ... لأنه إذا كان من أعزه عليه فهو الذي تسكن نفسه إليه »[1] .

ويقول الزمخشري : « وأعطيت فلانا من آمن مالي ، أي من أعزه عليّ وأنفسه ، لأنه إذا عز عليه لم يعقره . فهو في أمن منه »[2] .

(١) معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ص ١١٣ .
(٢) أساس البلاغة ، ج ١ ص ٢٠ .

وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، والأمان اسم للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن ، والأمانة اسم لما يؤتمن عليه الإنسان[1] ، نحو قوله تعالى : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ، وقوله : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . وقوله : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

والناقة الأمون هي التي يؤمن فتورها وعثورها[2] ، أو هي القوية المأمون فتورها ، جعل الأمن لها وهو لصاحبها[3] . واستأمن الحربي ، أي استجار وطلب الأمان ودخل دار الإسلام ، لا يعتدى عليه ما دام مستأمنا ...

ونعود إلى الاستعمال القرآني لمادة « أمن » ، فنجد بعض هذا الاستعمال يورد المادة بمعنى « الأمن » ، وهو زوال الخوف ، وهو معنى له جلالته ومكانته في الحياة الفردية والحياة العامة ، لأن الخوف في الفرد والجماعة هو سبب الكثير لنكبات البشرية وكوارث الإنسانية . ولأن زوال الخوف مفتاح للاستقرار

(١) مفردات القرآن للأصفهاني ، ص ٣٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ .
(٣) أساس البلاغة ج ١ ص ٢٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والإثمار ، وإذا كنا نجد اليوم تشريعات وتقنينات ومحاولات يراد منها تحقيق الأمان الفردى والتأمين الاجتماعى ويعنى بهذه التشريعات باحثون ومتخصصون هنا وهناك ، فمن حق القرآن الكريم علينا أن نعترف له بأنه قد سبق فخص هذه الناحية بالحديث الصريح تارة ، وبالإشارة أو الرمز أو التلميح تارة أخرى ؛ ونفهم من هذا أيضا أن مبادئ « التأمين الاجتماعى » لها بذورها وجذورها فى كتاب العربية الأقدس وهو القرآن الكريم ، ولو أحسن الدارسون تتبع هذه الجذور ، وتحليل تلك البذور ، لوصلوا إلى نتائج هامة ومقررات جليلة .

إن القرآن الكريم يشير إلى أمن الجماعة المستقرة فى موطن يضمها ويشملها حين يقول : « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر » . والمراد من الآية دعاء إبراهيم للمؤمنين من سكان مكة بالأمن والتوسعة ، بما يجلب إلى مكة ، لأنها بلد لا زرع ولا غرس فيه ، فلولا الأمن لم يجلب إليها من النواحى ، وتعذر العيش فيها (١) .

ونلاحظ هنا أيضا الرمز إلى ارتباط الأمن بالإيمان ، فإبراهيم دعا بالأمن لمن آمن وصدق ، وقد عرفنا أن معنى الإمن ومعنى الإيمان متقاربان ، لأن الأمن اطمئنان واستقرار ، والإيمان فيه اطمئنان قلب واستقرار اعتقاد .

ويقول القرآن عن البيت الحرام : « ومن دخله كان آمنا » أى آمنا من النار ، وقيل من بلايا الدنيا التى تصيب من قال فيهم القرآن : « إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا » ، ومنهم من قال : إن الكلام فى الآية لفظه خبر ، ومعناه أمر ، أى اجعلوا من دخله آمنا ، وقيل : آمن فى حكم الله ، وذلك كقولك : هذا حلال وهذا حرام . أى فى حكم الله ، والمعنى لا يجب أن يقتص منه ولا يقتل فيه إلا أن يخرج (١) .

ومثل هذا قوله تعالى : « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا » ؟ وقوله : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » . يقول الطبرسى فى تفسير هذه الآية : « وإنما جعله الله أمنا بأن حكم أن من عاذ به والتجأ إليه ، لا يخاف على نفسه ما دام فيه . وبما جعله فى نفوس العرب من تعظيمه ، حتى كانوا لا يتعرضون لمن فيه ، فهو آمن على نفسه وماله ، وإن كانوا يتخطفون الناس من حوله . ولعظم حرمته لا يقام فى الشرع الحد على من جنى جناية فالتجأ إليه وإلى حرمه ، لكن يضيق عليه فى المطعم والمشرب ، والبيع والشراء ،

(١) تفسير الفخر الرازى ، ج ١ ص ٤٨٦ .

(١) مفردات القرآن للأصفهانى ، ص ٣٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حتى يخرج منه فيقام عليه الحد ؛ فإن أحدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد فيه ، لأنه هتك حرمة الحرم ، فهو آمن من هذه الوجوه » (١) .

وكأن الله تبارك وتعالى يريد بهذا التشريع أن يذكر الناس بأن الأمان والاطمئنان وزوال الخوف غاية يطمح إليها الإنسان لتكون تاجاً لسعادته فى الحياة ، ولذلك جعل بيتا موطنا لتوافر هذا الأمان حتى مع المذنب ، ليكون فى ذلك تذكير بعنصر التأمين الذى يجب أن يتعاون الناس على تحقيقه فى الدنيا بكل وسيلة ، مع عدم الإجحاف بواجب العدالة والقسطاس .

ولكن القرآن الكريم فى موطن آخر يذكرنا بأن المتمتع بنعمة الأمان والأمن والاطمئنان إذا لم يقدرها ويشكرها ويعمل بمقتضاها ، سلبها الله منه ، ورده إلى نقيضها ، ولذلك يقول : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .

وقد ذكر ابن كثير أن هذا مثل أريد به أهل مكة ، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة ، يتخطف الناس من حولها ، ومن دخلها كان آمنا ، وأن رزقها يأتيها رغدا ، أى هنيئا سهلا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله وجحدت آلاء الله عليها ، وأعظم هذه الآلاء هى بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا بدلهم الله بحاليهم الأوليين خلافهما ، فقال « فأذاقهـــا الله لباس الجوع والخوف » أى ألبسها وأذاقها الجوع ، وبدل أمنها خوفا ... (١)

وكأن كفران النعم الإلهية ، والتمرد على توجيه الناس إلى الطيب من العمل والقول ، وإساءة الصنع والتصرف ، مما يستوجب النقمة وزوال الأمن ؛ ويحسن بنا أن نلاحظ هنا ما يشبه التلازم بين الأمن والتعبد ، فحسن التعبد لله عن طريق صدق الإيمان به والخضوع لأمره يستتبع تفضل الله بالأمن على هؤلاء المتعبدين ، والكفر بالله والتمرد على حكمه يستتبعان زوال الأمن والرزق ، وإقبال الخوف والجوع ؛ ومن ناحية أخرى نلحظ أن تحقق الأمن عامل جوهرى يؤدى إلى صلاح العبادة ، لأن الخائف فى حسه أو نفسه أو رزقه لا يتقن العبادة ولا يؤديها على وجهها ، لتسيطر القلق عليه واستبداد الخوف به ، وفخر الدين الرازى يقول : « إن الدنيا إذا طلبت ليتقوى بها على الدين كان ذلك من أعظم أركان الدين ، فإذا كان البلد آمنا ، وحصل فيه الخصب ، تفرغ أهله

(١) تفسير مجمع البيان ، ج ١ ص ٢٠٣ .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٥٨٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لطاعة الله تعالى ، وإذا كان البلد على ضد ذلك كانوا على ضد ذلك » (١) .

وقد نفهم من ذلك أن الذين يسعون لتوطيد دعوة الله بين الناس ، والذين يجاهدون لتثبيت دعائم تعاليمه بين خلقه ، يجب عليهم أيضا أن يسهموا فى توفير الأمن الحسى والتأمين الاجتماعى ، والاطمئنان المعاشى ، بما يستطيعون من وسائل ، لأن توافر الأمن والاطمئنان يعاون على حسن العبادة ويثمر الاستجابة الواسعة النطاق لأحكام الدين وتعاليم الدعوة .

وفى مجال الارتباط بين الايمان والعمل الصالح ، وتحقق الأمن والاطمئنان نجد قول الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

فالمستحقون للاستخلاف والتمكين والأمن هم المصدقون بالله ودينه ، العابدون لله بلا شريك ، الذين يعملون كل عمل صالح لازم فى هذه الحياة ، ويقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أى أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى ، وله الحمد والمنة » (١) .

ويقول الرازى فى تفسير الآية أيضا : « أعلم أن تقدير النظم : بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون ، فقد وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، أى الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم فى الأرض فيجعلهم الخلفاء ، والغالبين والمالكين ، كما استخلف عليها من قبلهم فى زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما . وأنه يمكن لهم دينهم ، وتمكينه ذلك هو أن يؤيدهم بالنصرة والإعزاز ، ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو أمنا ، بأن ينصرهم عليهم ، فيقتلوهم ويأمنوا بذلك شرهم . فيعبدوننى آمنين ، لا يشركون بى شيئا ولا يخافون ، فمن كفر أى من بعد هذا الوعد وارتد فأولئك هم الفاسقون (٢).

والقرآن يعود فيكرر ارتباط تحقق الأمن بتحقق الايمان المحفوظ من الظلم والبغى والانحراف ، فيقول : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن

(١) تفسير الفخر الرازى ج ١ ص ٤٨٦ .

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٢) تفسير الرازى ، ج ٦ ص ٢٨٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهم مهتدون » والمعنى - كما يقول الرازى - إن الذين حصل لهم الأمن المطلق هم الذين يكونون مستجمعين لهذين الوصفين : أولهما الايمان ، وهو كمال القوة النظرية . وثانيهما هو عدم التباس الايمان بالظلم ، وهو كمال القوة العملية (١) .

وهناك فريق من المفسرين يذهب إلى أن المراد بالظلم فى الآية هو الشرك ، وهذا تخصيص لعام بدون موجب ، فالظلم قد يكون شركا ، وهذا أشنع أنواع الظلم ، وقد يكون هضما لحق ، أو بغيا على شخص ، أو غير ذلك ، وحينما تعرض الطبرى لتفسير هذه الآية ذكر روايات فى أن المراد بالظلم هو الشرك ثم قال : « وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يخلطوا إيمانهم بشىء من معانى الظلم ، وذلك فعل ما نهى الله عن فعله ، أو ترك ما أمر الله بفعله ، وقالوا : الآية على العموم لأن الله لم يخص به معنى من معانى الظلم (٢) .

وإلى هذا الرأى أميل ، وقد رجحه الزمخشرى حين قال فى تفسير الظلم هنا : « اى لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم » (٣) .

ويؤيده صاحب « تفسير المنار » حيث يقول فى الآية : « المعنى : الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بظلم ما لأنفسهم ، لا فى إيمانهم ولا فى أعمالهم البدنية والنفسية ، من دينية ودنيوية ، ولا بغيرهم من المخلوقات من العقلاء والعجمادات ، أولئك لهم الأمن من عذاب الله تعالى الدينى على ارتكاب المعاصى والمنكرات وعقابه الدنيوى على عدم مراعاة سننه فى ربط الأسباب بالمسببات ، كالفقر والأسقام والأمراض ، دون غيرهم ممن ظلموا أنفسهم أو غيرهم ، فإن الظالمين لا أمان لهم ، بل كل ظالم عرضة للعقاب » (١) .

ويأتى الحديث النبوى مؤكداً أن الرسول كان بدعوته وهدايته أمنا لأمته ، وأن أصحابه بحرصهم على تبليغ سنته كانوا أمنا لهذه الأمة أيضاً ، وهذا يستفاد منه أن الاعتصام بهدى الله سبب الأمن والأمان ، فيقول الحديث : « النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون ، وأصحابى أمنة لأمتى . فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما توعد » .

وقد أراد - كما فى اللسان والنهاية (٢) - بوعد السماء انشقاقها وذهابها يوم القيامة ، وذهاب النجوم : تكويرها وانكدارها وإعدامها ، وأراد بوعد أصحابه ما وقع بينهم

---

(١) تفسير الرازى ج ٤ ص ٨١ .
(٢) تفسير الطبرى ، ج ٧ ص ٢٥٨ .
تفسير الكشاف ، ج ٢ ص ٢٥ .

(١) تفسير المنار ، ج ٧ ص ٥٨١ .
(٢) النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٤٤ . ولسان العرب طبعة بيروت ، ج ١٣ ص ٢١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الفتن . وكذلك أراد بوعد الأمة ، والإشارة في الجملة إلى مجيء الشر عند ذهاب أهل الخير ، وإنه لما كان بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه ، فلما توفي جالت الآراء واختلفت الأهواء ، فكان الصحابة رضي الله عنهم يسندون الأمر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في قول أو فعل أو دلالة حال ، فلما فقد قلت الأنوار وقويت الظلم ، وكذلك حال السماء عند ذهاب النجوم ....

وقد جاءت مادة « الأمن » بمعنى عدم الخوف في مواطن من القرآن أريد فيها التحذير من الاغترار بإمهال الله جل جلاله لعباده إذا أهملوا أو أساءوا ، والتحذير من الاطمئنان إلى متاع الحياة اطمئنانا يؤدي إلى عدم الخوف من الله ومن حسابه على ما قدمت الأيدي وعقابه على ما اجترحت من السيئات ، وذلك كما في الآيات التالية :

« أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » ، « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون » . « أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ، أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » ، « أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير » ، « أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون » .

وقد جاء من مادة « الأمن » في استعمال القرآن كلمة « أمنة » — بفتح الألف والميم والنون — وهي بمعنى ضد الخوف أيضاً ، وذلك في قوله تعالى ، في شأن المسلمين في غزوة بدر : « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه » ، وهذه كما في تفسير المنار [1] منة من الله تعالى على المؤمنين التي كانت من أسباب ظهورهم على المشركين ، وهي إلقاؤه تعالى النعاس عليهم ، تأمينا لهم من الخوف الذي كان يساورهم من الفرق العظيم بينهم وبين عدوهم في العدد والعدة ، وذلك لأن من غلب عليه النعاس لا يشعر بالخوف ، كما أن الخائف لا ينام .

ومثل هذا ما جاء بسورة آل عمران من قوله تعالى : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم » . وفي بيان وجه الامتنان بإنزال النعاس على المؤمنين المجاهدين يقول الإمام الشيخ محمد عبده —

(١) تفسير المنار ، ج ٩ ص ٦٠٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كما روى صاحب المنار — : « قد مضت السنة فى الخلق بأن من يتوقع فى صبيحة ليلته هولا كبيرا ومصابا عظيما . فإنه يتجافى جنبه عن مضجعه ، ويبيت بليلة المنسوع ، فيصبح خاملا ضعيفا ، وقد كان المؤمنون يوم بدر يتوقعون مثل ذلك ، إذ بلغهم أن جيشا يزيد على ثلاثة أضعافهم سيحاربهم غدا ، وهو أشد منهم قوة وأعظم عدة ، فكان من مقتضى العادة أن يناموا على بساط الأرق والسهاد ، يضربون أخماسا لأسداس ، ويفكرون بما سيلاقون فى هذا من الشدة والبأس ، ولكن الله رحمهم بما أنزل عليهم من النعاس ، غشيهم فناموا واثقين بالله تعالى ، مطمئنين لوعده ، وأصبحوا على همة ونشاط فى لقاء عدوهم وعدوه » . ويقول أيضا : « والنوم للمصاب بمثل تلك المصائب نعمة كبيرة وعناية من الله عظيمة ، وقد كان من أثر هذا الاطمئنان فى القلوب والراحة للأجسام ، والتسليم للقضاء ، أن سهل على هؤلاء المؤمنين اقتفاء أثر المشركين بعد انصرافهم ، وعزموا على قتالهم فى حمراء الأسد عندما دعاهم الرسول إلى ذلك فاستجابوا له مذعنين (٢) .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد أبان فى هذه المواطن السابقة عن أهمية الأمن للإنسان ، وعن الأثر البليغ الذى يحدثه الخوف فى نفسه ، فإنه إذا كان قلقا خائفا لم يستطع أن يثمر أو يعمر أو يقاوم ، ولكنه حين الأمان والاطمئنان يستطيع أن ينفع وينتفع ، وفى هذا إيحاء أى إيحاء بأن تعمل الأمة بجميع طاقاتها على أن يتوافر الأمان والاطمئنان لها وهى أمة ولكل من فيها من الأفراد . « للبحث بقية »

أحمد الشرباصى

(١) تفسير المنار ج ٤ ص ١٨٧ .

من صفاته صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة ، لطيف الظاهر والباطن ، يعرف فى وجهه غضبه ورضاه . وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة ، وكان لا يشافه أحداً بما يكرهه ، دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها ، فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم : لو قلتم لهذا أن يدع هذه ، يعنى الصفرة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حرية الكلمة في الإسلام

للأستاذ علي محمد حسن العماري

لا أعرف دينا سماويا ، ولا قانونا وضعيا ، ولا مذهبا اجتماعيا ، ولا حزبا سياسيا ، لا أعرف شيئا من ذلك أعطى لأتباعه حرية مطلقة ، ولا أظن أنه سيجيء في المستقبل القريب أو البعيد لون من هذه الألوان إلا أن تتجسم الفوضى ذاتها بشرا سويا ، وتدعو أتباعها إلى شريعة من شرائعها ، وحينئذ سوف لا تتركهم يعيشون في العمران ، وإنما ستجرجرهم إلى غابة من الغابات يمرحون فيها ويلعبون ، ويأكلون كما تأكل الأنعام .

فلا يمكن أبدا أن تترك الحرية للناس في أي نظام كان ، يفعلون كل ما يشاءون ، ويقولون كل ما تجيش به خواطرهم ، حتى الوجودية التي دعت الفرد أن يتحرر من كل موروث من الاعتقادات والتقاليد والعادات ، وأن يتخلص من كل المبادئ والأحكام السابقة حتى هذه ، لم تترك له تلك الحرية مطلقة الزمام بغير هدف ولا غاية ، أي لا تجعل من تلك الحرية غاية في ذاتها فتنقلب إلى ما يشبه الفوضى . نعم لا يدعو سارتر إلى مثل هذه الحرية الشبيهة بالفوضى ، وإنما يرتب على حرية الفرد نتيجة خطيرة وهي المسئولية ، وضرورة تحملها ، ثم الالتزام بالفعل والقول »[1] .

والدين الإسلامي وهو أقوم نظام عرفته الإنسانية ، وأسمى شريعة جاء بها نبي مرسل ما كان له أن يعطي الناس حرية مطلقة — ولو أنه أعطاهم حرية واسعة — لأن مصلحة الجماعة — دائما — مقدمة عنده على مصلحة الفرد و (بعض الحرية في التقييد وبعضها في السلب ، وإذا تعارضت منفعة الفرد في إطلاق الحرية ، ومنفعة الأمة في حدها أو سلبها وجب نزع (ملكية) هذه الحرية ، ولو على الوجه الذي تؤخذ به دور الناس لتطريق شارع[2]) .

وقد ضرب الإسلام أحسن مثل للحرية التي منحها لأتباعه ، بين فيه أن مصلحة الجماعة أولى بالرعاية ، وأحق بالاعتبار ، قال صلى الله عليه وسلم : « مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا

(١) الأدب ومذاهبه ص ١٤٤ ، ١٤٥ الدكتور مندور .

(٢) تحت راية القرآن ص ٣٦٩ للمرحوم مصطفى صادق الرافعي .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقا . ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ، فلابد إذن من الأخذ على اليد حين يكون استعمال الحرية مهلكا للجميع ، وهذه ـ فيما أعتقد ـ قضية طبيعية لا يختلف فيها اثنان . وفى الحديث ـ على ما قال ثقات الشراح ـ تشبيه الواقعين فى الحدود بمن أصابوا أسفل السفينة ، وتشبيه القائمين عليها ـ وهم الذين يحلون الحلال ويحرمون الحرام ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ـ بمن يركبون أعلى السفينة . وفيه ـ أيضا ـ إرشاد القائمين على حدود الله أن يأخذوا على أيدى المعتدين عليها ، وألا يسمحوا للفاحشة أن تشيع فيهم ولا يأذنوا للفساد أن يستشرى بينهم : فإنهم إن لم يقوموا بما افترض الله عليهم من المحافظة على تعاليمه وألقوا حبل المعابثين على غواربهم ، وتركوهم يخوضون الباطل خوضا عمهم الله بعذابه .

هذا من الناحية العامة . وأما من خصوص الكلمة ، فالإسلام ـ على مبدئه العام ـ لا يتركها للناس يقولونها بحرية مطلقة ، ما يجوز منها وما لا يجوز ، بل حد لها حدوداً وشرع لها قوانين ، ونهى عن أنواع منها ، وتوعد عليها ، وبعض وعيده يشير إلى العقاب الأخروى فقط ، كما فى نهيه عن اللغو من القول ، وعن ترديد الإفك الذى يرمى به بعض المسلمين بعضا ، وجاء فى ذلك قوله تعالى : « إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » وبعض وعيده أخروى ودنيوى ومن ذلك إذاعة قالة السوء عن المسلمين ، وإشاعة الأكاذيب التى تضر بجماعتهم ، أو تؤثر فى سياستهم الحربية أو غيرها وقد جاء فى هذا قوله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا » والمرجفون ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا . ومعنى لنغرينك بهم ، لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التى تسوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة .

وشبيه بهذا : الإرجاف بعقائد الناس ومقدساتهم فإن ذلك يوقع البلبلة فى النفوس ، ولا وجه لما يقال أن حرية الرأى تبرر ولا يخاف التبرر إلا الضعفاء لأن ذلك حق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يراد به باطل فليس كل مسلم قادراً على أن يميز الخبيث من الطيب ، وكثير من الناس حتى المتعلمين منهم سريعو التأثر بما يسمعون أو يقرأون ومن واجب أولى الأمر أن يحموا عقائد الناس من أن يتلعب بها أهل الزيغ والإفساد الذين يتبعون المتشابه من الآيات كما قال تعالى : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » قال الشاطبى فى الاعتصام : « من اتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر فى مقيداتها وبالعمومات هل لها مخصصات أولا ؟ وكذلك العكس ، بأن يكون النص مقيداً فيطلق أو خاصا فيعم بالرأى من غير دليل سواه ، فإن هذا المسلك رمى فى عماية ، واتباع للهوى فى الدليل ، ومنه دعاوى أهل البدع على الأحاديث الصحيحة مناقضتها للقرآن ، ومناقضة بعضها بعضا وفساد معانيها أو مخالفتها للعقول[1] ».

والكلمة التى تضر بالجماعة سواء كانت كلمة تطعن فى الوطن أو فى الدين أو فى الخلق يجب أن تحبس . وأن يضرب على يد صاحبها ، سيما إذا كان رجلا لا يعنيه إلا أن يقول ، فليس بصاحب هدف سام يريد أن يصل إليه ، وليس بصاحب مبدأ فى الإصلاح حتى يقال إنه إنما يريد خير أمته . وأى خير فى أن ينشر على الناس ـ مثلا ـ أن القرآن يحتوى على أساطير ، أو أنه أنزل بالمعنى والصياغة من عند محمد غير بلبلة الأفكار ، والتهجم على أقدس ما يعتز به المسلمون .

نفهم أن يفسح للرأى فى الذيوع والنشر إذا كان من وراء نشره ما يفيد الجماعة فيبصرهم عماية يقعون فيها ، أو يرشدهم إلى مسلك جهلوه ، أما أن يكون القصد من الرأى هو مجرد الهدم فلا أرى معنى لنشره لأن فى ذلك مساعدة لقلب مريض على أن ينفث من دائه فى صدور المعافين الأصحاء . ومن عجب أنه ما أثيرت حرية الرأى ، أو حرية الكلمة إلا حيث وقع شر أجمع العقلاء أصحاب الدين الصحيح على أنه شر ، وما رأينا قوما دافعوا عن حرية الرأى المطلقة إلا وفى تاريخهم ما يؤخذ عليهم من وجهة النظر الإسلامية ، ولماذا ـ فقط ـ لا يدور الجدل حول هذه المسألة إلا حين يكون طعن يراه رجال الدين العارفون به مطعنا فى دينهم ؟ إن الذين يناصرون الخارجين عن الدين يحجمون أن يقولوا كلمة واحدة حين يتعلق الأمر بغير الإسلام ، وأنا ـ فى الحقيقة ـ لا أريد أن أحكم هنا على أن هذا الرأى أو ذاك خروج على الدين لأن هذا ليس غرضى ، وإنما الذى أريد أن أقوله إذا كان فى الرأى ما يراه العلماء مضراً

(١) جـ ١ ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالدين أو يراه الساسة مضراً بالوطن ، يجب أن يحال بينه وبين الذيوع ، ولا يعتبر هذا حجراً على الحرية ، لأن الحرية المطلقة كما قلت آنفا ـ لا تكون إلا فى الغابة أو كما يقول الرافعى ـ رحمه الله ـ : « ما هى قيمة حرية التفكير وأنت لا تجدها على أعظم شأنها وأكثر أسبابها وأوسع أشواطها إلا فى المعتوهين والموسوسين وألفافهم » .

وفى الإسلام نصوص كثيرة تدل على أنه ينبغى أن يحال بين الكلمة الصلعاء وبين الذيوع ، بل تدل على وجوب معاقبة صاحبها ، ذكر صاحب الاعتصام أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ذكر له رجل يقال له صبيغ فلما ظفر به جلده حتى سقطت عمامته ، قال السيد رشيد رضا معلقا على هذه القصة : « وما ذكره المصنف هنا مروى بالمعنى ، وجملة الأمر أنه ـ أى صبيغ ـ كان أول من وقع منه الشك وتشكيك الناس فى متشابه القرآن ابتغاء تأويله ، وكان قد كثر الداخلون فى الإسلام من الشعوب المختلفة فخشى عمر الفتنة على الجاهلين فأدبه وأبعده إلى البصرة ، ونهى الناس عن مجالسته ومكالمته [1] » .

وروى صاحب الاعتصام ـ أيضا ـ قصة غيلان القدرى مع عمر بن عبد العزيز ، وأن عمر أرسل إليه فلما جاءه ناظره وأرشده ثم قال له ما تقول ، فقال غيلان : قد كنت أعمى فبصرتنى وأصم فأسمعتنى وضالا فهديتنى . ثم أمسك عن الكلام فى القدر ، فلما مات عمر تكلم فى القدر فبعث إليه هشام بن عبد الملك فقطع يده ثم تكلم فى القدر فصلبه [1] .

وقد روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن أعمى كانت له أم ولد ، تشتم النبى صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فينهاها فلا تنتهى ، فلما كان ذات ليلة أخذ المعول فجعله فى بطنها وأتكأ عليه فقتلها ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : اشهدوا فإن دمها هدر قال صاحب (بلوغ المرام) فى هذا الحديث : ورواته ثقات .

أما قتل المرتد فقد أجمع عليه علماء المسلمين . قال الصنعانى صاحب سبل السلام بعد أن روى حديثا عن معاذ بن جبل : الحديث دليل على أنه يجب قتل المرتد وهو إجماع (جـ ٣ ص ٣٦١) .

وذكر حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة . قال صاحب بلوغ المرام فى الحديث

(١) الاعتصام جـ ١ ص ٩٣ ، ٩٤ | هامش |

(١) جـ ١ ص ٦٩

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

متفق عليه ، أى رواه البخارى ومسلم ، وفسر صاحب سبل السلام التارك لدينه بأنه كل مرتد عن الإسلام بأى ردة كانت فيقتل إن لم يرجع إلى الإسلام ، وفسر المفارق للجماعة بأنه كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغى أوغيرهما كالخوارج إذا قاتلوا وأفسدوا فى الأرض .

ومن الأحاديث فى هذا الموضوع قوله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه ، وقد رواه البخارى وأصحاب السنن .

وممن حكى الإجماع على قتل المرتد ابن عبد البر فى التمهيد فى الكلام على حديث (من بدل دينه فاقتلوه) قال : وفقه الحديث أن من ارتد عن دينه حل دمه ، وضربت عنقه . والأمة مجمعة على ذلك .

وصاحب المغنى من فقهاء الحنابلة قال : وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد ، وروى ذلك عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاذ وأبى موسى وخالد وغيرهم ، فلم ينكر ذلك فكان إجماعا .

وقال ابن دقيق العيد فى شرح العمدة : فراق الرجل بالردة عن دينه سبب لإباحة دمه بالإجماع .

وقد اختلف الفقهاء فى المرتدة ، فقال الأحناف : لا تقتل ، وقال غيرهم تقتل ، وجاء فى نيل الأوطار حديث عن النبى قال لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن : أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد وإلا فاضرب عنقه ، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلا فاضرب عنقها . قال الحافظ : وسنده حسن ، وهو نص فى موضوع النزاع فيجب المصير إليه[1].

وقد قتل أبو بكر الصديق فى خلافته امرأة ارتدت والصحابة متوافرون فلم ينكر عليه أحد ذلك [2] .

ومن عجب أنى قرأت لأحد الكاتبين كلمة فى صحيفة يومية جاء فيها بالحرف الواحد : (فإن ارتدت الزوجة هى الأخرى عن الإسلام فالاجماع بين علماء الإسلام على تركها حرة مختارة ، وعدم التعرض لها بأى سوء فضلا عن قتلها) والكاتب قد نقل فى كلمته عن كتاب (نيل الأوطار) فبدهى أن يكون اطلع على هذا الخلاف لحكايته الإجماع على عدم قتل المرتدة لا يحمل إلا على الجرأة البالغة ، والخيانة العلمية ، فكيف نأمن أمثال هذا على رأى يذيعه أو كلمة يقولها وهو يكذب فى النقل فى موضوع يعلم أن الحديث فيه لن يمر دون درس وتمحيص .

وقد تمسك هذا الكاتب فى عدم قتل المرتد - كما تمسك كاتب آخر قبله - برأى نسب

(١) جـ ٧ ص ٣٩٣ .

(٢) المصدر السابق جـ ٧ ص ١٩٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى إبراهيم النخعي ، وهذا لم يقل بعدم قتل المرتد صراحة ، وإنما حكى رأيه عند استتابة المرتد ، وقد اختلف العلماء فيه ، فقيل يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو قول الجمهور ، وقيل يجب قتله فى الحال وإليه ذهب الحسن وطاووس . قالوا : وإنما تشرع الاستتابة لمن خرج عن الإسلام لا عن بصيرة ، فأما من خرج عن بصيرة فلا .

واختلف القائلون بالاستتابة هل يكتفى بالمرة أم لا بد من ثلاث ، وهل الثلاث فى مجلس أو فى يوم أو فى ثلاثة أيام ، ونقل ابن بطال عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه يستتاب شهراً ، وعن النخعى أنه يستتاب أبداً (١) .

فالذى حكى عن النخعى هو أن المرتد يستتاب أبداً ، قال عالم جليل فى مقال نشرته مجلة الأزهر : « ففهم من ظاهر كلامه أنه يرى أن الرجل المرتد لا يقتل ، وقد اغتر بهذا الظاهر صاحب المغنى فقال ، ـ بعد أن حكى الإجماع كما سبق ـ : وقال النخعى يستتاب أبدا ، وهذا يفضى إلى أنه لا يقتل أبدا ، وهو مخالف للسنة والإجماع اهـ . وكذلك اغتر به ابن حزم فقال فى المحلى : وقالت طائفة يستتاب أبدا ولا يقتل ، ورد عليه بقوله : ولو صح هذا لبطل الجهاد جملة ، لأن الدعاء كان يلزم أبدا مكررا بلا نهاية ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا ، وليس دعاء المرتد ـ وهو أحد الكفار ـ بأوجب من دعاء غيره من الكفار الحربيين ، فسقط هذا القول . اهـ .

والتحقيق أن هذا الظاهر من كلام النخعى غير مراد ؛ لأنه لا معنى للاستتابة الدائمة إذا لم يترتب على عدم الإجابة شئ فيتعين حمله على أنه يستتاب كلما رجع إلى الردة ، ولذلك قال الحافظ بن حجر فى فتح البارى : وعن النخعى يستتاب أبدا ، كذا نقل عنه ، والتحقيق أنه فيمن تكررت منه الردة اهـ ... وقد روى البيهقى فى السنن الكبرى بسنده هذا المعنى عن النخعى أى أنه قال : المرتد يستتاب كلما رجع . والدليل الصحيح الواضح على مراد النخعى ما ذكره البخارى فى صحيحه تعليقا بصيغة الجزم فقال :

وقال ابن عمر والزهرى وإبراهيم أى النخعى : تقتل المرتدة اهـ (١) .

ولا شك أن كثيرين من المثقفين قد دهشوا من جرأة هذا الكاتب ومن جهله معا ،

(١) نيل الأوطار جـ ٧ صـ ١٩٥

(١) من بحث كتبه المرحوم الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقا؛ وقد رد فيه على كل ما كتبه هذا الكاتب فى الصحيفة اليومية لأنه فى الحقيقة تزييد حرفى لبحث كان نشر قبل ذلك . أنظر مجلة الأزهر العدد (شعبان سنة ١٣٧٥) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقد ذكر (أن الفتوى بقتل المرتد تسربت إلى فقهاء المسلمين عن طريق تقاليد الدولة البيزنطية المسيحية التى تأثر بها المسلمون وفقهاؤهم فى العصر العباسى وقد كانت هذه التقاليد وما زالت تقضى بقتل المسيحى إذا هو غير دينه كما حقق ذلك العلامة (آدم متز) الله . الله . فقهاء المسلمين قلدوا المسيحية فى فتاواها ، فلنحرق إذن كتب الفقه كلها لأن الذين ألفوها كانوا غير أمناء وكانوا مغفلين ، ألم يقل ذلك (آدم متز) ذلك المستشرق العلامة ، ومن ذا بعد آدم متز ؟ .

وذكر الكاتب أن أبا بكر لم يقاتل المرتدين إلا بعد أن (هجموا بالسلاح على المدينة المنورة) وأنا - والله - أظن أن المحققين من علماء التاريخ الإسلامى يجهلون هذه الحقيقة : هجوم المرتدين على المدينة ! ، وأن أبا بكر قاتلهم لذلك ، كأنه لم يقل : والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه .

والقرآن لم يذكر قتل المرتد ، ولذلك فينبغى ألا يقتل ! وهذه الفتوى من الكاتب على حد فتوى الشاعر الأندلسى الذى أخذ إلى القاضى والخمر تفوح من فمه فقال :

قرأت كتاب الله تسعين مرة
فلم أر فيه للشراب حدودا

فعلى هذه الطريقة المخمورة نأخذ ديننا ، فمادام القرآن لم يذكر عدد الصلوات فلا نظام للصلاة ، ومادام القرآن لم يذكر رجم الزانى المحصن ، ولا تغريب الزانى غير المحصن ، فلا رجم ولا تغريب ، ولا معنى لما جاء فى القرآن (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) و (أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .

بل ما لهؤلاء العلماء الأعلام . وهؤلاء العالمات الأعلام أيضا ونصوص القرآن ، ألم تقل واحدة منهن فى مجلة أسبوعية إن المرأة قد أخذت كل حقوقها فلا معنى لأن ينقص ميراثها عن ميراث الرجل ، ألم يقل عالم فى بعض كتبه إن ضرب المرأة وحشية ، وألم يقل قدوة هؤلاء جميعا . « التوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، والقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى » ؟! (١) .

(وبعد) فإن الإسلام وضع قاعدة ذهبية ، يا ليت كل مسلم يضعها أمام عينيه وذلك حيث يقول صلى الله عليه وسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) .

على العماري

---

(١) الشعر الجاهلى ص ٢٦ للدكتور طه حسين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بمناسبة رمضان عيد دستور الإسلام :

تبياناً لكل شئ من رب كل شئ

للأستاذ فتحي عثمان

أختتم عام ١٩٦١ من ميلاد المسيح ، بحدث ديني ضخم في تاريخ الكنيسة المسيحية ، فقد انعقد مؤتمر ديني عدته مجلة « تايم » الأمريكية أضخم اجتماع مسيحي منذ القرن السادس عشر ! ! !

لقد كان الانعقاد الثالث للمجلس العالمي للكنائس في دلهي عاصمة الهند . وقد أعرب أحد أقطابه : الرئيس هنري تينى فان دوزن عن إيمانه بأن هذا الاجتماع سيعد بحق « أحد الأحداث المبكرة في ثاني إصلاح كبير في المسيحية » ! ! !

لقد أخذت كل الكنائس تحس بالحاجة إلى تعبئة الجهود ، وتنسيق الخطط ، وتعاون القوى ... للانطلاق ! ! !

الكنائس الأرثذوكسية اجتمعت في رودس ، والبابا يوحنا يؤمل في وحدة الكنيسة ويسير إلى الأرثذوكسية الشرقية والبر وتستنتينية الغربية بروح من المودة . أما البروتستنتينية في أمريكا فتريد أن تجمع شتاتها ...

وفي هذه الظروف جاء اجتماع دلهي ، وهو حدث ينبغي أن يدرسه دعاة الأديان في كل مكان ! ...

لقد اجتمع ٥٧٧ مندوبا ، ليحاولوا تحديد إطار للمسيحية غير الكاثوليكية ، وتناقشوا ١٨ يوما متتابعة وقد أرسل الفاتيكان لأول مرة مراقبين عنه إلى هذا الاجتماع « بصفة رسمية » !

وكان أكثر الموضوعات التي ألقيت أصالة واستثارة ما قدمه الدكتور يوسف سيندر أستاذ اللاهوت في الإلهيات بجامعة شيكاغو... إنه يرى أن الشيوعية ليست مادية صرفة ، إن الذي هيأ للشيوعية فرصا هو اتجاهها لإعطاء كل شيء « قيمة » و « هدفا » ، ووضعها إياه في مكانه من النطاق الضخم لمجموع الإنسان والعالم ! !

وعلى العكس من ذلك يرى الدكتور ستيلر أن المسيحية قد تضاءلت وانحسرت ، حتى لم تعد أكثر من سناد للعجز ، وقرين الوحدة وخادم سماوي للأغراض القومية المحلية .

وهو يرى أن الذي تحتاجه المسيحية : نظرة توجيهية شاملة ، أصدق وأوسع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأثبت من النظرة الماركسية ، مع روحانية فى الأعماق تنير الطريق : « فى مجالات الاقتصاد ، والسياسة ، وشتى مجالات النشاط الإنسانى » !!

إن الدكتور سيتلر يريد مسيحية عالمية إيجابية فعالة Cosmic Christology ، لا يوضع فيها المسيح ضد الواقع وضد مجرى الطبيعة ! إن الذى كان لدى المسيحيين هو مسيحية (التاريخ) . لكن الذى يحتاجونه هو مسيحية (الطبيعة) !!

وقد أثارت كلمات الدكتور سيتلر جدلا كثيرا ... وتمسك هو بالدعوة الحارة إلى الوحدة : « إن الكنيسة قد وجدت كثيراً من الطرق (المستيرية) للتعبير عن خلافاتها ، ولكنها وجدت طرقا أقل للتعبير عن وحدتها ! ولكن إذا دعونا حقا إلى الوحدة ، وإذا استجبنا لهذه الدعوة فى صورة مسيحية عصرية تتسع لتستوعب نظرة الإنجيل الشاملة . فقد يكون من الجائز أن نلتقى بعد ذلك على وحدة أكمل ، لأننا سنكون أهلا لتوفيق الله » !!!

وقد وضع المؤتمر قراراته التوجيهية التى شملت كل شيء ، من الاستعمار البرتغالى فى أنجولا إلى الاعتراف بالصين الشيوعية عضوا فى الأمم المتحدة ! ودعا المؤتمر إلى أن تكون الكنائس على وعى كامل بالتغيرات الاجتماعية وأثرها فى الحياة المسيحية ، وأهاب بها أن تكافح بجد فى سبيل المساواة بين الأجناس ، وحث الشعوب الغنية على مساعدة الشعوب المحرومة ، كما استنهض هم المسيحيين للعمل من أجل قيام المنظمات السياسية التى تشجع اشتراك كل المواطنين فى الحياة السياسية ، والتى تحمى كلا من حرية الفرد فى ضميره وحريته فى تعبيره . وقد كانت توصيات المؤتمر قوية فى صدد الدفاع عن الحريات الإنسانية . وأنذرت من أن حكومة لا تستند إلى رضاء المحكومين لا يمكن أن يؤيدها المسيحيون فى هذا العصر !!!

* * *

يفعل هذا دعاة الدين الذى قال داعيته الأول : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » !

فماذا يفعل دعاة الدين الذين يقرأون : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » !!

لقد فصلت أوربا بين الدين والدولة ... فماذا كانت النتيجة ؟ ؟

يقول روجيه باستيد R. Bastide فى كتابه مبادىء علم الاجتماع الدينى :

« ... مع أن التفرقة بين الهيئات الكهنوتية وبين الدولة قانون مطرد ، فهناك طغيان متبادل بين هاتين السلطتين عندما تكونان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منفصلتين . وهنا يجب علينا أن نفحص ثلاث حالات :

أولا : طغيان الكنيسة التي تطالب بنصيب في التشريع ، وبالحصانة من توقيع العقوبات ، والتي تكرس الملوك ، وتخلق الأحزاب السياسية .

ثانيا : طغيان الدولة التي تحل الهيئات الدينية ، وتنص على عدم مشروعية نظام الرهبنة .

ثالثا : ويوجد أخير طغيان غير شعوري ينجم عن هذا الأمر ، وهو أن نفس الأفراد ينتمون في آن واحد إلى كلتا الناحيتين ، وأنهم يجدون مشقة كبيرة في تقسيم نشاطهم قسمين » !!

هذا رأي علم الاجتماع وعلمائه الغربيين ..

وقد عالجت في كتابي الأخير : « مع المسيح » قضية « الدين والدولة » في ضوء تعاليم المسيحية ، وكان مما قلته في ذلك :

« ... والكنيسة في الغرب كثير ما تتدخل في شئون السياسة ، وهي ما برحت حتى اليوم ذات تأثير كبير - في بعض الدول على الأقل . وقد تولى أسقف مسيحي أخيرا رئاسة السلطة الزمنية في قبرص دون أن يخلع رداء الكهنوت والاتجاه المسيحي يلون النزعة الاشتراكية عند بعض أحزاب ألمانيا وانجلترا وبلجيكا الاشتراكية والديموقراطية ، ويبدوا أثر الدين واضحا في كتابات تشرتشل وأتلي وأيزنهاور وولاس ... وعندما أتيحت للمسيحية فرصة الإفادة من السلطان لم تتردد - في الدولة الرومانية الشرقية أو في الدول الأوربية في الغرب ... وقد تحمس الأباطرة البيزنطيون منذ قيام ليو الثالث رأس الأسرة الإيسورية سنة ٧١٧ م لنزعة في الدين عرفت بالاصورية Iconclast ، وقد سعى الأباطرة لفرض هذه الفكرة ومحاربة مخالفيها بكل سبيل ... وجرى الصراع بين البابوية وبعض رءوس السلطات الزمنية في أوربا ، وكان الفصل الظاهري الرسمي لسلطتي الدين والسياسة يحمل معه أسس النزاع حول سيادة أيهما على الأخرى » .

* * *

والمسلمون اليوم في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، وهم يجدون عيد دستورهم بمواكب الصائمين القائمين ، عليهم أن يكونوا على وعي بين تطاول الأمور في أرجاء العالمين .

« والحقيقة الأولى التي ينبغي أن يعوها جيداً : أن في العالم مجاعة روحية ، وحينما إلى العودة إلى الدين ، وإلى تغشية كل مجالات الضمير والسلوك والتنظيم بهذه الهداية السابغة الرحيمة .

« والحقيقة الثانية : أن الفصل الظاهري بين « الدين والدولة » في تاريخ المسيحية ، ينبغي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يدرس فى ضوء حقائق التاريخ وعلى النفس والاجتماع ، وينبغى لدعاة الإسلام أن يتابعوا أحدث ما يقوله فلاسفة المسيحية فى هذا العصر عن هذا الموضوع .

فهل نقدر الأمانة... وننهض بعبء الرسالة ؟

هل نعى دقة موقفنا فى هذه الفترة الدقيقة من تاريخ الحضارة الإنسانية ؟

هل ندرس ما يسمى « بالاستراتيجية الإيديولوجية» فى صراع الأفكار والمذاهب؟

إننا نحتفل بدستورنا الخالد ، الذى لم يفصل بين النظام والعقيدة وبين الجسد والروح ، وبين الأجهزة الحاكمة الضابطة والروح الموجهة .. ولا نفتأ نبدأ ونعيد فى شمول القرآن ، وإحاطة القرآن وعلاج كل الأمور فى القرآن !!

وتدخل هذه الحقيقة إلى أذهاننا فى رمضان أو فى غير رمضان ، لتعيش على وفاق عجيب ووئام منكر مع متناقضات كثيرة فى أذهاننا وسلوكنا وواقعنا ...

* منها : أن الدين صلة بين العبد وربه ...

* ومنها : أن الدين ينحسر فى هذا العصر... وأنه قد انحسر تماما فى الغرب ...

* ومنها : أن أصول الدين نفسه تبرر هذا الانحسار !!

وأقوم سبيل للاحتفاء برمضان، وبدستورنا (القرآن) : أن ندرس موقف «الدين» فى العالم وموقف « الإسلام » بين الأديان ...

وأذكر هنا كلمات منيرة هادية ، للأستاذ الدكتور محمد البهى ، فى كتابه « الفكر الإسلامى الحديث » :

« إن رجال السياسة فى الغرب عامة يعرفون جيداً الثمن الذى دفعوه للفاتيكان مقابل تأييده للحلفاء ضد النازية والفاشية فى الحرب الأخيرة ، ويعرفون جيدا الثمن الذى يدفعونه الآن لقاء تعضيده مقاومة الشيوعية فى العالم المسيحى . . . والتاريخ السياسى الحديث لم يزل يذكر ثورة الأرجنتين على ديكتاتورها السابق عندما شق عصا الطاعة على رجال الكنيسة الأرجنتينية . ومع أن (مثنوية) الإنسان التى قام عليها الفصل بين والدولة تعتبر فكرة غير سليمة من الوجهة العلمية ، وغير عملية من الوجهة التطبيقية - فإن دعاة (التجديد) فى الفكر الإسلامى الحديث لم يزالوا يرونها (تجديدا) لأن الغرب المتحضر قال بها يوما . . . !

إن تجديد الشرق فى الفكر الإسلامى الحديث ، تقليد لفكر الغرب فى القرن التاسع عشر . . . تقليد لفكر إنسانى انكشف ضعفه وهواه ، وانتهى أجله واعتباره . . إنه الشرق يستورد ولا يخلق . . هل نرجو الآن إنه قد وعى ، وسيخلق ليبنى ، ثم يورد لغيره كما كان ؟ ؟ »

أدعو الله مع الأستاذ الدكتور . . . أن يحقق الرجاء ؟

فتحى عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الثورة الباقية

للأستاذ محمد محمد خليفه

زحفت ثورات الجمهورية العربية المتحدة السياسية والحربية والاقتصادية والاجتماعية فى مختلف ميادينها ، وكتب الله لها فى كل ذلك نصراً هزت نشوته العرب جميعا فكبروا حين رأوا عرش الطغيان تتحطم قواعده ، وحين رأوا الذئاب الاستعمارية تتسلسل تحت ظلمات الخزى والخيبة مشيعة بلعنة السموات والأرض يطاردها البعث المسلح بالعزائم الصارمة .

وهلل العرب حين رأوا نفاثاتهم ومقاتلاتهم تمزق فى حدة طباق الجو وتعلن للدنيا قدرة قواعدها على حماية حماها .

وهللوا حين رأوا الغواصات وزوارق (الطوربيد) وغيرهما من الأسلحة البحرية ترعد بين البحار فترتعد من بأسها أحلام الصهيونيين .

وهللوا حين رأوا الجيوش الرابضة على الحدود فى إيمان يسخر بقوى الأرض لأنه ابن السماء .

وكبر العرب حين رأوا الثورة الاقتصادية تحطم الأغلال التى صنعها الغرب وتذيب القيود التى أحكمتها مصانع الغدر وتمضى بعد الظفر لتعلن للدنيا أنها تسير أبدا فى كنف الله

ثم كبر العرب حين رأوا الثورة الاجتماعية تذيب الفوارق الطبقية وتنتشل من وهدة الاستكانة العامل والصانع والزارع ممن استعبدهم الإقطاعيون وامتص دمهم وقوام أصحاب المعامل والمصانع ، وكان هدف هذه الثورة خلق الكرامة لمن سلبت منه الكرامة ، وبعث الحياة فيمن كان يمن عليهم بأسباب الحياة حتى عافوا دنياهم التى يعيشونها بين عقارب المن وجوائح الاستذلال .

كل هذه الثورات حققت للأمة حياة عاشت ترقبها من خلال تاريخها أعواما طوالا . وكل هذه الثورات أزجت إليها أملا طالما تلمسته فى ماضيها حتى لمسته فى حاضرها .

ولكن ... ولكن بقيت ثورة هى أشد حاجة إلى القوى الصالحة المصلحة وإلى الإرادة المتيقظة البانية وهى أولى الثورات بعناية قادة الثورات ، لأنها تطرد نوازع السوء من طريق أولئك الذين تحملهم الأمة أعباء رسالة المجد .

إنها الثورة على الانحلال ... الانحلال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذى استشرى خطره منذ فجر الاحتلال ، فأنزر حينا أردية الحضارة البراقة ، وخطر حينا وراء أستار المذاهب الوافدة من الغرب أو الشرق ، وخلع حينا هذا وذاك ، فظهر متحللا من روحانية الشرق الإسلامى ومن كل مقومات الأخلاق ومادعت إليه الأديان .

إن الانحلال الذى نخر فى كيان هذه الأمة وامتد فى أعضائها ، ونهشت أخطاره حياتها أحوج ما يكون إلى ثورة جامحة تستأصله وتقضى على عوامله التى قد تتجسم صخوراً وعقبات تسد على الثورات الزاحفة سبيلها ، وتضع العراقيل المعوقة فى طريق المصلحين .

وليس الانحلال الذى يتهددنا وليد اليوم وإنما شب فى أحضان الاحتلال يرعاه ويدلله فهل من لفتة حازمة تقضى عليه ، وتهيء للثورات المنطلقة الأمن فى كنف أمة تكون لها من أخلاقها قوة تصون ، قبل أن يكون لها من سلاحها قوة تحمى .

وإننا نستهدف لملاحم دامية من الصهيونية ولحملات تبشيرية صليبية ، ولكن أعنف ما يخيف تلك التيارات الإلحادية التى تهدد العقائد وتعصف بالمقدسات ، فهل من ثورة تمزق ما عبأ الملاحدة قبل أن يمزقوا أقدس ما نعتز به .

نريد ثورة على الانحلال الدينى ثم نريد ثورة على الانحلال الاجتماعى ، ثورة على الرشوة تدهم النفوس المريضة وتصادر ما جمعت من مال لتجعل أصحابها عبرة لمن عسى أن يعتبر ، وما أكثر مرضى النفوس فى هذا المجتمع وما أشد خطرهم وما أفظع مصيبة القادة بهم .

نريد ثورة على المحسوبيات التى قتلت الكفايات ووثبت بالكثير من غيرهم إلى مناصب مرضت بهم وتعثرت خطاها فلم تستطع المضى فى كنف الركب الزاحف وكم نادى السيد الرئيس ونددبأولئك المستغلين لمناصبهم . ولكن ما زال فى الدولة من فى أذنيه وقر وما زال خطر المحسوبيات تمزق مخالبه أحلام الكفايات وتوهن من جهودها .

نريد ثورة على النفاق الذى عشش فى قلوب الضعفاء وصرع فيها معانى العزة والكرامة ومحاسنها من مقومات الرجولة ، فعاش المنافقون فى دنيانا أشباه رجال على جباههم من شيات النفاق طابع تزيد كل يوم حدته .

فهو أبدا ينطق بمعانى الذلة ولهؤلاء خطرهم على نفوسهم وعلى أبنائهم وعلى مجتمعهم وخليق بالدولة ألا تدع هؤلاء ينشرون الضعف فى ذلك المجتمع الشامخ .

نريد ثورة على الغش يعمل فيها القانون عمله ويعمل إلى جانبه المصلحون بألسنتهم وأقلامهم وتجند لها الصحافة والإذاعة قوة تنزع من نفوس الغاشين جشعهم الطاغى وتخلقهم للمجتمع الجديد خلقا جديدا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نريد ثورة على المستهينين بالواجب والمسئوليات والمناصب أولئك الذين كفلت لهم الدولة كل شيء وضنوا عليها بكل شيء ، قلدتهم بعض شأنها فاستغلوا السلطة والثقة واستجابوا إلى وسوسة الإهمال ونزغات الاستهتار فقضوا أيامهم يتثاءبون وراء مكاتبهم أو يشتغلون بما ليس من عملهم والجمهور الغاضب على الأبواب يحرقه الغيظ ويستبد به الألم .

وكأني بهؤلاء يفرضون على الدولة أجساما بلا أرواح وهياكل بغير قلوب إن هؤلاء المستهترين بالمسئوليات (سرطان) في جسم المجتمع إذا امتد به الزمن دون أن يستأصل عاق الجيل الصاعد عن السمو إلى آماله التي يتطلع إليها .

نريد ثورة على المختلسين الذين تفننوا في سلب أموال الدولة . إن الدولة في حاجة إلى نفوس طاهرة تنطلق في الوزارات والمدارس لتحاسب وتحقق حتى ترد إلى خزائنها ما سلب منها وتصون لأبواب النفقات ما أعدلها وتمنع العبث بأموال النشاط وتراقب تزوير (الفواتير) .

نريد ثورة على اللصوصية السافرة والمستترة وكم بين الأغنياء من لص يسلب حقوق الدولة ويوارى عنها الكثير من أملاكه ويحتال للفرار من حساب الضرائب التي تجنيها الدولة لخير الأمة ، وليس أنجع في هذه الثورة من حكم الله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » هذا حكم الخالق في قضية السارق وكشفه للمجتمع ليكون عبرة تحذر وتخيف المستسلمين لأهوائهم وفي هذا الجزاء علاج أي علاج لمرض يهدد كياننا .

وأخيراً بل أولا نريد ثورة على الأغاني الساقطة التي تقتل في شبابنا كل معاني العزة والرجولة وفي فتياتنا كل المعاني الخلقية النبيلة وترمي بهؤلاء وأولئك في محيط صاخب من شهوات النفس وغرائزها يلاطمون أمواجه وتلاطمهم ثوراته وتشغلهم مغامراتهم عما يطلبه الوطن العربي الكبير من كفاح أجياله في سبيل أمجاده .

وخليق بأيدي البناة والمصلحين أن تمتد إلى هذا اللون في دار الإذاعة فتأتي عليه وتحطمه قبل أن يعثر قوافلنا الماضية في الحياة .

وخليق بالقادة ألا يدعوا المرآة الحقيقية لأخلاق الأمم تعكس للعالم صوراً تشف عن حياة رخيصة هزيلة لا تتلاءم مع الانطلاقات الفتية في حياتنا .

وخليق بهم كذلك - وبيدهم المقاليد - أن يعلنوا لمؤلفي الأغاني منهجا جديداً يخلق ولا يفني ، يحيي ولا يميت يقوي ولا يضعف ، يسجل ولا يضيع - وإلى من يعيشون مع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأحلام والاستهتار والتحلل من كل مقومات الأمم الحية داخل إذعتنا يجب أن يلتفت القادة ليتخذوا بهم بعيداً عن طريق انطلاقها .

ويجب أن تنطلق الثورة المدمرة إلى الماديين من تجار (الأفلام) المريضة التى تجنح إلى الرقص أو إلى ما يثير الغرائز الجنسية من مواقف وأغان على حين خلو هذه (الأفلام) من علاج مرض اجتماعى بل إنها كثيرا ماتبعث الأمراض الخلقية النفسية فى المجتمع وما أحوج هـــذا المجتمع إلى قصص تعالج أمراضه وتتناول مشاكله فى حذق وعرض يعين على استئصال هذه الأدواء ، وقد تفيد القصة والتمثيل أكثر مما يفيد الوعظ إذا آمن الممثل برسالته فى المجتمع . أما مرض المخدرات والاتجار بها فقد آمن المسئولون بخطره ووضعوا العقوبات الصارمة كلون من العلاج ولكن المستهينين بالمجتمع مازالت نفوسهم العابثة تمضى بهم فى العبث ومن ثم لم يجد المسئولون بدا من أن يأخذوهم بالحزم ليقضوا على خطرهم .

أيها الثوار . الذين حاربوا الفساد السياسى ، إن الفساد الاجتماعى الذى تعصف بهذا المجتمع هو أصفه أحوج ما يكون إلى جهودكم وثورتكم حتى تؤمنوا لهذه الأمة حياتها وإنكم وأنتم صناع أمجادها جديرون بإرساء قواعد المجد على أصول ثابته محكمة ولن يكون ذلك إلا إذا قضيتم على أسباب التفكك والاسترخاء والانحلال .

أيها الثوار . . . هبوا لهذه الأمراض وغيرها بعض جهودكم ولمحات من وقتكم ولفتات من رعايتكم فالمجتمع الذى تتقاذفه تيارات الانحلال يمد يده المرتعشة إليكم وهو مؤمن بأنكم منتشلوه لأنكم صانعو حياته وباعثو آماله .

وإن هذا المجتمع لا يصلح إلا بما صلح به أوله : خلق طاهر وضمير حى وإيمان بالواجب وعمل خالص وتفاعل مع الانطلاقات الصادقة لخير المجتمع وقضاء على الانحلال والمنحلين

أيها الثوار :

إن الانحلال أخطر ما يهدد كيان الأمم فأعلنوها ثورة عارمة عليه يبارك الله لكم فى جهادكم وينصركم وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

محمد محمد خليفة

المدرس فى معهد القاهرة للأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إبليس الأول أو إبليس آدم

للأستاذ عباس طه

أصل اللفظ واشتقاقه - خلق إبليس - حقيقة الجن - إبليس قبل المعصية - إبليس وآدم - إنظاره - موته ووقته

---

١ — أصل اللفظ واشتقاقه :

قال الزجاج : هو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ووزنه فعليل .

قال البستاني في دائرة المعارف : وهذا هو الصواب فإنه معرب (ذيافوليس) باليونانية وهو علم جنس للشيطان ، ومعناه فيها بالحصر موقع الخلاف وبالتعميم نحام أو مشتك كاذب.

وقال صاحب تاج العروس بعد قول القاموس : أو هو اعجمي ولذا قيل إنه لا يصح أن يشتق إبليس وإن وافق معنى أبلس لفظا ومعنى وقد تبع المصنف الجوهري في اشتقاقه فغلطوه فاينتبه لذلك .

وقال أبو عبيدة وغيره : إنه عربي مشتق من الإبلاس وهو الإبعاد من الخير أو اليأس من رحمة الله . يقال أبلس من رحمة الله أي يئس وندم وفي التنزيل العزيز (يومئذ يبلس المجرمون) وإبليس مشتق منه لأنه أبلس من رحمة الله أي أويس ومنع من الصرف حينئذ لكونه لا نظير له في الأسماء أو لأنه شبيه بالأسماء الأعجمية لكونه لم يسم به أحد من العرب فصار خاصا بمن أطلقه الله تعالى عليه وكأنه دخيل في لسانهم . وقيل إسمه بالعبرانية عزازيل ، وبالعربية الحارث ، أما كنيته فأبو مرة .

٢ — خلق إبليس :

تتوقف معرفة خلق إبليس على معرفة النوع الذي هو منه وذلك أنهم اختلفوا فيه أهو من الملائكة أم من الجن ؟ فذهب جماعة إلى أنه من الملائكة مستدلين بجملة أدلة :

الأول : ظاهر الاستثناء في قوله تعالى : « فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر » .

والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل أو لصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة .

الثاني : أنه لو لم يكن من الملائكة لما كان قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) متناولا له ولو لم يكن متناولا له لاستحال أن يكون تركه للسجود إباء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واستكبارا ومعصية ولما استحق الذم والعقاب وحيث حصلت هذه الأمور وعلمنا أن ذلك الخطاب يتناوله ولا يتناوله ذلك الخطاب إلا إذا كان من الملائكة .

وذهب جماعة آخرون إلى أنه من الجن مستدلين أيضا بعدة أمور منها :

الأول قوله تعالى في سورة الكهف «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه» ،

الثاني : «إبليس له ذرية لقوله تعالى في صفته «أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو» وهذا صريح في إثبات الذرية له وأن الملائكة لا ذرية لهم لأن الذرية إنما تحصل من الذكر والانثى والملائكة لا أنثى فيهم لقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم) أنكر على من حكم عليهم بالأنوثة فاذا انتفت الأنوثة انتفى التوالد لا محالة فانتفت الذرية .

الثالث : أن الملائكة معصومون وإبليس لم يكن كذلك لأنه قد استكبر والملائكة لا يستكبرون .

الرابع : أن إبليس مخلوق من النار والملائكة ليسوا كذلك ـ وشأن الأدلة على هذا في بيان حقيقة الجن ، وقيل : إنه لا من الملائكة ولا من الجن بل هو خلق نعمة وأنه مخلوق من النار .

٣ — حقيقة الجن :

الجن نوع من الخلق سموا بذلك لاختفائهم عن الأبصار ، ولأنهم استجنوا من الناس ، فلا يرون . قال الراغب : أصل الجن (بفتح الجيم) ستر الشيء عن الحاسة يقال جنه الليل وأجنه وجن عليه لجنه : ستره) إلى أن يقول والجن بكسر الجيم يقال على وجهين : أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس فعلى هذا تدخل الملائكة والشياطين ، فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة ، وعلى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلها جن . وقيل : بل الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثة : ١ ـ أخيار وهم الملائكة . ٢ ـ أشرار وهم الشياطين . ٣ ـ أوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن » اهـ .

وقد أخبرنا القرآن الكريم وجاء في السنة الصحيحة أنهم عالم قائم بذاته وأنهم قبائل وطوائف وأن منهم البار والفاجر وأنهم يأكلون ويشربون ويتناسلون .

قال تعالى : «وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين» وقال : حكاية عنهم «وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون» .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد رويت أحاديث كثيرة فى هذا المعنى فروى أنهم مروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى بأصحابه ببطن نخلة من أرض مكة فوقفوا فاستمعوا لقراءته ثم اجتمع بهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة كاملة فسألوه عن أشياء أمرهم بها ونهاهم عنها وسألوه الزاد فقال لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحما وكل روثة علف لدوابكم. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بهما وقال إنهـــا زاد إخوانكم الجن، أما ماخلقوا منه فقد ذكره القرآن الكريم فى قوله: «خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار» وفى قوله: «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم» وذكره الحديث فى رواية مسلم من طريق الزهرى عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم».

٤ — ابليس قبل المعصية:

ليس هناك خبر تطمئن اليه النفس وتقوم به الحجة على تعيين الحالة التفصيلية التى كان عليها إبليس قبل معصية ربه بأبائه السجود لآدم وليس من اليسير على الباحث الحريص على استكمال نواحى بحثه أن يهمل مثل هذه الناحية الهامة فى ترجمة إبليس دون أن يتحدث عنها بكثير أو قليل فانه ان أهمل وصف بالتقصير وان تحدث بما لم يؤيده نص دينى أو يعضده مصدر تاريخى وثيق وصف بالقصور واذا فليعذرنا حضرات المطلعين ان نحن أوردنا شيئا فى هذا الموضوع مما رواه شيوخ العلم وأئمة المؤلفين ونسبوه إلى أجلاء من الصحابة وغيرهم رضوان الله عليهم كابن عباس وغيره ونحن لا نورده هنا على أنه أخبار مسلمة وروايات مقطوع بها بل لنبين أن هذا هو كل ما ذكروه والعهدة عليهم فيه قالوا كان اسم ابليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل وكان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض وما بينهما وكان خازن الجنة مع اجتهاده فى العبادة وكثرة علمه فأعجب بنفسه ورأى أن له بذلك الفضل فاستكبر، وقيل: إن الجن لما أفسدوا فى الأرض وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله إليهم إبليس فى جند من الملائكة فقاتلهم وشردهم إلى الجزائر فلما فعل ذلك اغتر فى نفسه وقال قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد. وقيل: كان قاضيا بين الجن فلم يزل يقضى بينهم بالحق حتى سمى حكما فتعظم وتكبر وأتى بينهم العداوة والبغضاء فأفسدوا فى الأرض وسفكوا الدماء فبعث الله عليهم نارا فأحرقهم فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرج إلى السماء فأقام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عند الملائكة يعبد الله مجتهدا فى العبادة فلم يزل كذلك حتى خلق الله آدم فكان من أمر إبليس ومعصية ربه ما كان ، وقيل غير ذلك .

• - إبليس وآدم :

يؤخذ من الآيات القرآنية التى وردت فى خلق آدم عليه السلام أن الله تعالى اختصه بمزايا أهمها :

١ — تعليمه الأسماء كلها .

٢ — أمره الملائكة بالسجود له . ولقد كان هذا الاختصاص سببا فى حسد إبليس لآدم وقد حمله هذا الحسد على الاستكبار والعناد مبررا ذلك بأنه أفضل من آدم فعاقبه الله على ذلك بالطرد من الجنة وبإنذاره بأنه من أهل النار . ويحكى لنا القرآن الكريم ذلك فى نظم رائع وأسلوب معجز قال الله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

٦ — إنظاره : أراد إبليس أن يجد له فسحة فى الأغواء وأن يكون له من طول الحياة ما يرخى له العنان فى الجرى وراء الافساد الذى جبل عليه فسأل ربه عز وجل أن ينظره إلى يوم الدين لإشباع نهمته من هذه الناحية .

قال تعالى حكاية عنه : « قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » أما الحكمة فى إنظاره ذلك الزمن الطويل ما هو عليه من الإفساد فقد بينه العلماء قال ابن كثير فى البداية والنهاية . إن إبليس أنظره الله إلى يوم القيامة محنة لعباده واختبارا منه لهم كما قال تعالى : وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ .

٧ — موته ووقته : ذكر أصحاب الأخبار كيفية موت إبليس ، فنقل الألوسى فى تفسيره عن كتاب البحور الزاخرة للسفارينى خبرا مرفوعا إلى ابن مسعود رضى الله عنه أن إبليس يموت بقتل الدابة له عند خروجها ، ولكن الألوسى شك فى نسبة هذا القول إلى ابن مسعود ، وإذا فالمسألة موكلة إلى علم الله تعالى .

وأما وقت موته فقد حكى فيه الرازى قولين : الأول . أنه تعالى أنظره إلى النفخة الأولى لأنه تعالى قال إنك من المنظرين إلى الوقت المعلوم والمراد منه اليوم الذى يموت فيه الأحياء كلهم والثانى أنه تعالى لم يوقت له أجلا بل قال (إنك من المنظرين) وقوله فى الآية الأخرى إلى يوم الوقت المعلوم المراد منه الوقت المعلوم فى علم الله تعالى وقال بعضهم غير ذلك والله أعلم ؟

عباس طه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام والمسلمون في أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشواربي

التبادل الثقافي بين أمريكا والعالم الإسلامي:

لقد أدى نظام تبادل الأساتذة والباحثين، الذي استحدثته الولايات المتحدة والذي عرف أخيراً بنظام الفولبرايت، إلى تحقيق التبادل الثقافي بين أمريكا وبين كثير من دول العالم. وكان من بين هؤلاء الأساتذة الذين وفدوا إلى أمريكا أو الذين أوفدتهم أمريكا إلى خارج بلادها كثيرون ممن وفدوا من بلاد العالم الإسلامي أو أوفدوا إليه. ومما لا شك فيه أن هذا النظام قد أدى إلى الكثير من الفوائد لكلا الفريقين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن رئيس لجنة تبادل الأساتذة بالحكومة الأمريكية ألقى محاضرة قيمة عن نتائج وأهمية التبادل الثقافي بين أمريكا ودول العالم الإسلامي ولقد ورد في تلك المحاضرة كثير من الحقائق الشائقة والآثار الطيبة التي تركها الأساتذة الزائرون من دول العالم الإسلامي في نفوس أساتذة الجامعات الأمريكية.

ولقد يكون من الخير أن تقوم البلاد الإسلامية بالإكثار من إرسال الوفود من الشخصيات الإسلامية البارزة التي لها إلمام باللغة الإنجليزية لزيارة أمريكا والتعرف على الجاليات الإسلامية بها وإقامة الروابط الدينية والثقافية المختلفة وهو مصداق قوله تعالى: «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير». فمما لا شك فيه أن القيام بإرسال هذه البعوث كفيل بتحقيق خير كثير لكلا الفريقين على السواء.

ونود أن نذكر في هذا العدد أن الباكستان تقوم الآن بهذا العمل على أوسع نطاق ممكن سواء عن طريق الأفراد أو الجمعيات أو الحكومة ذاتها.

ولقد التقيت في أمريكا ببعثتين من هذه البعثات: الأولى في واشنطون وكانت تتكون من أربعة أشخاص قاموا بها بدافع شخصي وبصفة غير رسمية وقد أسهموا فيما بينهم بتحمل نفقات الرحلة وزاروا مختلف الجاليات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلامية فى أمريكا وتنافسوا فى خدمتهم وتقديم المعونة الأدبية لهم .

ولقد التقيت بالبعثة الثانية من بعثات الباكستان فى نيويورك . وكان قوامها تسعة من كبار رجال الباكستان بينهم محام كبير ومهندس ممتاز وموظف كبير بمصلحة السكك الحديدية وأستاذان من كبار أساتذة جامعاتها ، وقد وفدوا جميعا إلى تلك البلاد الأمريكية لقضاء ستة أشهر بها بعد أن قبلت الهيئات الحكومية والأهلية التى يعملون بها منحهم هذه الإجازة بمرتب ليتسنى لهم زيارة مسلمى أمريكا بالنيابة عن مسلمى باكستان .

ولقد قامت هذه البعثة الأخيرة بإلقاء عدد كبير من المحاضرات فى شتى الجمعيات الإسلامية وعقدت كثيراً من الندوات لتفقيه المسلمين فى أمر دينهم كما وجهت الدعوة إلى بعض المسلمين الأمريكيين للسفر إلى باكستان عند انتهاء زيارتهم لأمريكا ليقوموا بدورهم بزيارة إخوانهم فى العالم الإسلامى وأن ينزلوا عليهم ضيوفا كراما .

وتلقى مثل هذه البعثات عادة كل ترحيب من المسئولين الأمريكيين ، كما أن الشعب الأمريكى بما طبع عليه من حب لحرية الرأى وما يتصف به من سعة الأفق ودماثة الخلق يرحب كل الترحيب بمثل هذه البعثات ويقبل بقلوب متفتحة على التعرف إلى أعضائها والاستماع إليهم وتأكيد المودة بينه وبينها .

وقد يكون من الخير أن تحذو الدول الإسلامية الأخرى حذو الباكستان فى القيام بهذا الدور الجديد فى العمل على تشجيع التبادل الثقافى بين الشعوب الإسلامية والشعب الأمريكى ، ونأمل فى المستقبل القريب أن تولى الدول الإسلامية هذا الأمر عنايتها بإرسال الوفود إلى مختلف أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية فإن كل ولاية من ولايات أمريكا لا تقل فى عدد سكانها ، ومساحة أراضيها عن بعض دول العالم الإسلامى إن لم تزد عليها فى عدد السكان والمساحة .

ويذهب الآن إلى الشرق الأوسط والأدنى عدد كبير من الأساتذة الأمريكيين ومن الباحثين والطلبة وكلهم موضع رعاية الدول التى يفدون إليها ويلقون فيها ما عرف عن الشرق من كرم الضيافة ، وتعتبر هذه الأمور من العوامل الفعالة التى تؤكد إيجاد جو من التفاهم الصحيح والتعاون الفعال بين الإسلام والمسيحية .

وقد درج بعض كبار أعضاء الجاليات الإسلامية فى أمريكا على إرسال أبنائهم للدراسة بعض الوقت فى بعض الدول العربية حتى يمكنهم أن يحافظوا على لغة أجدادهم والتحدث بها بطلاقة ، وهذه بلاشك روابط قوية تربط بين الوطن الجديد لهؤلاء المهاجرين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبين وطنهم الأصلي الذي هاجر منه آباؤهم وتؤكد حسن التفاهم بين البلدين .

ومما هو جدير بالذكر أنه قد تم الاتفاق بيني وبين بعض المشرفين على الجامعة الإسلامية في شيكاغو على أن يسافر بعض الطلبة والطالبات إلى مصر للتعلم في جامعة القاهرة وإتمام دراساتهم فيها ، ونأمل أن تيسر وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة هذه المهمة خصوصا أن هؤلاء الطلبة لن يكلفوها شيئا إذ أن ذويهم سوف يتكلفون بدفع كل نفقات سفرهم وإقامتهم ، ونأمل أن تعفيهم جامعة القاهرة من دفع المصروفات الجامعية .

ومن البوادر الطيبة التي تؤيد هذا التعاون الثقافي وتدعمه ما نراه اليوم من اتجاه كثير من دول العالم الإسلامي في السنوات الأخيرة إلى دعوة بعض المبرزين من قادة الجاليات الإسلامية في أمريكا إلى زيارتها ، ففي استضافة مثل هؤلاء تجديد لمعلوماتهم وتأكيد لروح المودة بين العالم الإسلامي وبين أمريكا .

ويقوم طلبة البعوث من أبناء الدول الإسلامية في أمريكا بنشاط ثقافي ملحوظ وهم يزيدون على بضعة آلاف ، ويبلغ عدد أعضاء البعثات من العالم العربي فقط ما يزيد على أربعة آلاف طالب ، وهم جميعا يقومون في أوقات فراغهم بعقد الندوات والمحاضرات عن الإسلام ويتبادلون المعلومات الصحيحة مع زملائهم من الطلبة الأمريكان كل عن معتقدات دينه وتعاليمه ، فهم من هذه الناحية يقومون بواجبهم على خير وجه وعلى أوسع نطاق ممكن إذ أنهم موزعون في معظم الجامعات والكليات الأمريكية المختلفة التي تزيد على الألف والمنتشرة في جميع الولايات الأمريكية.

ومن الأمور الجديرة بالذكر أن الأساتذة الزائرين من مختلف دول العالم الإسلامي الذين يدعون للتدريس في مختلف الجامعات الأمريكية يقع عليهم عبء كبير في هذا الشأن ، فهم بحكم وظائفهم ومراكزهم الأدبية في تمكنهم من لغة البلاد وصلتهم القوية بزملائهم من الأساتذة والطلبة أقدر الناس بلا مراء على تأكيد المودة وحسن التفاهم بين العالم الإسلامي وبين أمريكا وإيقاف الرأي العام الأمريكي على حقيقة الإسلام ومبادئه .

وهنا أود أن أسجل التسامح الديني الكبير الذي يلقاه المرء في مختلف أنحاء أمريكا ، فالشعب الأمريكي يستمع إلى كل ذي رأي وعلى أتم استعداد لقبول كل رأي يؤيده العقل والمنطق . ولقد كانت لنا مع الكثيرين منهم مواقف كثيرة إن دلت على شيء فإنما تدل دلالة واضحة على الديمقراطية الصحيحة ،

(البقية على صفحة ١١٤٦)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والكتاب فصول سبعة تناول فيها : المفهوم الثورى للقومية العربية ، اقتصاديات العرب ، جناية الاستغلال . تحرر العرب : بناء مجتمع تسوده العدالة ، الفلسفة الخلقية ، الفلسفة السياسية . يرى المؤلف أن القومية روابط مادية ومعنوية ، زمانية ومكانية ، وإذا لم تتبلور هذه الروابط فى الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والروحية ، كانت القومية فى دور التكوين لا تزال تمر بأزمة البحث عن نظام كامل تبرز وتتجسد فيه.

وفى الفلسفة السياسية يتحدث المؤلف عن تحقيق السيادة التامة للدولة وأن الاستقلال فى ظل السيطرة الامبريالية معناه العبودية ، وأن تحقيق هذه السيادة يتطلب تأكيد سيادة الشعب ، تحرير الحكم من سيطرة رأس المال ، تحقيق الحرية والاخاء والمساواة .

ويتحدث المؤلف عن فلسفة الاتحاد القومى وأنه خير صورة لتطبيق الاشتراكية تطبيقا ديمقراطية تعاونيا . وعن دورنا القيادى الأفريقى ، وعن فلسفة الحياد الإيجابى والتعايش السلمى ...

المؤلف ناقش كثيرا من قضايا القومية العربية ودورها الإيجابى فى إيجاد كيان مستقل للعرب.

محمد عبد الله السمان

(بقية المنشور على صفحة ١١٣٦)

وعلى أن حرية القول وحرية الرأى مكفولتان للجميع تماما .

وأود أن اذكر أن مشروع التبادل الثقافى بين أمريكا ومختلف دول العالم لم يكن فى الواقع منصرفا بالكلية إلى الوجهة العلمية والفنية البحتة إذ أن أمريكا تكاد تفوق معظم دول العالم فى هذه الميادين العلمية والفنية جميعا . وإنما الباعث الأول على معظم ذلك المشروع الإنسانى الكبير هو فى الواقع إتاحة الفرصة بوقوف كل فريق من الأساتذة الزائرين على حقيقة نظم الحياة فى كل بلد ووقوف كل منهم على ثقافة الآخر وإيجاد نوع من حسن التفاهم بين الجميع يبنى على تفهم كل منهم لأهداف الآخر فى الحياة .

وهنا بالذات تأتى المهمة الأولى للأساتذة الزائرين من العالم الإسلامى وتعريف الأمريكيين حقيقة التعاليم الإسلامية وثقافة الإسلام ، فالثقافة الإسلامية هى منبع الثقافة الأول فى جميع دول العالم الإسلامى مهما تباعدت أطرافه .

وفى اعتقادنا أنه كلما فهم كل فريق معتقدات الآخر على الوجه الصحيح كلما زاد التفاهم بين الناس وازدادت بينهم أواصر المودة وقويت الرابطة بيننا جميعا كمواطنين فى هذا العالم وتوطدت تبعا لذلك أركان السلام فيه.

الدكتور محمود الشوارى
الأستاذ بجامعة القاهرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ديمقراطية (رعاوية) فى شمال الصومال

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذا الكتاب واحد من مئات الكتب التى تصدر اليوم تباعا عن القارة الإفريقية باللغات الأوربية . وقد بدأ التأليف فى هذا الموضوع بالإجمال عن القارة فى عمومها تاريخا واقتصادا وسياسة وأخلاقا وعادات أو عبادات فى المجلد الواحد والمجلدين ، ثم تشعبت البحوث واتسع نطاق العناية بها بين قراء الغرب حتى بلغ بها التخصص والتحديد أن يصدر المجلد الضخم عن شعائر القبيلة الواحدة فى القطر الواحد ، مع التزام الشعائر الدينية الاجتماعية دون غيرها من شؤون تلك القبيلة فيما يتصل بالجغرافية أو السياسة أو العلاقات التجارية والاقتصادية ، وصدرت عن الصومال وحدها ـ فى شمالها دون سائر جهاتها ـ مؤلفات عدة يستغرق بعضها مئات الصفحات ، ومنها هذا الكتاب فى (دراسة الأحوال الرعاوية والسياسية بين أبناء الشمال ، وقد فرغ لتأليفه (ا . م لويس) بعد أن قضى عشرين شهراً فى الرحلة بين أقاليم القبائل التى خصها بالكتابة فى هذا المجلد ، واطلع قبل الرحلة وبعدها على مراجع شتى من رحلات السياح والجغرافيين والمستطلعين .

ولا ننس أن البحث عن (أحوال الإسلام) يتقدم البحوث فى كل كتابة عن القارة الإفريقية وعن الأقاليم التى يسكنها المسلمون أو يجاورونها بين أرجاء القارة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، وقد تعد الكتابة عن هذه الأقاليم التى يسمونها (قرن إفريقية) كتابة خاصة بالإسلام والمسلمين ، سواء اتصلت بحوثها بالأقطار الأثيوبية أو بالجنوب الذى يسكنه أناس على دين الفطرة وتتخلله الدعوة الإسلامية أو دعوة المبشرين من حين إلى حين .

والمؤلف لا يخفى إعجابه بغيرة أبناء الصومال على العقيدة الإسلامية ، ويقول فى مقدمة كتابه (إن الغريب عن الديار لا يسعه أن يتجنب الشعور بإخلاصهم الصادق لعقيدتهم الدينية وامتزاج الفخر بالإسلام عندهم والفخر بالانتساب إلى السلالة الوطنية . ولا يجهل الصوماليون أنهم شعب من شعوب كثيرة تدين بهذا الدين ، ولكنهم يتخذون من حماستهم له أداة لإبراز ما هم مطبوعون عليه من الشعور العميق بكرامة الأنساب .

ويقول الرحالة إن المسلم الصومالى ينتمى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ـ عادة ـ إلى إحدى الطرق الصوفية ويرعى فيها النظام الدقيق الذى يمتاز به الصوماليون فى اجتماعاتهم العامة ، سواء منها اجتماعات القبيلة لتدبير المصالح المشتركة أو اجتماع أبناء الطريق لإقامة الشعائر والعبادات . ولكن الصومالى قد يجمع بين طريقتين فى وقت واحد ويؤدى شعائره فى كلتا الطريقتين ، لأنهما تتفقان فى اتباع السنة وقضاء الفرائض المرعية فى أحكام القرآن ، وقد يقع الخلاف بين الطريقتين إذا اشتبكت أسبابه بأسباب الخلاف على مسائل المجتمع أو مسائل القبيلة (الرعاوية) ولكنه خلاف قليل الحوادث إذا قيس بالخلاف على المذاهب فى غير هذه الديار . .

ومما يحد من أضرار هذا الخلاف أن مشايخ الطرق مسؤولون فى العرف العام عن التوفيق بين الخصوم والإصلاح بين القبائل وولاة الأمور فيها أو فى البلاد الحضرية التى انفصلت بعض الانفصال عن تقاليد الريف والبادية ، وليس لأحد من وجوه القوم مكانة تعلو مكانة رجل الدين بين قبائل الصوماليين ، ولكن العرف الصومالى يدين بتقسيم (السلطات) بين مكانة الشيخ ومكانة رئيس العشيرة أو سلطان الإمارة ، فإذا استجاب المتخاصمون إلى وساطة الإمام الدينى فالعهود التى تبرم بينهم إنما يتم إبرامها على أيدى الرؤساء والسلاطين ويتولى الإشراف على تنفيذها وكلاؤهم وأعوانهم الاجتماعيون ... إلا أن يصل الأمر إلى التحكيم على وجه من وجوه الخلاف المتفق عليها فلا يرى الجميع بدا من قبول الاحتكام إلى أئمة الدين .

ويحترم الصوماليون ذكرى الآباء والأجداد ، ويقيمون الأضرحة والمزارات لكل جد عظيم من جدود القبيلة المذكورين ، ويتفق فى هذه الحالة أن يكون مزار الجد العظيم كمزار الولى الدينى فى القداسة والتوقير وإقامة الموالد إلى جواره مع التصدق بالذبائح والقرابين فى كل موسم مشهود ، يحضره أبناء ذلك الجد كما يحضره غيرهم من المقيمين إلى جوار المزار . ولعل هذا الاشتراك بين شعائر القداسة وشعائر الولاء قائم على اشتهار أوائل الأجداد بفتح البلاد للدعوة الإسلامية واستحقاقهم للذكرى بفضل الغيرة على الدين والقدرة على تمكين السلطان السياسى لعشيرة من العشائر الوطنية أو عشائر المهاجرين الأولين .

ويدل اسم الكتاب (ديمقراطية رعاوية) A Pastoral Democracy على الغرض الأول من تأليفه ، فهو وصف النظام الديمقراطى الفطرى فى بلاد القبائل الراعية ، أو قبائل الرعاة التى تحسب فيها الثروة بعدد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما تملكه من الأنعام والماشية وقطعان الحيوان على الإجمال . وقد يصف المؤلف مجالس الحكم والمشاورة فى هذه القبائل كما يصف علاقات الحكام بالمحكومين وعلاقات القبائل المتعددة بعضها ببعض فى السلم والحرب وأيام الرخاء وأيام الجدب والشدة ، فيخلص من مشاهداته الكثيرة إلى الإيمان بصدق العنوان (الديمقراطى) حين يطلق على سياسة القبائل وآدابها الاجتماعية ، وإن تكن (ديمقراطية) فطرية تدين بالعرف المأثور ، قبل أن تدين بالنص المكتوب .

ويقول المؤلف إن مصالح القبيلة (الرعاوية) لها اعتبارها الأول عند تطبيق الأحكام والحقوق وبخاصة فى مسائل الدية والثأر ومسائل التوريث والتمليك ، ويحرص أبناء الصومال على تطبيق أحكام الميراث كما شرعها الإسلام . فتعطى المرأة حقوقها على حسب هذه الأحكام ، ولكنها لا تتولى رعاية الإبل ولا حيازة الأرض المخصصة للرعى والسقاية ، وقد تملك الماشية وتملك الدار والمسكن من مخلفات الآباء والأزواج . ولكنها — هى باختيارها — لا تطالب بولاية أمر الإبل والمراعى والسقايات . ولعلها تؤثر ذلك لأن الملكية هنا تستتبع الحماية بالسلاح والاستعداد لدفع الغارة وصد العدوان والانتقال من حوزة إلى حوزة كلما وجبت الرحلة من حمى إلى حمى آخر ، تبعا لأحوال الخصب والجدب أو أحوال الرى والجفاف .

وهذا يجعل للملكية فى هذه الحالة حكما خاصا لا تنهض المرأة بأعبائه أن تدبير الغارة موكول إلى نظام صارم لا يعفى منه أحد من القادرين على حمل السلاح ، فإذا وجب القتال وتخلف عنه أحد من شبان القبيلة فهو عرضة لاستباحة ملكه من الأنعام والماشية ، وإذا اجترأ جماعة من القبيلة على شن الغارة على قبيلة أخرى بغير إذن الزعيم حق له أن يعاقبهم ويحرمهم غنيمتهم ، إلا إذا تقدموا بأنفسهم مختارين لقسمة الغنيمة بينهم وبين إخوانهم الذين خالفوهم ولم يشتركوا فى اغتنامها ، فقد يشفع لهم ذلك فى رفع العقاب وتخفيف التعويض المفروض .

وقد تحول الصوماليون من سكان بقاع الشمال من نظام المراعى إلى نظام الأرض الزراعية ، فكان لذلك أثره فى تعديل أطوار المعيشة وأحكام الديمقراطية الرعوية ، ولكنه تعديل ظاهر لم يتعمق إلى أصول العادات والأخلاق .

ويستطرد المؤلف فى حديثه عن العرف الاجتماعى إلى الحديث عن الشعر الصومالى ووظيفة الشاعر الاجتماعية بين البادية والحاضرة . فإذا هى صورة أخرى من صور

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحياة العربية فى عصورها الأولى . لأن الشاعر يثير النخوة للقتال ويستفز الغضب للأخذ بالثأر ورد العدوان بالعدوان ، وقد يلجأ إليه أحيانا فى تهدئة الثوائر الجامحة وتزيين الصلح والمسالمة كلما جنح الحكماء ورؤساء الدين إلى علاج المشكلة بالتوفيق والترضية ، ولا يندر فى أغراض الشعر عند الصاماليين نظم القصائد حمدا للأولياء وترتيلا لأناشيد الدعاء والثناء على عباد الله الصالحين ومن أمتع فصول الكتاب تلك الصفحات التى يروى فيها المؤلف طرفا من سير الشيوخ والنساك الذين قادوا الثورة على الحكم الأجنبى كما قادوا الثورة على فساد الأخلاق ومساوىء التفرنج بين أناس من الصوماليين بعد احتكاكهم بالجاليات الأوربية . فإن أحاديث المؤلف عن أولئك الشيوخ والنساك تصحح التاريخ المفترى عليهم وتدفع شبهة الهوس التى علقت بهم من روايات الصحفيين عنهم ، وأولهم (الملا محمد عبد الحسن) الذى لقبوه بالملا المجنون ، وما كان به من جنون إلا أن يكون الجنون عندهم فرط الغيرة على الصلاح وفرط الغضب من دسائس التبشير والاستعمار.

وأهم ما فى الكتاب من وجهة النظر إلى الحياة العصرية تحقيق المؤلف عن الأحزاب السياسية وأسباب التقارب أو التباعد بين أعضائها ، وخلاصته أن العصبية القبلية هى الصلة الكبرى التى تربط بين الهيئات السياسية فى الشمال ، وأن العوامل المحلية ونفوذ « الشخصيات » التى تهيمن عليها تحل محل هذه الصلة فى الأقاليم (غير الرعاوية) وأن المذاهب الأوربية التى نجحت فى اجتذاب بعض الصوماليين إليها إنما نجحت لتوكيدها شريعة المساواة بين الأجناس البشرية أو لتوكيدها مبادىء الديمقراطية بين الحكومات ورعاياها ، ولا يخفى أثر الإسلام فى كل عامل من هذه العوامل بين المسلمين وغير المسلمين .

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

١ — قصة الإيمان :

نديم الجسر مفتي طرابلس :

قد يتوهم القارىء أن هذا الكتاب الضخم: « قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » هو من تأليف الأستاذ الجليل الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس ولبنان الشمالي ، ولكن الحقيقة أن الشيخ المفتي كان دوره القيام بالطبع والنشر والإهداء إلى كبار الكتاب والجامعات العلمية والإسلامية .

إن لهذا الكتاب قصة من حق القارىء علينا أن نسوقها إليه في إيجاز كما رواها الشيخ المفتي مقدم الكتاب تحت عنوان : كيف ألقى إلى هذا الكتاب .

لقد زار الشيخ المفتي (طينال) مسقط رأسه في لبنان ، وبينما كان في مسجدها إذ فوجيء بشيخ مهيب الطلعة هو : (حيران بن الأضعف البنجابي) من أصل مصري ، ومقيم بقرية (خرتنك) القريبة من سمرقند بالهند ، وقصد من زيارة (طينال) اللقاء مع والد المفتي حيث أوصاه شيخه بهذا اللقاء ، أما شيخه فهو (الشيخ أبو النور الموزون) من علماء سمرقند ، وكان قد تلقى العلم والفلسفة على والد المفتي ، وهذا الكتاب هو مجموعة الدروس الفلسفية التي تلقاها الشيخ حيران على الشيخ الموزون حين استبد به الشك وترك جامعة بيشاور حين لم يجد من يروي غلته في البحث عن الحقيقة .

وهذا الكتاب الذي يقع في أكثر من أربعمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير جاء في شبه قصة روائية ، ولذا سهل استيعابه ، رغم أنه دراسات فلسفية على مستوى أعلى وأرفع ، تنتصر للتوفيق بين العلم والإيمان أو بين الفلسفة والدين . والقصة يرويها الشيخ حيران على لسان الشيخ الموزون .

يتحدث الشيخ الموزون عن الباحثين عن الله من فلاسفة اليونان الأقدمين : طاليس - انكسيمنس - انكسيمندر - فيثاغورس - بارمنيدس - هرقليط - ديموقريطس ...) ومن جاء بعدهم كسقراط وتلميذه إفلاطون ، وأرسطو تلميذ إفلاطون . وهؤلاء جميعا بحثوا عن الله ، وإن اختلفت أساليبهم ، وأصاب السقم بعضا من آرائهم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتحت عنوان : (نور على نور) تحدث الشيخ عن فلاسفة المسلمين (الرازى - الفارابى - ابن سينا) ومن جاء بعدهم (ابن خلدون ، ابن طفيل - الغزالى - ابن رشد) وهؤلاء من أعظم المؤمنين بالله ومن أصدقهم برهانا على وجود الله ، وقد جمعوا إلى إيمان الوحى الصادق إيمان العقل السليم .

ويرى الشيخ الموزون أن هناك تلافيا للمباقرة على الحق بين أكثر الفلاسفة المسلمين وفلاسفة الغرب : (باكون ، ديكارت ، باسكال ، لوك ، كانت ، برجسون) أما (دارون) صاحب نظرية النشوء والارتقاء فيرى الشيخ أنه ليس بفيلسوف بل هو عالم طبيعى كبير دفع مذهب التحول دفعة جريئة إلى الأمام عندما نشر فى عام (١٨٥٩) كتابه : (أصل الأنواع) فأصبح صاحب مذهب خاص فى التحول والنشوء ، أما الفيلسوف الذى اتخذ مذهب التحول والنشوء والارتقاء أساسا لوضع فلسفة شاملة فهو (هربرت سبنسر) صاحب مذهب التطور .

ويربط الشيخ بين الشيخ الجسر والد المفتى وبين الإمام الغزالى فى أن كلاهما كان عالما متكلما واسع الاطلاع على حقائق العلوم الكونية عظيم التبحر فى الفلسفة الميتافيزيقية . وكان غرضهما معا إثبات وجود الله ، كما أن كلامنهما وضع كتابا فى الرد على الفلسفة ، فالأول (الرسالة الحميدية) والآخر (تهافت الفلاسفة).

وتحت عنوان (كلمات ربى) يستعرض الشيخ الموزون مع تلميذه الشيخ حيران آيات من القرآن كلها تنطق بالبراهين الدالة على الله ويتناولان معا هذه الآيات على ضوء ما كشفه العلم من أسرار الوجود والخلق ، ويخرجان من هذه الدراسة بأن القرآن استوعب جميع الحجج العقلية البالغة ، والبراهين الساطعة الدافعة ، التى قضى العلماء والفلاسفة أعمارهم حتى توصلوا إليها وتلاقوا عليها بهدى القرآن أو بهدى الله الذى أنار عقولهم .

والعجيب أن الشيخ الموزون يدافع بحرارة عن (المعرى) ويرى أنه كان محبا للحكمة ، وقد شك فى كل شىء إلا فى وجود الله وهو القائل :

بوحدانية العـــلام دنا
فدعنى أقطع الأيام وحدى

الواقع الذى لا خيال فيه أن مثل هذا الكتاب يجب أن يحتل مكانا لائقا به فى المكتبة الإسلامية ، وهو بحق - كما يقول الشيخ المفتى - يهدى الحيارى من الشباب المسلم المتشكك ، الذى تقف به الفلسفة المادية على عتبة الإلحاد نحو الايمان بوجود الله ، من طريق الفلسفة التى هو مولع بها ، ومن طريق العلم الذى هو مؤمن به ، ومن طريق القرآن الذى هو معرض عنه ، لكى يعلم أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دين الحق لا يتعارض ولا يتناقض أبد مع العقل السليم والعلم الصحيح .

٢ — قيم جديدة للأدب العربي :

للدكتورة بنت الشاطىء

هذا الكتاب الجديد للدكتورة بنت الشاطىء الذى نشرته دار المعرفة بالقاهرة جاء فى أربعة فصول : تناولت فى الفصل الأول (أدبنا والحياة فى العصر الجاهلى ، وقديمنا الأصيل ، وشاعر القبيلة ، والشعراء الصعاليك ، وشعراء البلاط) ، وفى الفصل الثانى (أدبنا والحياة فى ظل الإسلام ، الإسلام والشعر ، الخضرمة) . وفى الثالث (أدبنا والحياة فى ظل الحكم الفردى الوراثى) وفى الرابع والأخير (أدبنا والحياة ، من دمشق إلى بغداد ، فى معترك المذاهب وخضم الأحداث ، مجرى التيار) .

هذه دراسات واعية ناضجة ، ترى فيها الكاتبة أو تريدها : محاولة متواضعة لتحرير الدرس الأدبى من بعض قيم خاطئة ومقاييس منحرفة احتكمت فيه زمانا وسيطرت ، ولا تزال تسيطر على فهمنا لتراثنا الأدبى) .

إن الأدبية المفكرة لا ترى فى تحرير أدبنا العربى ، التخفيف من قدسية أدبنا العربى القديم ، والعمل على أن تكون لنا شخصية مستقلة تأخذ من ثمار القديم ما طاب وحسب وهى تحاول (أن تستحدث قيما جديدة للأدب العربى ، لكى تستمد لأدبنا مفهوما نابعاً من أصوله النقية ، وقيما حرة لا ينكرها أدب العربية فى جوهره الصافى وذوقه الأصيل) . ومهما أضيف إلى القديم من خلط فله أصالته .

والدكتورة بنت الشاطىء فى الفصل الثانى تدافع عن قضية الإسلام والشعر بحرارة ، فهى تدفع عن الإسلام أن يكون معادياً للشعر ، أو عاملا على إضعافه ، واستعرضت الأحاديث النبوية التى نالت من قيمة الشعر وناقشتها ، وقدمت نماذج حية من مواقف الرسول تجاه الشعر وتقديره له ، ورضائه عنه كواحد من مقومات تعبئة الأمة الإسلامية فى نضالها ضد أعدائها .

وترى الكاتبة أن آية الشعراء (والشعراء يتبعهم الغاوون ...) فهمت على غير وجهها الصحيح ، ولم يخطر ببال النقاد أن يلتفتوا إلى موقف الرسول من الشعراء ليدفعوا بها قولة من قالوا بعداء الإسلام للشعراء ، ثم إن آية الشعراء لا يجوز منهجا أن تؤخذ مستقلة عن آيات أخرى تنفى فى مجموعها الشاعرية عن محمد ...) .

إن حجج الدكتورة من القوة بحيث لا تحتاج إلى ربط بين آية الشعراء والآيات الأخرى التى تنفى الشاعرية عن محمد مع عدم وجود هذه الرابطة ، فآية الشعراء تهاجم نوعا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الشعراء لا يتقيدون بمبادىء ومثل ، دون أن تهاجم ذاتية الشعر كقيمة أدبية ، علماً بأن لبعض المفسرين - ومنهم ابن كثير - رأيا فى المقصود بالشعراء وهم الكفار ، ويعتمد على آراء على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم .

إن القيم الجديدة للأدب العربى وضحت خلال هذه الدراسات القيمة ، وكنا نود أن تلخصها الدكتورة فى مقدمتها أو فى خاتمة هذه البحوث ليسهل على القارىء استيعابها ، وإرساء قواعدها وأصولها فى ذهنه .

٣ — مع المسيح فى أناجيله الأربعة :

للأستاذ فتحى عثمان

هذا كتاب جديد للمؤلف نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، والأستاذ فتحى من كتاب مجلة الأزهر وليس غريبا على قرائها .

فى مقدمة الكتاب جال بنا المؤلف جولة مركزة فى إطار التاريخ ، عرض علينا البيئة التى استقبلت رسالة المسيح ، بيئة اشتركت فى تحديد مفاهيمها وأوضاعها الرومان الحكام ، وطوائف اليهود التى سيطرت سيطرة تامة على الفكر اليهودى كالصدوقيين والفريسيين والسامرية .

ويستعرض الكاتب فى فصول واسعة أبرز المبادىء التى استوعبتها الأناجيل الأربعة للمسيح عليه السلام ، وهى المبادىء الإنسانية التى قدمها المسيح إلى عالم مزدحم بالرذيلة ، منغمس إلى آذانه فى المادية المتحجرة :

(مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .. بل بكل كلمة من الله) ، (إنى أريد رحمة لا ذبيحة ، لأنى لم آت لأدعو أبرارا .. بل خطاة إلى التوبة) ، (من لا يحب لم يعرف الله ، لأن الله محبة) .

الحق أن الأستاذ فتحى عودنا أن يكون دارسا واعيا ناضج الفكر ، يعتمد على المقارنة بين الفكر الإسلامى وغيره ، إلا أننا نختلف معه فى قضية أثارها إثارة عابرة دون أن يعطيها حقها من الدراسة والبحث ، كما أنه أراد عدم التورط فى بعض القضايا العقيدية الأخرى التى نقف نحن والمسيحية إزاءها على طرفى نقيض ، كالصلب وألوهية المسيح أو بنوته لله ، أو جمعه الأقانيم الثلاثة (الأب والابن والروح القدس) .

أما القضية التى أعنيها فهى قضية رفع المسيح حيا ومجيئه آخر الزمان هاديا البشرية إلى الله :

وقد اعتمد المؤلف أحاديث أوردها ابن كثير فى تفسيره واعتبرها متواترة ، ونحن نرى أنه لا حديث متواتر فى هذه المسألة العقيدية التى لابد لها من خبر قطعى الدلالة والورود

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كما ذكر الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت في كتابه الفتاوى . ورأى ذلك قبله الإمامان محمد عبده والمراغي ، وأمامنا آية قرآنية ناطقة : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد . .)

ومع هذا ـ فالكتاب دراسة لها قيمتها ، والمؤلف بذل مجهودا ضخما ، ووهب لهذه الدراسة قسطا وافرا من التقدير . .

٤ — النور أولى :

الأستاذ زين العابدين لركابي

المؤلف أديب سوداني تضمن كتابه فصولا أربعة :

العالم في الميزان ، استعرض هذا العالم المضطرب الذي تسيطر عليه الأهواء والشهوات ، وينحدر من أسفل إلى أسفل ، وليس بين أرجائه مكان للبادئ والمثل العليا .

مرحلة لابد منها ، عرض المؤلف فيه لبناء الفرد باعتباره لبنة في بناء المجتمع ، ولبناء المجتمع باعتباره أساسا في بناء الأمة ، ثم لبناء الأمة باعتبارها دعامة من دعائم العالم الكبير ، وحاول المؤلف في هذا الباب أن يسترد الفرد للإسلام ، باعتباره مرجعا مهما لقيادة البشرية إلى مجال الخير والحق والعدل .

ثم الإناء ينضح بما فيه ، وقد خصص المؤلف بهذا الباب ، النفس البشرية باعتبارها مصدرا للخير والشر ، وإصلاحها أساس مهم في تكوين الفرد والمجتمع والدولة .

والنور يعني به المؤلف (الإسلام) وفي مبادئه ومثله وقيمه الروحية ما يصلح لهداية البشرية قاطبة ، حتى تسلك الطريق السوي وتصل إلى شاطئ النجاة .

وكل ما نأخذه على المؤلف أنه قد استعمل الأسلوب الخطابي الممتزج بالحماسة والغيرة ، على المفاهيم التي تعارض المفاهيم الإسلامية ، وكنا نود أن يستبدل المناقشة الهادئة الممتزجة بالمنطق والحجة في هجومه على بعض هذه المفاهيم ، مع أنه كان يملك بعض هذه الحجج حتى في هجومه نفسه .

وإذا علمنا أن الكاتب قدم لنا باكورة إنتاجه ، كان لكتابه تقديرنا حيث إن مستقبل المؤلف يبشر بالخير .

٥ — الفلسفة الاشتراكية الديمقراطية :

للأستاذ احمد عز الدين عبد الله المؤلف مدرس الآداب بكلية الشريعة بالأزهر ، وسبق أن قدم للمكتبة الإسلامية أبحاثا عن سيرة الرسول صلوات الله عليه .

وهذا الكتاب الذي نشرته الدار القومية للنشر بالقاهرة ، أراده المؤلف أن يكون دراسة للفلسفة الاشتراكية الديمقراطية التعاونية من ناحية القومية العربية والمجتمع العربي ونظام الحكم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والكتاب فصول سبعة تناول فيها : المفهوم الثورى للقومية العربية ، اقتصاديات العرب ، جناية الاستغلال . تحرر العرب : بناء مجتمع تسوده العدالة ، الفلسفة الخلقية ، الفلسفة السياسية . يرى المؤلف أن القومية روابط مادية ومعنوية ، زمانية ومكانية ، وإذا لم تتبلور هذه الروابط فى الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والروحية ، كانت القومية فى دور التكوين لا تزال تمر بأزمة البحث عن نظام كامل تبرز وتتجسد فيه.

وفى الفلسفة السياسية يتحدث المؤلف عن تحقيق السيادة التامة للدولة وأن الاستقلال فى ظل السيطرة الامبريالية معناه العبودية ، وأن تحقيق هذه السيادة يتطلب تأكيد سيادة الشعب ، تحرير الحكم من سيطرة رأس المال ، تحقيق الحرية والاخاء والمساواة .

ويتحدث المؤلف عن فلسفة الاتحاد القومى وأنه خير صورة لتطبيق الاشتراكية تطبيقا ديمقراطية تعاونيا . وعن دورنا القيادى الأفريقى ، وعن فلسفة الحياد الإيجابى والتعايش السلمى ...

المؤلف ناقش كثيرا من قضايا القومية العربية ودورها الإيجابى فى إيجاد كيان مستقل للعرب.

محمد عبد الله السمان

(بقية المنشور على صفحة ١١٣٦)

وعلى أن حرية القول وحرية الرأى مكفولتان للجميع تماما .

وأود أن اذكر أن مشروع التبادل الثقافى بين أمريكا ومختلف دول العالم لم يكن فى الواقع منصرفا بالكلية إلى الوجهة العلمية والفنية البحتة إذ أن أمريكا تكاد تفوق معظم دول العالم فى هذه الميادين العلمية والفنية جميعا . وإنما الباعث الأول على معظم ذلك المشروع الإنسانى الكبير هو فى الواقع إتاحة الفرصة بوقوف كل فريق من الأساتذة الزائرين على حقيقة نظم الحياة فى كل بلد ووقوف كل منهم على ثقافة الآخر وإيجاد نوع من حسن التفاهم بين الجميع يبنى على تفهم كل منهم لأهداف الآخر فى الحياة .

وهنا بالذات تأتى المهمة الأولى للأساتذة الزائرين من العالم الإسلامى وتعريف الأمريكيين حقيقة التعاليم الإسلامية وثقافة الإسلام ، فالثقافة الإسلامية هى منبع الثقافة الأول فى جميع دول العالم الإسلامى مهما تباعدت أطرافه .

وفى اعتقادنا أنه كلما فهم كل فريق معتقدات الآخر على الوجه الصحيح كلما زاد التفاهم بين الناس وازدادت بينهم أواصر المودة وقويت الرابطة بيننا جميعا كمواطنين فى هذا العالم وتوطدت تبعا لذلك أركان السلام فيه.

الدكتور محمود الشوارى
الأستاذ بجامعة القاهرة

بريد المجلة

عروبة مصر :

حين قام بعض المأجورين فى إذاعة دمشق بالحديث المسف عن قومية مصر العربية ، انبرت الصحف الكثيرة فى مختلف البلاد العربية ترد ذلك البطلان الصارخ ، وتشيد بجهود مصر فى دنيا العروبة والإسلام ، والطريف الحميد أنها جميعها قد ذكرت الدور الهام الذى قامت به مجلة الرسالة فى تثبيت الوحدة العربية ، وإرساء دعائمها على أسس مكينة من اللغة والدم والدين ، ونذكر هنا بعض ما ذكره الكاتب الكويتى الأستاذ فاضل خلف بجريدة الرأى العام الكويتية ؛ فى ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٨١ هـ - ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦١ م كنموذج لما قيل ، قال الأستاذ من حديث طويل :

« لن أتطرق إلى الحديث عن الانقلاب الذى حدث فى سوريا لأن ذلك ليس مكانه هنا ، ولأن الحديث عنه قد ملأ الدنيا وشغل الناس ، ولكننى سأتكلم عن ناحية حساسة فى هذا الموضوع ، فقد استمعت بكل أسى وأسف إلى من يقول فى إحدى الإذاعات إن المصريين لم يعرفوا القومية العربية فى تاريخهم الطويل .

ويح هؤلاء وويح ما يتقولون .

مصر لا تعرف القومية العربية ؟ وهل ولدت القومية إلا فى مصر ؟ إن كان هؤلاء يقصدون بالقومية قومية الذين هللوا الوحدة ثم عادوا فهللوا لتمزق الوحدة ، فليست مصر كذلك ولا هى منالك .

مصر لا تعرف القومية ؟ وهل ولدت القومية إلا فى مصر؟ إننى لن أستشهد بالتاريخ لأبرهن على أن مصر كانت دائما وأبدا فى خدمة العرب والإسلام ، ولو شئت لأوردت أمثلة عديدة على مواقف المصريين الخالدة فى تاريخهم العربى القديم الزاهر ، ولكن ليس فى نيتى التحدث عن التاريخ فى هذه الكلمة القصيرة ، ولكننى سأتحدث عن مصر فى هذا العصر ، مصر التى خدمت العرب ، وأخلصت لهم كأحسن ما يكون الإخلاص ، وكانت لأخواتها الدول العربية أستاذة ومرشدة فى كل مدلهم من الخطوب .

مصر لا تعرف القومية العربية ؟ وهل عرفنا القومية إلا من مصر ، ومن صحف مصر ، ومن أبرزها وأحسنها وأعظمها شأنا مجلة الرسالة . تلك المدرسة السامية التى وضعت جميع طاقاتها الجبارة فى خدمة العرب والإسلام.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لقد أخذنا — إذن — القومية العربية على جهابذة الأدب فى مصر كأحمد حسن الزيات وعبد الوهاب عزام وزكى مبارك ومصطفى صادق الرافعى وعباس محمود العقاد وطه حسين ومحمود محمد شاكر وسيد قطب وعبد المنعم خلاف ومحمد عبد الغنى حسن ومحمود حسن اسماعيل وتوفيق الحكيم ومحمد مندور ومحمود غنيم وفخرى أبو السعود ومحمود الخفيف ومحمد سعيد العريان ومحمد أحمد الغمراوى وابراهيم عبد القادر المازنى وأحمد أمين وعلى محمود طه المهندس ومحمد فريد وجدى ومحمود تيمور وغيرهم وغيرهم من الذين اتخذوا صفحات الرسالة ميدانا فسيح الجنبات لخدمة العرب وتاريخهم وتراثهم الخالد . لقد ظل هؤلاء الأساتذة يؤلفون الأوتار الخالدة فى قيثارة الأدب العربى المعاصر حقبة من الدهر ، وما زال أكثرهم يواصل الجهاد فى إعلاء روح القومية العربية بما لا يستطيعه الآخرون فى أصقاع أخرى من العالم العربى .

إننى هنا أتكلم عن المصريين العاملين المخلصين الذين خدموا العرب عن طريق الأدب ولغيرى — إن شاء — أن يتكلم عن الأسماء المصرية اللامعة التى خدمت العرب عن طريق السياسة والاقتصاد والقانون والتاريخ والجغرافيا والعلوم الرياضية والطبيعية والسينما والمسرح والفلسفة وعلم النفس والفنون الجميلة والترجمة .

لقد أخذنا نحن شباب هذا الجيل ما أخذناه من ثقافة على أيدى عرب مصر وكذلك أخذ آباؤنا من قبلنا الثقافة والمعرفة من الصحف المصرية وعلى أيدى أدباء مصر البارزين .

لقد ظلت مجلة الرسالة مدى عشرين سنة وهى تخدم العالم العربى من جبل عرفات إلى بحر الظلمات وتخدم الفكر العربى وتخدم اللغة العربية ويتألق من كل هذا « القومية العربية » الصحيحة التى يدعى أناس أن مصر لم تعرفها فى تاريخها الطويل .

لقد كان لى شرف الثناء على مصر وإطراء محامدها فى كثير من كتاباتى ومنها هذه الفقرة التى كتبتها منذ عشر سنوات تقريبا فى مجلة البعثة . ثم أثبتها فى كتابى « الأدب والحياة » .

« مصر العظيمة التى أصبحت كعبة طلاب العلم والأدب مصر الخالدة التى يأنس الأديب فى جنباتها ويأمن من غلواء الزمن . مصر التى فهمت معنى الثقافة فأخذت تنشر درها ولآلئها فى أرجاء البلاد العربية ، وما تلك الدرارى واللآلىء إلا كتب أبنائها البررة التى أثارت السبل أمام الشباب فأضاءت لهم ما حولهم فمشوا بثبات وإقدام . الخ ص ٩٨ .

فسلام على مصر فى عروبتها وإسلامها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وسلام على مصر فى علومها وآدابها ومعارفها .

وسلام على مصر فى أزهرها ودار علومها وجامعاتها ومتاحفها .

وسلام على مصر يوم خدمت الفكر العربى وتبنت القومية العربية .

وسلام على مصر يوم استهدفت لغزو بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى معركة بور سعيد الخالدة .

وسلام على مصر يوم وافقت على الوحدة .

وسلام على مصر فى محنتها الجديدة » .

هذا هو صوت محايد ، يتكلم عن الحق الصارخ . فيا ليت قومى هناك يعلمون من نكون !!

محمد رجب البيومى

قل لهم . . فى رأس مجاهد :

منذ أيام قصدت أن أؤدى واجب العزاء فى فقيد من مجاهدى فلسطين هو المرحوم الشيخ أحمد بيومى التميمى عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين .

هذا المجاهد من القلائل الذين يعملون فى صمت دون الإعلان عن أنفسهم كنت ألتقى به كثيراً - وهو لاجئ سياسى بالقاهرة - فأوقن بأن قضية فلسطين تحتل كل إحساساته ومشاعره ، وتمتزج بنبضات قلبه .

اعتقلته حكومة الانتداب البريطانى وأودعته معتقل صارفند قبيل عام ٩٣٦ ثم نفى بعد الإفراج عنه إلى القاهرة حيث عاد عام ٩٤٠ إلى فلسطين ليوالى جهاده ، ولم يعد من فلسطين إلا عام ٩٤٩ بعد أن وقعت الكارثة .

وخلال المعركة كان لمساهمته دورها فى القضاء على مستعمرة كفار عصيون فى الخليل وهى من أقوى المستعمرات اليهودية فى فلسطين ، كما كان لمساهمته أيضا دورها فى الدفاع عن القدس قبيل دخول الجيوش العربية ، وفى منطقة الخليل أمد الجيش المصرى وقتئذ بالمؤن والسلاح . وكان السيد عبد المحسن أبو النور وزير الإصلاح الزراعى اليوم هو حاكم مدينة الخليل العسكرى .

ومن مواقفه المشهورة خلال المعركة ، أن العقيد قاوم دخول جيش الأردن إلى منطقة الخليل ، إلى درجة أنه كسر بيديه سارية العلم الأردنى ، ولم تستطع مساومة مدير المخابرات الأردنية أن تحول عقيدته ، ولا أن تجعله يسير فى الركب .

هذه مجرد خطرات سريعة عن مسلم مجاهد ، أفنى شبابه وثروته الطائلة ، ولحق بربه وقلبه معلق بقضية وطنه ، والوطن جزء لا يتجزأ من الإيمان .

أما ما حدث ليلة المأتم فهو يصلح لأن يضاف إلى عجائب الدنيا . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كان ضمن الوافدين إلى السرادق لتأدية واجب العزاء في المجاهد الفقيد ، المقرئ المشهور الشيخ محمد صديق المنشاوي ، وكان من الطبيعي أن يدعى ليتلو جانبا من القرآن ، ولم يكد يبدأ التلاوة حتى أهل على السرادق شيخ يتهالى في عباءته ، ويهتز رأسه داخل عمامته التي لم يفته أن يرخي ذؤابتها ، ويتبختر بعصاه في مشيته وكأنه ظن أنها عصا موسى ، ولم يتجه إلى أقرب المقاعد الشاغرة ليجلس - كما هو المفروض - وإنما اتجه إلى الشيخ صديق المنشاوي ليقول له بصوت جهوري وفي أنفة وكبرياء : « أوجز . فأنا أريد أن أعظ ، ولم نملك نحن إلا أن نفتح أفواهنا لتلتهمنا الدهشة ، وإن كان الشيخ المنشاوي قد واصل تلاوته وكأن لم يسمع شيئا ، وتجلى الله عليه فهزت تلاوته قلوبنا .

وعز على الشيخ أن لا يستجيب المقرئ ، فكان ينهز فرصة استحسان الجلوس لتلاوته خلال المواقف القرآنية بأصوات تتفق مع هيبة المناسبة ، فيتصايح ملوحا بلحيته وعصاه معا ، مهددا ومتوعدا ، ومنددا بهذا المسلك ، ومحدثا شغبا وصخبا . .

وحين تخلى الشيخ المنشاوي عن كرسيه عقب انتهاء القراء ، قفز الشيخ على الكرسي ، وظل يعظ حتى مل الناس .

ولم يكن الوعظ بالطبع مما يناسب المقام ، ويليق بهيبة ووقار المناسبة ، بل كان حشوا وخلطا ، في الألفاظ والمعاني على السواء ، وعلى كل فقد استطاع أن ينتقم من الناس في وعظه . . وهان عليه كل شيء ، فلم يكن واعظا رسميا يقدر للأمور قدرها .

بقي شيء يجب أن نقوله :

إن كثيرا من معاني القرآن توضع في غير موضعها ، فهذا الواعظ المحترف كان يلوح بقوله تعالى : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ... » مع أن معظم المفسرين يكادون يجمعون على أن المقصود بفرض الاستماع والإنصات هو الصلاة ، وابن مسعود كان يقرأ والرسول يقول له «أحسنت» كما جاء في حديث مسلم ، وهذا مجاهد يقول : لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم وقد رؤي عبيد بن عمير وعطاء بن رباح يتحدثان والقاضي يقص ، فقيل لهما : ألا تستمعان إلى الذكر ، فقالا : إنما ذلك في الصلاة ثم تليا قوله تعالى : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » . .

ونحن نرجو أن يستمع المستمع بقلب خاشع وأذن صاغية ، حتى يمكنه أن يتدبر آيات الله ، ولكننا لا نرجو أن يثير استحسان المستمعين لكتاب الله خلال المواقف في أدب ووقار ، لا نرجو أن يثير هذا أحدا يشهر عصاه ليندد بالمستمعين ويحدث من الشغب والصخب ، ما ليس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بحاجة إليه ، مجلس يجب أن ترفرف عليه هيبة المناسبة .

محمد عبد الله السمان

البسملة في قراءة القرآن :

قرأنا في مجلة الأزهر — عدد شعبان — بحثا علميا لفضيلة الشيخ محمد محمد الشرقاوي الأستاذ بمعهد الاسكندرية حول التسمية لقارئ القرآن .

وهو بحث لا بأس به ، إذ فيه عناية تشكر لفضيلته .

غير أنني رأيتني بحاجة إلى التفاهم مع الأستاذ فيما تعرض له من إنكار التسمية عند القراءة إذ قرر — أولا — ، أن المطلوب في بداية التلاوة لون واحد هو الاستعاذة فقط ، ... واستند في ذلك إلى أمور .

منها — أن الله تعالى أمر بالاستعاذة وحدها في قوله سبحانه « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ومنها — أن زيادة البسملة بعد الاستعاذة تعتبر زيادة على النص ، والزيادة نسخ ، والنسخ لا يكون إلا بنص متواتر أو مشهور وهذه قاعدة مذهبية لا إجماعية .

ومنها — أن جمهور القائلين بالتسمية ليس لهم دليل سوى حديث غير متواتر ، ولا مشهور ، حتى يمكن النسخ به لنص الاستعاذة « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع » .

ثم استطرد الأستاذ في مناقشة الحديث السالف : روايته ، ومتنا .

ثم ينتهي فضيلته عند رأيه بعدم التسمية في القراءة : إذ يقول مثل ما بدأ ، فبعد كل هذا القيل والقال ، والرفع والإرسال لا نجد الحديث أهلا لأن يزاد به على نص قرآني .. وبالتالي لا يصلح لنسخ المتواتر إلخ » .

والذي أقوله راجيا أن يصادف قبولا : هو — أولا — .

إننا في غير حاجة إلى مناقشة الحديث إيجابا ، ولا سلبا . ولا سندا ، ولا متنا .

فإن التسمية في أول القراءة ثابتة بالقرآن نفسه بل في أول آية نزلت منه « اقرأ باسم ربك الذي خلق » .

فهذا أمر تكليفي بالتسمية عند القراءة ، وهو تشريع جرى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه — طبعا — فإذا جاء حديث بعد ذلك في هذا الصدد فهو غير بعيد عن مدلول الآية ، ومهما يكن فيه من توهين فهو معقول المعنى ، والتسليم به غير افتيات على الآية إطلاقا .

وذكر البسملة في أوائل السور بالمصحف أمر توقيفي ، يؤذن ، بل يقتضي التأسي ، وهذا هو المأثور سلفا وخلفا عن علماء المسلمين .

وثبوت التسمية بالآية « اقرأ باسم ربك » ليس رأينا من جديد ، بل هو ما قال به أئمة في التفسير كالقرطبي ، والآلوسي وسواهما .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وثانيا مما أقوله — إن الاستعاذة شرعت بعد مشروعية التسمية — بداهة . فتكون التسمية والاستعاذة مشروعتين بنص القرآن، والعمل بالآيتين يتحقق بالاستعاذة ثم بالتسمية ، ويكون عملا بكل دليل فى موضعه دون تعارض ولا نحوه .

وخلاصة ما أقوله واضحا : أن التشريع القرآنى يقضى بالاستعاذة والتسمية باسم الله، على نحو ما تحقق بالبسملة التى صارت آية من الكتاب وفاتحة للقراءة وما بعد ذلك من تعدد وجهات النظر بين الأقطار لا ينسينا أن سياق القرآن فوق كل اعتبار .

وعلى ذلك البيان الاجمالى يكون التقليد المعمول به فى مصر أو فى بعض بلاد الشارع وبمدلول الآيات .

وعسى أن يكون فى هذا كفاية والله يوفق الجميع .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

(المجلة)

جاءنا بحث فى هذا الموضوع من الأستاذ الحسينى عبد المجيد هاشم ، وسننشره فى العدد القادم .

تقرير الدين مادة أساسية فى الجامعة :

قرار كريم صدر من نفس كريمة صافية ذلك القرار الذى أصدره السيد الوزير حسين الشافعى بتقرير الدين مادة أساسية فى الجامعات المصرية وإنها لفكرة حميدة طالما ناقشت النفوس الطيبة والعقول الرشيدة إلى تحقيقها ولقد غمرت القلوب بموجات وموجات من السرور حينما زفت هذه البشارة على صفحات جريدة الجمهورية وإنى أشعر بأن الدنيا كلها تبارك هذا القرار وتهنىء الجامعة بهذا الخير العظيم .

فالدين فى ماضيه وحاضره وسيظل كما أراده الله الأمل الحقيقى لبناء الأمة القوية السليمة من الأمراض الاجتماعية وغيرها وهو الدعامة الثابتة المتينة التى تهزأ بالأعاصير والعواصف الهوجاء وتسخر من محاول الأعداء وترد كيدهم فى نحورهم وتبقى عالية لأنها مؤسسة على أقوى المبادىء وأسماها .

والجامعة بشبابها الغض النضر وأساتذتها الكرام البررة منبع العلم ولكن العلم كالماء يتدفق وينساب رقراقا يهب الحياة للانسانية ولا بد من حاجة المياه الصافية وأمواجها المتلاطمة لرقابة واعية تتمثل فى إحكام الجداول وتنظيم السدود وحفظ المياه النافعة حتى تعود عليها بأزكى الثمرات وأطيب النتائج وإذا لم تكن الرقابة سارت المياه فى غير سبيلها فتغرق العالم وتهدم البناء وتقتل النبات وتقتلع جذوره .

كذلك العلم نفع وأى نفع إذا حصن بالحصن القوى الدين حبل الله المتين كان طريقا للنجاح والفلاح وإلا كان شرا مستطيرا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والعلم إن لم تكتنفه شمائل
تعلوه كان نهاية الإخفاق

الدين يدعو للعلم بملكوت السموات والأرض وتسخير قوى الكون التي خلقها الله نعما للإنسان وتفضيلا وتكريما ولكنه يشترط أن يكون ذلك لسعادة الإنسانية ورفاهيتها ولو كانت الأسلحة العلمية النووية والذرية تحت لواء الدين لأمن العالم فزع الحروب الباردة وغير الباردة، وسعد بالاستقرار والطمأنينة وأسباب السلام غير مشوب بأكدار.

والدين يملأ نفسك طمأنينة وثقة وهو دواء من العقد والانحرافات والقلق النفسي وحيرة المصير كفاء هاديا أنه ينظم علاقتك بالخالق فتشعر بالاستقرار وبالعالم فتسعد بالمحبة وتبادل المنافع الصادقة بينك وبين المجتمع.

وعندما تتفتح زهرات الدين المشرقة في الجامعات وتنفح للطلاب عرفها الرباني سيرون المعاني الحية السهلة التي كانت تحير الافهام. عندئذ تمتلىء الصدور طمأنينة وثقة فلا تضعف ولا تفتر بمبادىء مزيفة من الشرق أو الغرب لا مركسية ولا سرتريه لاشيوعية ولا وجودية وسنلمس أن الدين بنصوصه القرآنية، وأضوائه العليا ومبادئه القويمة، أذاب كل هذه الأفكار الخبيثة وعمر القلوب بالحقائق الثابتة.

إن الدين في عيادة الطبيب أمن للمرضى. وفي ميدان الجهاد والكفاح قوة للمجاهدين وفي مكتب المحامي وقاعة القاضي نور لهما ونصير للحقيقة. فما أحوج الدنيا كلها إلى ثمرات الدين الطيبة وظلاله الوارفة وما أحوج الجامعات إلى ينابيع الدين الصافية وما أجملها من فكرة رشيدة ونهضة فائقة، فسر أيها الوزير في قرارك والله معك وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيرا.

الحسيني هاشم

مجلس البحوث الطبية والشرعية بأندونيسيا

ألف هذا المجلس عام ١٩٥٤، وهو يضم عدداً كبيراً من العلماء والأطباء، وكان الغرض من إنشائه إجراء بحوث علمية في كل المسائل الطبية من حيث علاقتها بأحكام الشريعة الإسلامية ثم إصدار فتاوى بشأنها ليجرى العمل على مقتضاها في جميع المصالح الصحية والطبية بكافة أنحاء أندونيسيا، وقد زود هذا المجلس بمكتبة ضخمة تحوى أكثر من ٦٥٠٠ كتاب في مختلف العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وأصول، وفي مختلف العلوم الطبية والصحية وما إليها مما يساعد المجلس على أداء مهمته والنهوض بالغرض الذي أنشىء له، وقد تفضل الأستاذ الأكبر فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت فأهدى المجلس عند زيارته لأندونيسيا هدية قيمة تلقاها المجلس بالشكر.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق الأستاذ عبد الرحيم فوده

لفظ الإسلام ومعناه . .

إذا تتبعنا مادة « س ل م » ونشوء كلمة الإسلام رأينا أن معنى السلام المسالمة ، وضد المسالمة الحرب والخصام ، جاء فى القرآن : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ، ولعل هذه الآية هى المفتاح الذى نصل به إلى معرفة السبب فى تسميه العهد الذى قبل محمد صلى الله عليه وسلم جاهلية ، وعهده إسلاما ، والجاهلية ليست من الجهل الذى هو ضد العلم ، ولكن من الجهل الذى هو السفه والغضب والأنفة ، جاء فى حديث الإفك « ولكن اجتهلته الحمية » أى حملته الأنفة والغضب على الجهل ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر — وقد عير رجلا بأمه — : « إنك امرؤ فيك جاهلية » أى فيك روح الجاهلية ، وقريب من هذا المعنى استعمالهم استجهله الشىء أى استخفه ، ومنه قوله :

وقاك الهوى واستجهلتك المنازل

وفى معلقة ابن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فنرى من هذا كله أن كلمة الجاهلية تدل على الخفة والأنفة والحمية والمفاخرة ، وهى أمور أوضح ما تكون فى حياة العرب قبل الإسلام فسمى العصر الجاهلية ، ويقابل هذه المعانى هدوء النفس والتواضع والاعتداد بالعمل الصالح لا بالنسب وهى كلها نزعة سلام فمعنى الآية كما فى الطبرى : « أن عباد الله هم الذين يمشون على الأرض بالحلم ، لا يجهلون على من جهل عليهم » .

ثم انتقلت الكلمة إلى معنى آخر قريب من هذا ، وهو استعمال أسلم المشتق من السلام بمعنى الخضوع والانقياد ، لما كان الخضوع ادعى إلى السلام . وفى هذا المعنى جاءت الآية : « وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له » ، « فقل أسلمت وجهى لله » ، وقد أطلقها القرآن بهذا المعنى أحيانا على المؤمنين والكافرين جميعا لأنهم خاضعون لله ، ومنقادون إليه بحكم خلقتهم ، رضوا أو كرهوا ، تسرى عليهم قوانين العالم ، ولا يستطيعون الخروج عليها « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكرها وإليه يرجعون » فكل من فى السموات والأرض مسلم بهذا المعنى ، أى خاضع لأمر الله ، مطيع لما وضع فى العالم من قوانين .

ثم قصرت فى الاستعمال على من أسلم وجهه لله طوعا ، فكأنما المسلم هو الذى رضى باطاعة الله ، فاجتمعت له الطاعة الطبيعية والطاعة بالإرادة ، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وبهذا المعنى تطلق كلمة « المسلم » على كل من خضع لله وأطاع أى نبى من الأنبياء ، فأتباع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد مسلمون « قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم ، إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتونى مسلمين » ، « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، وفى سورة يوسف : « توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » ، « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون » .

ثم خصصت فى الاستعمال بالدين الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » ، « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » .

فهذا الإسلام عماده الخضوع لله والانقياد له ولعل هذا الاسم أنسب اسم للرد على العقلية الجاهلية عقلية الأنفة والحمية .

من كتاب فجر الإسلام للأستاذ
« أحمد أمين » .

تعليق :

لاحظت أن المؤلف الفاضل لم يذكر الآية كاملة وهى « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » ، وليس فيها بتمامها ما يشعر من قريب أو بعيد بإطلاق كلمة الإسلام على الكافرين كما قال رحمه الله وغفر له ، وإنما يفهم منها أن التمرد على دين الله نشاز فى النظام العام لا يخرج به المتمرد عن قدرة الله وحكمه لأن مآله إليه ولأن الله قادر عليه ، إن يشأ يذهبه أذهبه ، وأن يشأ يعذبه عذبه ، وأن يشأ يمهله أمهله ثم يحاسبه ويعاقبه يوم يرجع إليه بعد الموت « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » .

ولو ذكر رحمه الله ما سبق هذه الآية ولحقها ما اتجه هذا الاتجاه .

وليقرأ القراء السياق واللحاق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ، وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذالكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

ويلاحظ كذلك أن إطلاق اسم الإسلام لم يكن الرد على العقلية الجاهلية فى العرب وحسب كما ذهب إليه المؤلف وإنما كان ولا يزال الرد على كل جاهلية من أى لون وجنس.

الكوكب المعذب :

وهب الله سبحانه وتعالى كوكبا جميلا رشيقا تتوافر فيه أسباب النعيم والرفاهية لآلاف « الملايين » من الكائنات المختلفة المتنوعة ، منها ما يزحف ، ومنها ما يطير ، ومنها ما يمشى على رجلين أو أربع أرجل ...

وكان مؤملا جميعا خليقين أن يصيبوا فى هذا الكوكب العظيم حياة هانئة ناعمة لو أنهم جنحوا إلى شرعة الانصاف ، واصطنعوا الحب والمودة فى مختلف شئونهم وعلاقاتهم ولكنهم أبو ألا أن يملئوه ظلما وبغيا وعدوانا ، فأشاعوا فيه الشقاء والعذاب ويوشك أن يشيع فيه الخراب والدمار .

ومن سخرية الزمن أن يكون مصدر هذه الويلات ذلك الكائن الذى يمشى على رجلين وقد كرمه الله ووهب له نعمة العقل والتفكير والقدرة على الابتكار والاختراع ، فإذا هو يسخر هذه القوى لارتكاب الشرور والآثام ، وابتكار الوسائل الجهنمية التى تمكنه من إزهاق أرواح الآلاف المؤلفة من بنى جنسه فى لحظات معدودات ، ومن أعجب العجب أن تزداد هذه القدرة الهائلة على القتل وسفك الدماء وعلى التخريب والتدمير بازدياد ما يسمى العلم والمعرفة ، وبالتقدم فيما يسمى الحضارة والمدنية ، فحروب « المتوحشين » لا تخلو من خفة الظل ، وقتالهم يصحبه شىء كثير من الطبل والزمر والموسيقى والفنون الجميلة . وضحاياها يعدون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالعشرات أو المئات ، أما الأمم « المتمدينة » فإن محبي السلم في العالم يرتعدون فرقا مما تعده وما تهيئه لحرب ثالثة ، ولما يحل بالعالم من النكبات لو اشتعلت تلك الحرب .

ومع ذلك فإن محبي السلم لا يرون في العالم كله مشكلة جدية يتطلب حلها الاحتكام إلى القوة ، ويؤكدون أن الدول الكبيرة لو أنفقت من الجهد والمال في سبيل السلم عشر معشار ما تنفقه في سبيل الاستعداد للحرب لأمكنها أن تنشر بين الشعوب روح المحبة والوئام بدل العداوة والخصام .

الدكتور محمد عوض محمد

من « المجلة » العدد الخامس

تفسير ذلك :

« ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى . بل لله الأمر جميعا . أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ، ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد » .

قرآن كريم

عظة صائم :

لم أجد فيما قرأت حديثاً لصائم أروع ولا أمتع ولا أقوى من هذا الحديث .

فقد ورد في كتب الأدب أن الحجاج كان في طريقه إلى الحج فنزل عند ماء . ودعا بغداء . ثم قال لحاجبه انظر من يتغدى معي ، ونظر الحاجب فإذا أعرابي نائم بين شملتين من شعر فضربه برجله وقال له أنت الأمير ، فلما أتى دار بينه وبين الحجاج هذا الحوار :

الحجاج : اغسل يديك وتغد معي .

الإعرابي : دعاني من هو خير منك .

الحجاج : « في دهشة » من الذي دعاك ..؟

الأعرابي : دعاني الله للصوم فصمت . .

الحجاج : في هذا اليوم الحار ..؟

الأعرابي : نعم : صمت ليوم أحر منه .

الحجاج : فأفطر اليوم ، وتصوم غدا .

الأعرابي : هل ضمنت لي الحياة إلى غد ..؟

الحجاج : ليس ذلك إلي .

الأعرابي : وكيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه . . ؟

الحجاج : إنه طعام طيب .

الأعرابي : إنك لم تطيبه ولا الخباز . . ولكن طيبته العافية .

فهل يصنع الصوم بنفوسنا ما صنع بنفس هذا الأعرابي . حتى وقف وهو الفقير الذي لا يملك غير شملتين من شعر يفترش إحداهما ويتغطى بالأخرى يصاول الحجاج بهذا الحجاج المفحم ، ولا يرى فيه وهو الجبار الطاغية إلا مخلوقا هزيلا لا يضمن له البقاء إلى غد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهل نجد من كلام الفلاسفة والعلماء ما نجد فى هذا الحديث القصير من ذلك الأعرابى الفقير . . ؟

من جريدة الأخبار (ع . ف)

صهر المغفرة

(التوبة . والإيمان . والعمل الصالح . والاهتداء) .

« وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى »

الله غفـــار ولـ كن بعد تلك الأربعة
فمن استظل بغيرها ظلت خطيئته معه

من كتاب مع الدين للأستاذ (محمد السيد شحاته)
شاعر البرارى

عيب الجمال . .

عيب الجمال بلاه بعد جدته
يا ليت عشاقه قبل الهوى عقلوا

من الرسالة (أحمد الزين)

إسفاف

وقد أسف بعض الناس فزعم أن جبريل كان ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بمعانى القرآن والرسول يعبر عنها بلغة العرب ، وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل وأن الله كان يوحى إليه المعنى فقط وكلاهما قول باطل أثيم ، مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع ، ولا يساوى قيمة المداد الذى يكتب به ، وعقيدتى أنه مدسوس على المسلمين فى كتبهم ، وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ معجزاً واللفظ لمحمد أو لجبريل . . ؟ ثم كيف يصح نسبته إلى الله واللفظ ليس له ، مع أن الله يقول « حتى يسمع كلام الله » إلى غير ذلك مما يطول بنا تفصيله .

والحق أنه ليس لجبريل فى هذا القرآن سوى حكايته للرسول وإبلاغه إليه ، وليس للرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا القرآن سوى وعيه وحفظه ، ثم حكايته وتبليغه ، ثم بيانه وتفسيره ، ثم تطبيقه وتنفيذه ، نقرأ فى القرآن نفسه أنه ليس من إنشاء جبريل ولا محمد نحو « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » ونحو « وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى » ونحو « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » ونحو « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » .

من كتاب مناهل العرفان فى علوم القرآن

لفضيلة الشيخ المرحوم

« محمد عبد العظيم الزرقانى »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء الأزهر

مسابقة لتأليف كتب للمعاهد الازهرية

تعلن الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية عن حاجتها إلى مؤلفات مبتكرة فى الموضوعات الآتية وتدعو المدرسين فى المعاهد الأزهرية وغيرهم من أهل الكفاية إلى مسابقة عامة للتأليف فى هذه الموضوعات .

وسيمنح المتسابقون الفائزة كتبهم بالمراتب الأولى الجوائز المالية المبينة بعد ، وهذه هى المؤلفات المطلوبة ، والجوائز المقرر منحها لكل منها .

أولا : فى الفقـــه :

١ — كتاب فى الفقه الإسلامى ذو أربعة أجزاء يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجى الأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة المسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيها عن كل جزء .

٢ — كتاب فى الفقه الإسلامى ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثانى من الصفوف الثانوية بالمعهد النموذجى الأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من الجزئين .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للمسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة منها جائزة تشجيعية قدرها ٧٥ جنيها عن كل جزء .

مواصفات كتب الفقه :

يشترط فى كل كتاب من كتب الفقه المتقدمة للمسابقة ما يأتى :

(ا) من ناحية الأداء :

أن يكون اســـلوب الكتاب سهلا ، وتعبيراته مألوفة ، وبعيداً ما أمكن عن الاصطلاحات الفقهية والأحكام الافتراضية ، وملائما لفهم الطلاب ومستوى إدراكهم .

(ب) من ناحية التقسيم :

وتكون موضوعاته متتابعة ، متميزاً

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بعضها عن بعض ، ملتزما ما أمكن تقسيمات كتب الفقه .

(ج) من ناحية الموضوع :

أن يكون مضمون الكتاب غير منسوب إلى مذهب ، ولا متعارض مع المذاهب الأربعة ولا متعرض للفروع الخلافية بين هذه المذاهب .

ثانياً : فى قواعد اللغة العربية :

١ — كتاب لقواعد اللغة العربية ذو أجزاء أربعة يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجى للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ١٥٠ جنيها عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة السابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٣٥ جنيها عن كل جزء .

٢ — كتاب لقواعد اللغة العربية ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثانى من الصفوف الثانوية بالمعهد النموذجى للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من الجزئين .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة السابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيهاً عن كل جزء .

مواصفات كتب القواعد :

ويشترط فى كل كتاب من كتب القواعد المتقدمة للسابقة ما يأتى : —

(ا) أن يكون ملحوظا فيه التدريب والناحية التطبيقية مع البعد عن الخلافات النحوية والتزام أخف الأوجه وأكثرها استعمالا من الأحكام الجوازية .

(ب) أن يعمل على تزويد التلميذ بقدر كاف من الكلمات الكثيرة الاستعمال ، المعينة على الانطلاق فى التعبير الصحيح والضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأدوات الشرط الكثيرة الاستعمال وأدوات الاستفهام .

(ج) أن يعنى من الناحية التطبيقية بالتوليد اللغوى كمقدمة لدروس الاشتقاق فى المستقبل والتنبيه كلما سمحت الفرصة إلى مدى التقارب بين معانى الكلمات المتقاربة حروفا لتدريب التلاميذ على محاولة الفهم الذاتى لمعانى بعض ما يعرض لهم من الكلمات بقياسها إلى كلمات مألوفة المعنى لهم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثالثا : فى القراءة :

١ ـ كتاب للقراءة العربية ذو أربعة أجزاء يصلح للتدريس للصفوف الإعدادية الأربعة بالمعهد النموذجى للأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من أجزاء الكتاب الأربعة .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيها عن كل جزء .

٢ ـ كتاب للقراءة العربية ذو جزئين يصلح للتدريس للصفين الأول والثانى من الصفوف الثانوية للمعهد النموذجى بالأزهر .

ويمنح مؤلف الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى جائزة قدرها ٢٠٠ جنيه عن كل جزء من الجزئين .

وإذا كانت هناك كتب أخرى من الكتب المتقدمة للسابقة مستوفية للشروط ولم تظفر بالمرتبة الأولى فلكل كتاب من الكتب الأربعة الأولى منها جائزة تشجيعية قدرها ٥٠ جنيها عن كل جزء .

مواصفات كتب القراءة :

يشترط فى كل كتاب من كتب القراءة المتقدمة للسابقة ما يأتى :

(ا) من ناحية الأداء :

١ ـ أن تكون لغته صحيحة وأسلوبه ملائما وجمله غير طويلة وألفاظه مألوفة وتعبيراته خالية من التعقيد .

٢ ـ وأن يكون مزوداً بالصور التوضيحية اللازمة (ويمكن الاستغناء عن الصور ببيان مواضعها ووصفها) .

(ب) من ناحية الموضوع :

١ ـ أن يكون الكتاب منهجيا تتساوى موضوعاته على تتابع مخطط ـ مع استقلال كل موضوع فى ذاته لتحقيق غاية من غايات المعرفة بلا حشو ولا فضول .

٢ ـ أن يكون مشتملا على شعر وقصص وأمثال على أسلوب القصة ، وحوادث مما يجرى فى البيئة ، ومشاهدات ومعارف عامة ، وتوجيهات سلوكية وقومية .

٣ ـ أن تخدم موضوعاته ـ ما أمكن ـ المناهج المقررة لمواد الدراسة المختلفة فى كل صف أو تمهد لها بأسلوب ملائم وخاصة فى المواد النظرية كالتاريخ والجغرافيا وبعض الفروع العملية وبعض صور السلوك الإسلامى ، بحيث يمكن الاستغناء بما تتضمنه بعض فصول الكتاب من فنون المعرفة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن إعادة تدريس موضوعها تحت عنوان مادة أخرى .

تعليمات عامة

١ — تقدم الأجزاء الأولى من الكتب المطلوبة للمسابقة إلى الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية من ثلاث نسخ فى موعد أقصاه يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٦٢ .

٢ — تؤلف لجان الفحص للكتب المتقدمة للمسابقة من أعضاء متخصصين فى موضوعات المسابقة وأحكامهم نهائية بالنسبة للمتسابقين .

٣ — تعلن نتائج الفحص قبل أول يولية سنة ١٩٦٢ وتصرف الجوائز لمستحقيها فور اعتماد الميزانية .

٤ — من حق لجنة الفحص أن ترشح للمرتبة الأولى بعض الكتب المتقدمة للمسابقة مع التوصية بإدخال تعديلات عليها يتحقق بها الغرض ، ولها إذا اقتضى الأمر أن توصى باشتراك اثنين أو أكثر من المتسابقين فى إجراء التعديلات المقترحة على بعض المؤلفات المتقدمة منهما للمسابقة ، وفى هذه الحالة توزع الجائزة المقررة كاملة على الشركاء المذكورين بعد إجراء التعديلات المقترحة .

٥ — الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية حق طبع الكتاب الفائز بالمرتبة الأولى للانتفاع به فى الأغراض التعليمية ما شاءت من الطبعات . ويعتبر ما حصل عليه المؤلف أو المؤلفون من جائزة مقابلا لحق التأليف مع السماح للمؤلف بأن يطبع منه لحسابه ما شاء من طبعات خاصة .

عميد كلية الشريعة بجامعة كابول

فى ضيافة شيخ الأزهر :

قدم القاهرة مولانا عبد الحق خان عميد كلية الشريعة فى جامعة كابول بأفغانستان فى ضيافة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وأمضى الضيف الكريم سبعة أيام فى القاهرة درس خلالها النظم الحديثة فى الأزهر ، وزار المعالم الإسلامية والأثرية .

وقد أهدى فضيلة شيخ الأزهر للضيف الكريم نسخة من المصحف الكريم ، ومجموعة من المؤلفات الإسلامية لفضيلته وقال : « هذا هو أساس العهد بيننا وبينكم ، ونأمل أن يتسع نطاق التعاون بين الأزهر وأفغانستان فى سبيل نشر الفكرة الإسلامية ، وتقوية صفوف المسلمين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

If it be true that Al-Azhar is open to women, please post immediately all information. Are there any scholarships available? Being the child of a relatively poor man I have to enquire.

My qualifications are I am told only for entering an ordinary University I have done tow European languages, History, Geography, Science, (Biology, Poysiology, Hygiene, and Physics) up to university level. There is the Urdu and the African language and a bit Phrsian, Arabic as I mentioned previously.

May Allah make Al-Azhar the centre of religious knowledge not only for men but women too; and may He bless the people who thought of taking such a wise step.

Do send all informtion soonest possible as at the moment I am at no proper institution, merely doing Arabic privately with the intention of proceeding to the Oriental College of London which is offering a scholarship to six students.

Yours in Islam
(Miss Z. Adam.)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE VICE — CHANCELLOR
AL-AZHAR
Egypt. U.A.R.

6/3 N Samanabad,
Lahore. W. Pakistan.
23rd Dec., 1961.

Als — Salamo alaik.
Dear Sir.

This morning a local paper had an article declaring the admittance of girls to the above institution. If this be true then surely Allah has answered the call of a weeping heart.

On completing my education up to University level I was forced to leave home in search of islamic knowledge as the women in my country; South Africa, were terribly ignorant of the simple facts of Islam; men were no better off either. Islam was and is still spreading at a terrific rate but there was not a single female capable to quench the thrist of religious knowledge of thousands of my fellow sisters. I wrote and enquired from various institutions in the world whether there was a Darul-Uloom for girls to which I could go and study Islam before helping my numerous sisters who due to lack of clear and simple explanation of Islam were trying to become Muslems in name only.

As long as our women remain ignorant of the practicability of Islam in their daily lives so long will the universal progress of Islam be retarded as the future generation willoose correct contact with their religion. Is it not the mothers who play the greatest part in the up bringing of children ?.

The one institution which answered my call was here in Pakistan. On my arrival I found out that it was of very poor standard since then for the last six months, I have been knocked from pillar to post begging the Alims of India to teach me at least the Quran and Hadis, but all have turned a deaf ear, for they are not willing to teach female.

I am ready to devote my entire life for the upliftment of Islam but first give me the chance to arm my self. Give me a chance to know the words of God and His Prophet. My knowledge of arabic is poor but I am willing to go to any extent in learning it for my aim is to understand the Quran which is written in this noble tongue.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

into its true followers. The early Muslims, by their sacrifice, built up an immense fund of vitality for our Faith and that is why it is still sustaining us inspite of some of us having fallen prey to the influences of such philosophies of life as look upon this earth as all.

We have developed a nation that it is almost sacrilegious to impose any hardship on the body. But we forget that some hardship is necessary in the body's own interest in addition to the interest of the soul.

Is it really very difficult to abstain from food of all kinds and other indulgence for the hours of the day for one out of twelve months of the year? Given the determination to endure a highly beneficial hardship, it is not difficult at all. Rather, it gives the mind a satisfaction and a thrill of pleasure that is experienced in overcoming any obstacle. Supposing it is not pleasant and without difficulty for all, should they, who find it not pleasant and not easy, yield to this modest difficulty.

We have been eating in the daytime for eleven months of the year, Should we grudge abstaining from eating in the day thim for one monfh only. Were we to eat without ever abstaining from eating throughout our lives, could that prolong our lives or make us any the happier. Nobody, I think, will claim such a result. Then, why not get some real benefit spiritually and physically and physically by this not too difficult exercise of Fasting.

Far a normal person to suppose that he is not equal to the task of fasting, is to destract from his own abilities, which is not a promising outlock on life. Fasting is therefore as such a necessity today as it was when it was first introduced and will continue so, as long as man is what he is.

These are the results which can and shold be achieved by the Muslims after undergoing the Fast of Ramadan. And when the Muslim succeed in achieving these results he has every cause to celebrate, for success is always worthy of celebration. The day of Id — ul — Fitr should mark for every Muslim the day of the completion of the success of his experiment — the day when he can say to himself that he has mastered his pains and held the reigns of its impulses; the day when his faith in Allah and himself has been reaffirmed, and he has scored victory against doubt and suspicion; and the day when his willpower and organised effort has controlled his desires and feelings.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

value, besides its value as the means of providing rest to the stomach, is well known.

This is not all that is involved in the exprience of Fasting. There is an educational and training aspect which makes its imprint on the mind without being detected by the preson undergoing the Fast.

The person who as a result of the Fast changes his eating habits, invariably indulges, during the time of the Fast in silence, in deep thinking and contemplation. During these contemplative moods, it is more than probable that the person who fasts would think about the unfortunate members of the human race who, because of hunger, sickness or persecution, are forced to experience suffering and unhappiness of a similar to what he has vehemently undertaken.

The man who fasts would thus find something in common between him, while in that state, and his unfortunate fellow human beings and it is unlikely, that he would not then feel sympathy with those unfortunate members of humanity in His conscience and new frame of mind. And this, in fact, is what the Muslim should celebrate on "Id-ul-Fitr" - his joy at having rejunevated and purified his soul and clothed it with a new outlook in life in general, and the joy of his having awakened his conscience so that it becomes aware of what is around it. Upon the completion the opportunity of leading a life towards the attainment of his spiritual goal.

Is Fasting unnecessary in the present day world, as some amongst us seem to suppose? This question is indicative of the notion - a wrong notion indeed - that the Shariat stands in need of amendment today.

To think that the Shariat should be adopted to a particular way of life preferred and chosen by some is to being it into line with what our physical propensities have made of us. Instead of lifting ourseleves up from the low spheres where man lives only to eat, to the high plane pointed to by the Shariat - where man eats only to live, and in due course, to pass into a state in which he is not required to eat for the purpose of living.

Our concern should be not to remain what we are, but to be what we ought to be. Our love of the body appears to have gained undue intensity. It was not so with the past generation of Muslims. History abounds in accounts of Muslims subjecting the body to extremes of hardship in striving to establish the supremacy of the soul over the body, It is because they believed in the life of the soul immensely more than the life of the body, that, they as a race could prevail over all others in the world.

The vitality of Islam lies in the spirit of self-sacrifice that it infuses

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

in him. What supports him then in his work and determination, is largely his spirit. In a moment of irresistible hunger, what stands between a lonely fasting Muslim in his house and the food lying near him is his determination not to yield to hunger a determination born of regard for the Commands of Allah and the desire to be firmer in determination. Such determination, such refusal to yield to hunger and other physical propensities and such regard for the Commandments of Allah are qualities of the Soul of spirit.

Fasting should therefore be considered as an institution for the moral and spritual upliftment of man so as to bring him closer to Allah. When a Muslim undergoes the Ramadan Fast, he is in the process of controlling hunger and thirst and he is accustomed to the hardships of life and cultivates to his advantage and benefit the habit of self-restraint which is of paramount importance towards the attainment of his spiritual ideals and goal. Abstinence from food alone is not the purpose of the Ramadan Fast, but it is only a preliminary step to abstinence from all evil, be they thoughts or deeds. It is very pertinent to observe that the Holy Prophet is reported to have said in this connection " there are many who fast but can derive no benefit from it . . . for such people who lie and bear false witness, Allah has no need for their observance of the Fast ". In Islam, Fasting is not considered as a method of appeasing divine wrath or seeking divine compassion, but connotes an entirely different purpose based upon lofty spiritual ideals towards the attainment of spiritual perfection.

Thus every Muslim obtains strength from the conditions created by the spiritual exercise of fasting. And if developed studiously, the spirit can so strengthen the man that he does not become affected by the demands of his physical nature and he emerges than his physical propensities. It is all a matter of practice with attention and care.

Fasting is meant to establish the superiority of man's spiritual being over his physical. If man recognized that his spirit which is immortal and which is endowed with potentialities for growth and development, should have ascendancy over his mortal body and bodily propensities, he will find fasting the means to establish the desired ascendany of the spirit.

Like Prayer, Fasting has many benefits concomitant with its main benefit to the soul. These are the obvious benefits to man's health and his relation with fellow Muslims. The benefits to health needs no elaboration; that Fasting has a therapeutic

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE FAST OF RAMADAN

By

A, M. M. SALMAN

The Fast of Ramadan and the celebraton of the Feast of " Id—ul—Fitr " occupies a prominent place in the heart of every Muslim throughout the whole universe. Id — ul — Fitr denotes to every Muslim a day of rejoicing and thanksgiving upon a successful completion of the Ramadan Fast which is considered one of the five pillars of the Islamic Faith.

It is therefore necessary and appropriate to ascertain the meaning and significance of the Fast of Ramadan as well as the meaning and significance of Id — ul Fitr. The Ramadan Fast is a personal experience of self control and self purification which every Muslim undergoes every year during the month of Ramadan.

The Holy Quran which was revealed during the month of Ramadan, to serve as a guidance to mankind, — and hence the special sanctity attached to this month, referes to Fasting as follows:—

" O, Ye believers. Fasting is prescribed to you, as it was prescribed to those before you, that ye may learn self restraint ".

Prophet Muhammed, (May the peace and blessings of Allah be upon Him) systematized the institution of Fasting by prescribing its time in the year, its duration, the conditions necessary for its effectiveness etc.' and enforced it with the utmost strictness. That is why fasting is very largely a universal practice among the Muslims.

What is the purpose of fasting ? Fasting makes the Muslim accustom himself to self control in hunger which is one of the most difficult physical conditions for man to withstand, Since man is mainly a spiritual being, it is necessary for him to create conditions in which his spirit can thrive unhampered by his physical propensities.

The food of spirit lies in meditation about Allah and in concentration on Allah's Commandments to Man. When the stomach is full, all the physical faculties of man find strength to get the better of his struggling spiritual faculty. But when the belly is empty the physical faculties fail to put up any strong fight against the spirit. But when he resists them with the will to continue till sunset these lie dormant

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

feels that the fast is harmful for him, should break his fast and fast the same number of days at another time.

The third section relates to the old men and those who are like him whose life will be harmed by fasting and the causes of their ailments are impossible to be removed away due to senility and the one who suffers from a long continued disease. To this class of people, Islam permits them not to fast at all, and in return imposes on them an obligation to feed a lesspoor man every day. The Qur'an stats " For those who can do it (with hardship), is a ransom, the feeding of one that is indigent." (S. The Cow, V. 184.)

In addition to the above mentioned, divers and miners who work all the year are exempt since fast causes them hardships, they need not fast, but it is incumbent on such persons to feed a poor man as a ransom for every day of the month of Ramadan. Thus in view of the aforesaid, we come to the conclusion that Islam is the religion of simplicity and forgiveness.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

among yourselves; but He turned to you and forgave you; so now associate with them and seek what God hath ordained for you, and eat and drink untill the white thread of dawn appear to you; distinct from its black thread; then complete your fast till the night appears." (S. The Cow, V. 187.)

This is a mode of a adjustment which Islam introduced as a facility in the religion which God wills it to his bondmen, as for instance the Qur'an states " For God is to all people most surely full of kindness most merciful."

The Facility of Islamic Fast ;

According to the facility which God ordained to his bondmen, Islam imposed fast on all Muslims in an easy way, as for example the Qur'an states "He had chosen you and has imposed no difficulties on you in religion." (S. The pilgrimage, v. 78.) "God intends every facility for you; He does not want to put you to difficulties." (S. The cow, V. 185.)

"What can God gain by your punishment, if you are grateful and you believe ?" (S. The Women, V. 147.)

Hence, Islam categorised Muslims into their sections in the observance of the fast : The first one relates to those who are healthy and living in their homes and who are able to fast the month of Ramadan without any difficuity. They should fast the whole month. And one who breaks his fast without a reasonable cause, his deed will be against the teachings of Islam, and he will be the meritorious of God's anger and all Muslim people. It was the duty of the governor to punish him, so that he may serve as an example to the others who try to follow his footsteps concerning this. But if the one who broke his fast willed to return back to the straigt path, he should declare his repentance and fast the same number of days plus sixty days more as an expiation.

The second section consists of those who are ill or on a journey. In fact, Islam allows them to break fast on condition that they should fast the same number of days at another time. In this respect the glorious Qur'an says " If any one is ill or on a journey; the prescribed period (should be made up) by days later. " (S. The Cow, V. 185.)

Because fasting mostly causes the ill man and the travelling one harm or inconvenience, Islam allowed them to break fast. Hence, one who

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

not only to Muslims but to all mankind also. The Qur'an says " Ramadan is the (month) in which sent down the Qur'an, as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right aud wrong). [S. The cow, V. 185].

In fact, Muslims spend the month of Ramadan fasting, worshipping, gathering together and listening to the speechers who remind them with the good, urge them to do it, invite to all that is good, enjoin what is right, forbid what is wrong and join together in the mutual teaching of truth, and of patience and constancy. Verily, it is the duty of every Muslim to say " welcome you O glorious Month and may it give you pleasure O fasting believers ".

Verily, fast is not a modern concept, but it is rather an ancient one. It was an important pillar of every religion, for example : The Bibles of the christians praise the fast and state that jesus the christ and his apostles had performed this kind of devotion. The Testament "Taurah" of the jews also considers fast one of the obligations imposed on the jews and state that Moses " peace be on him " had fasted for fourty days. Moreover, the idolators themselves are aware of the Fast. The history of the ancient egyptians tells us that they had fasted, the romans and the greeks quoted the fast from the egyptians and performed it. Nowadays, the Indian idolators are performing Fast. It is probable that fast is an instinctive matter which the living beings perform during a period of their life time. For example, we notice that the camels sometimes fast. Hence, we come to the conclusion that fast is an ancient worship which was well known by all. In this connection, the glorious Qur'an says " O ye who believe ! Fasting is prescribed to you as it was prescribed to those before you, that you may (learn) self — restraint " [S. The cow, V. 183].

Fast in Islam, is to cease eating, drinking and sexual contact from Dawn till sunset. It was the habit of the people to eat, drink and indulge in sexual behaviour with women from sunset till the time of sleep and cease after that time. But it was the will of God to forgive them and to guide them to an easy religion, so He revealed the Qur'an distinguishing right from wrong, depicting for them how to fast, He say

"Permitted to you, on the night of the fast, is the approach to your wives. They are your garments. God knoweth what ye used to do secretly

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

done by their faithful predecessors, and consequently, they would restore their past glory, and their reception of Ramadan will be a reception for dignity and honour and a joy for the glory and greatness. In this respect the holy Qur'an says : " Has not the time arrived for the believers that their hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the Truth which has been revealed (to them), and that they should not become like those to whom was given revelation afore time, but long ages passed over them and their hearts grew hard ? For many among them are rebellious transgressors. Know ye (all) that God giveth life to the earth after its death ! Already have we shown the signs plainly to you, that ye may learn wisdom. " (S. The Iron, Vs. 16 — 17.)

" O ye who believe ! shall I lead you to a bargain that will save you from a grievous penalty ? That ye beleive in God and His prophet, and that ye strive (your utmost) in the cause of God with your property and your persons : That will be best for you, if you but knew ! . He will forgive you your sins, and admit you to gardens beneath which rivers flow, and to beautiful Mansions in gardens of eternity : That is indeed the supreme achievement. And another (favour will He bestow), which ye do love, — help from God and a speedy victory. So give the glad tidings to the believers. O ye who believe, be ye helpers of God : As said Jesus the son of Mary to the disciple " who will be my helpers to (the work of) God ? " said the disciples " We are God's helpers ! " Then a portion of the children of Isreal believed and a portion disbelieved : But we gave power to those who believed against their enemies, and they became the ones that prevailed. " (S. The battle Array, Vs. 10 — 14.)

Fast in Islam :

This is the month of Ramadan which unites Muslims all over the world, irrespective of their languages and colours. It unites their feelings, pleasure, night, day, time of eating, drinking and also makes them equal to each other : There is no distinction between the governor and the governed, man and the woman or between the rich man and the poor one. It is a great pleasure to see Muslims expressing their congratulations — with the coming of the blessed month — to each other with faithful hearts, good souls, smiling and laughing faces. As a matter of fact, the month of Ramadan reminds Muslims " The feast of the Qur'an " which had been granted by God,

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

from wrong and cleared the word "Right" whether in divinity, message, Resurrection or in the relationship which joins the man to his brother during his life time. The Qur'an says: "Ramadan is the month in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong)" [S. The Cow, V. 185.]

On the other hand the month of Ramadan inspires and reminds Muslims that their victory against the enemies of Islam was not dependent upon the numerical strength of the fighters, the wealth or the power of their weepons, but it is dependent on their faith, piety and patience. It reminds them the battle of Badr which took place in the month of Ramadan, and which was the first battle in Islam. The Qur'an states the great victory of the Muslim fighters in the verse "God had helped you at Badr, when ye were a contemptible little force: Then fear God; thus may ye show your gratitude."
[S. The family of Imran, v. 123.]

It is therefore quite clear that the month of Ramadan inspired Muslims of the great events of the past, while God supported his bondmen and restored them back to their homeland out of which they were driven for no reason execpt that they said "Allah is our God". This event is the one of the great victory of Muslims against their enemies and which caused the sacred Mosque to be purified of the idols and that led the Islamic area to be extended and the word of God to occupy the highest position and the super rank, the Qur'an says "Verily, we have granted thee a manifest victory. That God may forgive thee thy faults of the past and those to follow; fulfil His favour to thee; and guide thee on the straiht way; and that God may help thee with powerful help." (S. The Victory, vs. 1-2-3.)

The duty of Muslims towards Ramadan:

This is Ramadan and that is its inspiration. It is the duty of the Muslim people to receive it with open hearts and to block the way of the satanic influence by means of it. This satanic influence which separated Muslims from each other, corrupted their characters, stole them of their good personality and emptied their souls of the Zeal. Hence, Muslims became a mixture of personalities which had no nationality or religion. They constituted a personality which was not eastern; western, Islamic christian or Jewish.

Verily, it is the duty of Muslims to remember the inspiration of Ramadan and to carry out what was

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the materialistic life and lead a calm and spiritual one. He should forget the pains and the troubles of the world and live the life of happiness and bliss where there is no pain or misery. This life means to begin the day Fasting and saying "In thy name I am fasting" and to break his fast at the end of the day saying "In thy name I am breaking my fast" and to spend the night in prayer praising his God, prostrating to Him, asking Him for forgiveness and reciting the holy Qur'an till the break of dawn.

In following this way of life, the beliver's heart will be attached to his creator, he will maintain this attachment to be connected to God continuously and this will lead him to live all his life in piety, to perform his duties towards his God and to give the bondman his rights and to treat people kindly. This in essence is the inspiration of Ramadan.

The month of the heavenly revolution:

Not only is Ramadan the month of spiritual inspiration because of fasting, but it is also the month of the heavenly revelation against evil and the falsehood. Indeed, falsehood led the human being to deny the existence of his creator, to worship idols, the sun and the moon. Moreover, he asked the deaf stones to forgive him, to support him and to provide him with bounty. Falsehood took the mercy out of the human being's heart, filled it with tyranny and cruelty. So, he killed his sons, committed adultery and crimes, stole the properties, humiliated the weak people and harnessed the poor for his own benefits.

God disliked the falsehood, and it was His will to save humanity from its bad condition. Hence, He revealed the guidance to His prophet Mohamad "peace may be upon him" through the month of Ramadan to lead mankind to the straight path and to take them out of the darkness of ignorance and enmity, to the light of knowledge and brotherhood. The first chapter of the Quran reads "Proclaim! (or read) in the name of thy God and cherisher, who created. Created man out of a (mere) clot of congealed blood: Proclaim! and thy God is most Bountiful, He who taught (the use of) the pen, Taught man that which he knew not." [S. The clot of congealed blood, vs. 1- 5.]

In fact, the glorious Qur'an was revealed to guide people to that which is most right and to give the glad tidings to the believers who perform deeds of righteousness, that they shall have a magnifcent reward. Verily, the Qur'an distinguished right

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

and this is the Fast which Muslims are enjoined to perform during the month of Ramadan, to express their praises and appreciation to Almighty God. In this respect, Holy Qur'an says "Ramadan is the (month) in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong). So every one of you who is present (at his home) during that month, should spend it in fasting, but if any one is ill, or on a journey, the prescribed period (should be made up) by days later. God intends every facility for you, He does not want to put you into diffeculties. (He wants you) to complete the prescriced period, and to glorify Him in that He has guided; and perchance ye shall be grateful." " (S. The Cow, V. 185).

This is the Holy Book of Islam, which guides you to the best and leads you to the right way, and this is your Month, which reminds you with God's gift to fear your Creator and to be patient people, The Qur'an says "And hold fast, all together, by the Rope which God (stretches out for you), and be not divided among yourselves; and remember with gratitude God's favour on you; for ye were enemies and He joined your hearts in love, so that by His grace, you became brethren; and you were on the brink of the Pit of Fire, and He saved you from it. Thus doth God make His Signs clear to you : That ye may be guided." [S. The family of Imran, V. 103.]

The popular inspiration of Ramadan :

In reality, Ramadan is nothing but a name of the lunar month between the month of Shaaban and the month of Shawal. As a matter of fact, this month is one of special inspiration and influence on Muslim people. Consequently, their hearts, through this inspiration are filled with belief and guidance.

The influence and inspiration of the Ramadan month is not limited to the elders, but it has also its effect on the children. At the commencement of this month, you could see the children, especially at night, gathering themselves together, playing, singing, carrying their candles and lanterns, going through lanes and streets to express their glad tidings and good feelings and joy towards the advent of the blessed month of Ramadan.

Surely, the word " Ramadan " inspires those who understand this month, its events and characteristics; to prepare themselves to a divine journey for the whole month. This journey simply denotes that the bliver should avoid the enjoyments of

"Say : Behold all that is in the heavens and on earth" "On the earth are signs for those of assured Faith, as also in your own selves : Will ye not then see" [S. the winds that scatter, vs. 20-21].

In fact, it is the book which removes the distinctions between man and his brother in humanity. It states that all human beings are the sons of a single male and a single female and that God made nations and tribes of them to know each other, not to despise each other; and that, verily the most honoured of them before God, is the most pious who does good for the sake of goodness itself.

It is the book which guides all people to the straight path; to follow it during their life time. In this respect, the Qur'an says "For He commands them what is just and forbids, them what is evil, he allows them as lawful what is good (and pure) and prohibits them from what is bad (and impure); he releases them from their heavy burdens and from yokes that are upon them." [S. The Heights V. 157.]

"Verily, this is my way, leading straight : Follow it : Follow not other paths : They will scatter you about from His (great) path" [S. The cattle, V. 153.]

It is the duty of every one to declare his full respect to this Book, to carry out its instructions and to celebrate the occasion on which God granted this divine Book to humanity.

Legallity of Fast during the month of Ramadan :

It is the habit of the people to celebrate the days which bear their good memories. This is because God has selected the month of Ramadan to be the time during which Repentance is acceptable, He greeted it and obliged every Muslim to fast during this period. Moreover, He considered it one of the pillars of the religion "Islam" and also a part of the Islamic personality.

As a matter of fact, the fast of Ramadan according to the glorious Qur'an aims at — the up bringing of the mind and soul. It unifies the Muslim's leisure hours or work and his hours of feast (eating and drinking). It fills their hearts with the love of God, urges their tongues to repeat God's praise, inculcates the quality of patience in their hearts and guides them to love each other. Surely God wills the human being to possess a good coduct and great manner.

It was in the month of Ramadan that the glorious Qur'an, a gift, which God granted to his londmen

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

" Glory to (God) who did take His servant for a Journey by night from the sacred Mosque to the farthest Mosque, whose precincts we did bless " (S. The children of Israel, V. 1.)

With regard to times, God chose some days and nights to be feasts and occasions for His mercy and blessing. In this respect the glorious Qur'an says : " By the breake of day. By the nights twice five ". " And the morning prayer and reading. For the prayer and reading in the morning carry their testimony" " The night of Power is better than a thousand months " " By the Book that makes things clear; we sent it down during a blessed night : For we (ever) wish to warn (against) evil) ".

Hence, it was the will of God to choose the month of Ramadan from amongst the other lunar months to be the best time for seeking His blessings and forgiveness. It is also the only month which God mentioned through the verses of the glorious Qur'an and also granted His bondmen during it the best one of His blessings, namely His Book, that no falsehood can approach it from before or behind it. It was sent down by one full of wisdom, worthy of all praise. The most important one of the instructions of the holy Book of Islam, is that it transformed or moulded humanity which existed through the long ages of complete darkness and idolatry and directed the light of Islam which is the religion of Monotheism. Henceforth, they prostrated only to one God as the creator of this universe. The Qur'an says :"O people of the Book ! come to common terms as between us and you : That we worship none but God, that we associate no partners with Him; that we erect not, from among ourselves, Lords and patrons other than God." (S. the family of Imran, V. 64.)

The instructions of the Qur'an :

Verily, the glorious Qur'an is the book which guides one to the right path, leads him to happiness, shows him how to utilize the bounties of God that are harnessed to him; orders him to search the greatness of God through earth and heavens; to feel the dignity and the honour that Almighty God granted to the human beings. The Qur'an states "Do they see nothing in the government of the heavens and the earth and all that God hath created ? (Do they not see) that it may will be that their term is nigh drawing o an end? In what Message after this will they then believe ? " [S. The Heights, V. 185.]

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE MONTH OF RAMADAN IN QUR'AN

By
His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University

It is a verse from the glorious Qur'an that attracted my attention — I contemplated its meaning and then I found out its explanation very obvious throughout the universe. This verse is " Thy God does create and chosse as He pleases". Indeed I found the explanation of this verse very evident in some persons, in some places and also in some times.

Since the time of Adam, God created countless people and chose for the guidance and the leadership of man some amongst them according to His will. He chose the erudite, the philosophers, the leaders, the reformers, prophets and messengers. In this connection the holy Qur'an says " God did choose Adam and Noah, the family of Abraham and the family of Imran above all people ". (S. the family of Imran, V, 33).

" God knoweth best where (and how) to carry out His mission ". (S. The cattle, V. 124).

" God said : " O Moses ! I have chosen thee above (other) men, by the mission I (have given thee) and the words I (have spoken to thee) ". (S. The Heights, V. 144).

" It is He who hath made you (His) agents, inheritors of the earth : He hath raised you in ranks, some above others ". (S, The cattle, V. 165).

Also God chose some place to be descents of the revelation and others to be alloted to places of worships. He inspired some people to adopt these places as places of residence. In this respect, the glorious Qur'an say : " The first House (of worship) appointed for men was that at Bakka : Full of blessing and of guidance for all kinds of beings. In it are signs manifest ; (for example. The station of Abraham ; who ever enters it attains security " (S. The family of Imran, V. 96-97).

But when he came to the fire, a voice was heard : " O Moses ! Verily I am thy God : Therefore (in my presence) put off thy shoes : Thou art in the sacred vally Tuwa. I have chosen thee : Listen, then to the inspiration (sent to thee).' (S. Taha, Vs. 11 — 12 — 13.)